الرائـــد

الجزء الثالث

الطبعَة الأولى

١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م

دار الأندلس الخضراء

المملكَة العَربيّة السُّعُودية - جدَّة

الإدارة : ص ب : ٤٢٣٤٠ جّدة ٢١٥٤١

هَاتف : ٦٨١٠٥٧٧ – فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات : * حَي السلاَمة - خلف مسجد الشعيبي

هَاتف – فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩

* حي الثغر - شارع باخشب - سوق الجَامعَة التجاري

هَاتف : ٦٨١٥٠٢٧ – فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

* مكتب الرياض : هاتف/فاكس : ٢٤٣٤٩٣٠

http://www.alandalos.com

الرائد

لا يكذب أهله

حذر

الحـذر

أولاً : دلالة المصطلح :

أ- لغة :

الحِذْرُ والحَذَرُ : تأتي في اللغة على معان ، منها :

- الخِيفَةُ أو الخوف : كما قال تعالى : ﴿ **سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾(١) ، أي : يخاف عذاب النار وأهوال الآخرة (٢) .
- التأهب والاستعداد : قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ** ﴾(٣) ، أي : متأهبون مستعدون (أي : بالسلاح والجنود ونحو ذلك) .
- الاحتراز والتيقظ : قال الزجاج : الحَذِرُ : المتيقظ (٤) .
- قال ابن فارس : الحاء والذال والراء أصل واحد ، وهو من التحرُّز والتيقُّظ . ورجل حَذِرٌ : متيقِّظٌ متحرّز (٥) .

ب - اصطلاحًا :

نقصد بالحذر في الدعوة : هو احتراز المسلم من كل شيء يخافه على نفسه أو على دعوته ، والاستعداد والتيقظ له .

ج - الألفاظ المقاربة للمصطلح :

الكتمان والسرية (سيأتي الحديث عنهما - إن شاء الله -) .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- تكوين الوعي بحقيقة الحذر ومعرفة أركانه وأسبابه وصوره في حياة المسلم .

٢- التأكيد على مشروعية الحذر ، وأنه سُنّة نبوية ، سلكها النبي ﷺ لسلامة الدعوة من كيد أعدائها .

---

(١) سورة الزمر [٩] .
(٢) انظر لسان العرب : ج ٢ / ٨٠٩ ، وقاموس القرآن ، ص ١٢١ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٢ / ٣٧ .
(٣) سورة الشعراء [٥٦] .
(٤) لسان العرب : ج ٢ / ٨١٠ .
(٥) معجم مقاييس اللغة : ج ٢ / ٣٧ .

٣- تنمية حسِّ التيقّظ ، والاحتراز لدى الداعية باعتبار الحذر من صفات الشخصية المسلمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾(١) ، ((لست بالخب ولا الخب يخدعني)) ، ((المؤمن كيس فطن)) .

٤- التأكيد على أهمية معرفة المسلم لأعدائه ، وإدراكه لمخططاتهم وكيدهم ؛ وذلك ليحذرَها ، وُيحذِّر منها : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾(٢) .

٥- التحذير من الحذر المذموم الذي يقعد المسلم عن دعوته ؛ طلبًا لسلامة شخصه على حساب دينه وعقيدته .

٦- التذكير ببعض الوسائل الأمنية التي ينبغي للدعاة الأخذ بها ؛ حماية للدعوة من كيد المتربصين ، وحقد الناقمين .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١- دلالة المصطلح (انظر بداية المبحث) .

٢- مشروعية الحذر .

٣- أركان الحذر :

٣ - ١ : العلم بالمحذور .

٣ - ٢ : الاستعداد .

٣ - ٣ : التيقظ والتحرز .

٤ - جوانب من تشريعات الإسلام في الحذر الوقائي :

٤ - ١ : الحذر الوقائي في الحرب .

٤ - ٢ : الحذر الوقائي لطهارة القلب من لوثات الشرك .

٤ - ٣ : الحذر الوقائي لطهارة القلب من الفاحشة .

٤ - ٤ : الحذر الوقائي للحفاظ على وحدة الصف .

٤ - ٥ : الحذر الوقائي للحفاظ على ثبات الداعية واستقامته على النهج .

---

(١) سورة النساء [٧١] .
(٢) سورة القصص [٢٠] .

٤ - ٦ : الحذر الوقائي لسلامة الدعوة واستمرار عطائها .

٥ – صور من الحذر :

٥ - ١ : الحذر من معصية الله .

٥ - ٢ : الحذر من خداع النفس .

٥ - ٣ : الحذر من زلات اللسان .

٥ - ٤ : الحذر من المنافقين والعلمانيين ونحوهم .

٥ - ٥ : الحذر من الشبهات .

٥ - ٦ : الحذر من الشيطان ومداخله .

٥ - ٧ : الحذر من أصحاب البدع والشهوات .

٥ – ٨ : الحذر من الفتنة بالزوجة والولد .

٦ - الحذر المذموم .

٧- صور عملية من حذر النبي ﷺ .

٨- مما يعين على الحذر المحمود .

٩- مسائل في الحذر .

رابعًا : العرض :

١- **دلالة المصطلح** (سبق بيانه) .

٢- **مشروعية الحذر :**

لقد ورد الحذر في القرآن الكريم (بكل مشتقات كلمة حذر) قرابة اثنتين وعشرين مرة ، وهذا يدل على أهمية الحذر في حياة المسلم وضرورته . ومما ورد في كتاب الله - عز وجل - :

- قوله تعالى : ﴿ **خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾[1] .

قال القرطبي : « أي : كونوا متيقظين ، وضعتم السلاح أو لم تضعوه . وهذا يدل على تأكيد التأهُّب والحذر من العدو في كل الأحوال وترك الاستسلام ؛ فإن الجيش ما جاءه مصابٌ قط إلا من تفريطٍ في حذر »[2] .

قال الرازي في تفسيره في قوله تعالى : ﴿ **خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾ : « والآية دلت على وجوب الحذر من العدو في الحرب ، فيدل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار

---

(1) سورة النساء [٧١] .
(2) الجامع لأحكام القرآن : ج ٥ / ٣٧٣ .

المحتملة)) [1] .

- وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ ..

قال الإمام ابن كثير : ((يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوّهم ، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعُدَد ، وتكثير العَدد بالنفير في سبيل الله))[2] .

وقد حذّر الرسول ﷺ من شرور كثيرة ، وأمر بالحذر منها ، ومن ذلك :

- تحذيره للأمة من ذرائع الشرك ، فقال ﷺ : ((**لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) [3] . يحذر مما صنعوا .

- وحذّر النبي ﷺ من الكذّابين :

فقال ﷺ : ((**إن بين يدي الساعة كذّابين ، فاحذروهم**))[4].

- ولقد جاءت سنته العملية لتؤكد على أن الحذر صفة من صفات الشخصية المسلمة [انظر مبحث صور عملية من حذره ﷺ : ٧] ، وقد شرع الحذر لحكم عظيمة منها :

- حماية الدين وأتباعه من كيد الأعداء .
- اتِّقاء شر المتربصين والمتجسسين والخائنين .
- حماية الشخصية المسلمة من السذاجة .

٣ - أركان الحذر :

لكي تكون صفة الحذر فاعلة مفيدة لا بد من توافر ثلاثة أركان هي :

٣ - ١ : العلم بالمحذور :

لا يمكن أن يتولّدَ الحذر في قلب إنسان من شيء مجهول لا يعرفه ، فلا يمكن أن يحذر الآخرة إلا بعد معرفته بربه - عز وجل - وقدرته على بعثه ، وأنه سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة ، وأنه إما فائز مكرم أو خاسر معذَّب ، وعندئذ يتولّد الحذر وتشتد الخشية ، وكلما ازداد العلم ازدادت الخشية ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

(1) تفسير الرازي : ج ١١ / ٢٦ .
(2) مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني : ج ١ / ٤١٢ .
(3) رواه البخاري في الصلاة ، باب (٥٥) ، برقم : (٤٣٥) ، ورواه مسلم ، في المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، برقم : (٥٣١) .
(4) رواه مسلم ، في الإمارة ، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ، برقم : (١٨٢٢) .

الْعُلَمَاءُ ﴾(١) ، وقال ﷺ : ((إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا)) (٢) .. وكذلك الشر لا يمكن دفعه إلا بمعرفة أهله ، ومن هنا كان لا بد من معرفة أهل الشر ، والوقوف على مخططاتهم ؛ لكي نحذرها ، ونحذِّر منها ، كما قال - عز وجل - : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾(٣).

وقيل :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومَنْ لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

ولله درُّ ذلك المؤمن الحذِر ، الذي اطلع على مخططات المفسدين وهم يأتمرون ويتشاورون في قتل موسى ، فجاء ساعيًا إلى موسى - عليه السلام - قائلاً له : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾(٤) .

٣ - ٢ : الاستعداد :

إن ثمرة العلم العمل ، وثمرة العلم بالمحذور السعي في أخذ الأُهبة والاستعداد له بجميع الوسائل المشروعة والاحتياطات المتاحة ؛ لاتقاء شرّه ، والتخلص من خطره .. وإلا فإن القعود والتكاسل في أخذ الأسباب والتهاون في الاستعداد للمحذور - مع القدرة على ذلك أو بعضه - ضرب من السفه وقلة العقل .

● قال المراغي - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾(٥)، أي : احترسوا واستعدوا لاتقاء شر العدوّ ، بأن تعرفوا حاله ومبلغ استعداده وقوته ، وإذا كان لكم أعداء كثيرون فاعرفوا ما بينهم من وفاق وخلاف ، واعرفوا الوسائل لمقاومتهم إذا هجموا ، واعملوا بتلك الوسائل ، ويدخل في ذلك معرفة حال العدو ومعرفة أرضه وبلاده وأسلحته واستعمالها ، وما يتوقف على ذلك من معرفة الهندسة والكيمياء وجر الأثقال ، وعلى الجملة اتخاذ أُهبة الحرب المستعملة فيها من طيارات ، وقنابل ، ودبابات ، وبوارج مدرَّعة ومدافع مضادة للطائرات ، إلى نحو ذلك ؛ حتى لا يهاجمكم على غِرَّة أو يهددكم في دياركم ، وحتى لا يعارضكم في إقامة دينكم أو دعوتكم إليه .

---

(١) سورة فاطر [٢٨] .
(٢) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : ((أنا أعلمكم بالله)) ، برقم : ٢٠ .
(٣) سورة الأنعام [٥٥] .
(٤) سورة القصص [٢٠] .
(٥) سورة النساء [٧١] .

وقد كان النبي ﷺ والصحابة على علم بأرض عدوهم ، كما كان لهم عيون وجواسيس يأتونهم بالأخبار (قلم مخابرات) ؛ ولما أخبروه بنقض قريش للعهد (إخلالهم بشروط المعاهدة في صلح الحديبية) ، استعد لفتح مكة ، ولم يُفلِح أبو سفيان في تجديد العهد مرة أخرى ، وقد كان يظن أن المسلمين لم يعلموا بنكثهم له .

وقد قال أبو بكر لخالد بن الوليد في حرب اليمامة : « حاربهم بمثل ما يحاربونك به ، السيف بالسيف والرمح بالرمح » [1] .

وقد أمرنا الله - عز وجل - بإعداد ما استطعنا من قوة ؛ لإرهاب الأعداء ، ولحماية الحق ونشر الدعوة .. فقال - عز وجل - : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾[2] .. الآية .

٣ - ٣ : التيقظ له والتحرز منه :

ومع العلم والعمل الجاد في الاستعداد للمحذور ، لا بد من الرصد والتيقظ له والتحرز منه ؛ حتى لا يهجم على حين غِرة .

وانظر كيف دفع الله - عز وجل - بيقظة ذلك الرجل لتحركات الملأ من آل فرعون - الأذى عن موسى - عليه السلام - . قال الله تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾[3] ، فما كان لهذا الرجل أن يعرف مخططات الملأ إلا من خلال رصده لهم ، وتيقظه لتحركاتهم ولقاءاتهم ؛ فكانت ثمرةُ ذلك نجاة موسى - عليه السلام - من كيدهم .

٤ - جوانب من تشريعات الإسلام في الحذر الوقائي :

لم يكتفِ الإسلام بالتحذير المجرد من المحذورات التي ينبغي للمسلم أن يحترز منها ويتيقظ لها ، بل راح يُكَيِّف بعض العبادات ، ويشرِّع بعض الاحتياطات العملية التي تقي المسلم - بإذن الله - ما يحذره .. ومن ذلك :

٤ - ١ : الحذر الوقائي في الحرب :

أ – **صلاة الخوف** :

اتفق العلماء على مشروعية صلاة الخوف [4] لقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ**

---

(1) تفسير المراغي : ج ٥ / ٨٧ .
(2) سورة الأنفال [٦٠] .
(3) سورة القصص [٢٠] .
(4) سواء كان الخوف من عدو أو حرق أو نحوهما ، وسواء كانت في الحضر أو السفر (فقه السنة ، للسيد سابق : ج ١ / ٢٧٨) .

فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (١).

قال الإمام أحمد : « ثبت في صلاة الخوف ستة أحاديث أو سبعة أيها فعل المرء جاز » .

ومنها : أن يكون العدو في غير جهة القبلة فيصلي الإمام في الثنائية بطائفة ركعة ثم ينتظر حتى يتموا لأنفسهم ركعة ويذهبوا فيقوموا وجاه العدو ، ثم تأتي الطائفة الأخرى فيصلون معه الركعة الثانية ، ثم ينتظر حتى يتموا لأنفسهم ركعة ويسلم بهم . فعن صالح ابن خوات عن سهل بن أبي خيثمة ﷺ قال :« يقومُ الإمام مستقبل القبلةِ وطائفةٌ منهم معَه ، وطائفةٌ من قِبَلِ العدوّ وجوهُهم إلى العدوّ ، فيُصلِّي بالذين معَه ركعةً ، ثم يقومون فيَركعون لأنفسهم رَكعة ويسجدونَ سَجدَتين في مكانهم ، ثم يَذهَبُ هؤلاء إلى مقام أولئك فيجيء أولئك فيركعُ بهم ركعة فله ثنتان ، ثم يَركعونَ ويسجدونَ سجدَتين » (٢) .

ب – حمل السلاح أثناء أداء الصلاة :

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن حمل السلاح أثناء صلاة الخوف مستحب ، وذهب آخرون إلى القول بالوجوب إلا لمن كان به أذىً من مَطر ونحوه ، فيجوز له وضعه (٣) .

٤ ـ ٢ : الحذر الوقائي لطهارة القلب من لوثات الشرك والخرافة :

وقد وضع الإسلام عدة تشريعات لسدِّ السُّبل التي تؤدي بالمسلم إلى الوقوع في الشرك ، ومنها :

أ – نهي النبي ﷺ عن جعل قبره عيدًا :

قال ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، ولا تجعلوا قبري عيدًا ، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني

---

(١) سورة النساء [١٠٢] .

(٢) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع .. ، برقم : (٤١٣١) . انظر للتوسع فقه السنة ، للسيد سابق : ج ١ / ٢٧٨ ـ ٢٨٢ ، وقد لخص هيئاتها وحالاتها في ست هيئات ، وانظر أيضًا الشرح الممتع : ج ٤ / ٥٧٩ ـ ٥٨٩ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ج ٥ / ٣٧١ ، وفقه السنة : ج ١ / ٢٧٨ ، والشرح الممتع لابن عثيمين : ج ٤ / ٥٨٧ .

حيث كنتم)) [1] .

وقولـه ﷺ : ((**لا تجعلوا قبري عيدًا**)) ، قال شيخ الإسلام : ((العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد ، عائدًا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع ، أو الشهر)) [2] .

ب – نهي النبي ﷺ عن إطرائه والغلو فيه :

قــال ﷺ : ((**لا تُطْـروني كما أطْـرَتِ النصـارى ابـن مـريم ، فإنمـا أنا عبـده ، فقولـوا : عبد الله ورسوله**))[3].

٤ ـ ٣ : الحذر الوقائي لطهارة القلب من أدران الفاحشة :

أ– التحذير من النظر إلى ما حرّم الله النظر إليه :

قــال الله تعــالى : ﴿ **قُـل لِّلْمُـؤْمِنِينَ يَغُضُّـوا مِـنْ أَبْصَـارِهِمْ وَيَحْفَظُـوا فُـرُوجَهُمْ ذَلِـكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾[4] . قال جرير بن عبد الله : ((سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفُجأة ، فأمرني أن أصرِف بصري)) [5] .

قال الإمام النووي ـ يرحمه الله ـ : ((ومعنى نظرة الفجأة أن يقع نظرُه على الأجنبية من غير قصد ، فلا إثم عليه في أول ذلك ، فيجب عليه أن يصرف بصرهُ في الحال ، فإن صرفه في الحال فلا إثم عليه ، وإن استدام النظر أثم)) .

ب– التحذير من الخلوة بالمرأة الأجنبية :

قال ﷺ محذرًا : ((**إياكم والدخول على النساء**)) ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحمو ؟ قال : ((**الحمو الموت**)) [6] . قال ابن حجر ـ يرحمه الله ـ : ((قال ابن الأعرابي [في قوله ﷺ : الحمو الموت] : هي كلمة تقولها العرب مثلاً ، كما تقول : الأسد الموت ، أي : لقاؤه فيه الموت ، والمعنى احذروه كما تحذرون

---

(1) رواه أبو داود بإسناد حسن .
(2) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في حماية المصطفى ﷺ ، جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ، ص (٣٤٧ ـ ٣٦٢) ، وقد ذكر مسائل مهمة فليراجع للتوسع .
(3) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ..** ﴾ ، برقم : ٣٤٤٥ .
(4) سورة النور [٣٠] .
(5) رواه مسلم ، كتاب الأدب ، باب نظرة الفجأة ، برقم : ٢١٥٩ .
(6) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب : **لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محْرَم ، والدخول على المُغِيبة** ، برقم : ٥٢٣٢ .

الموت)) (١) .

وقال ﷺ : ((لا يخلونَّ رجل بامرأةٍ إلا مع ذي مَحْرم)) ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، امرأتي خرجت حاجَّةً واكتتبتُ في غزوة كذا وكذا . قال : ((ارجع فحجَّ مع امرأتِك)) (٢) .

ج – التحذير من التبرج :

كما قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾(٣) .

وقال : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(٤) الآية .

د ـ التحذير من الخضوع بالقول (٥) :

قال تعالى : ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾(٦) .

٤ ـ ٤ : الحذر الوقائي للحفاظ على وحدة صف المؤمنين :

وفيها تشريعات كثيرة ، منها :

أ ـ القول الحسن : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾(٧) ؛ لما للقول الحسن من أثر في ترابط القلوب وتآلفها ..

ب ـ التقوى أساس التفاضل : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٨) .

ج ـ التحذير من الغيبة والنميمة والسخرية بالمسلم واحتقاره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾(٩) .

---

(١) الفتح : ج ٩ / ٣٣٢ .
(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب : لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو مَحْرَم ، والدخول على المُغِيبة ، برقم : ٥٢٣٣ .
(٣) سورة الأحزاب [٣٣] .
(٤) سورة النور [٣١] .
(٥) انظر للتوسع كتاب التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي ، للدكتور فضل إلهي .
(٦) سورة الأحزاب [٣٢] .
(٧) سورة الإسراء [٥٣] .
(٨) سورة الحجرات [١٣] .
(٩) سورة الحجرات [١١] .

د - التحذير من سوء الظن بالمسلم العدل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(١) .

هـ - التحذير من التنازع : ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(٢) .

٤ - ٥ : الحذر الوقائي للحفاظ على ثبات الداعية واستقامته على النهج :

أ - التحذير من مخالطة أهل الفجور حال فجورهم : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٣) .

ب - التحذير من الركون إلى أهل الظلم : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾(٤).

ج - التحذير من مداهنة أهل الباطل : ﴿ فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(٥) .

د - التحذير من التنازل عن بعض الشرع إرضاءً لأهل الكفر : ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾(٦) .

هـ - التحذير من عاقبة النكوص : ﴿ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً * إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾(٧) .

٤ - ٦ : الحذر الوقائي لسلامة الدعوة واستمرار عطائها :

وقد شرع الإسلام عدة تدابير لذلك ، منها :

أ- الأمر بإعداد القوة لحماية الحق : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ...﴾(٨) .

ب - الهجرة من المكان الذي تستأصل فيه الدعوة ولا يأمن فيها المرء على دينه ودعوته : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾(٩) ، ﴿ إِنَّ

(١) سورة الحجرات [١٢] .
(٢) سورة الأنفال [٤٦] .
(٣) سورة الأنعام [٦٨] .
(٤) سورة هود [١١٣] .
(٥) سورة القلم [٨ ، ٩] .
(٦) سورة المائدة [٤٩] .
(٧) سورة الإسراء [٧٤] .
(٨) سورة الأنفال [٦٠] .
(٩) سورة النساء [١٠٠] .

الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾(١) .

حـ - أخذ الحذر والحيطة في مواجهة الأعداء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾(٢) .

د - التخلص من العوائق التي تحول دون انتشار الدعوة ووصول نورها إلى الناس : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ ﴾(٣) .

٥ - صور من الحذر :

هناك صور للحذر ينبغي أن تكون بارزة في حياة المسلم ، واضحة في شخصيته تحكم تصوراته وسلوكياته ، وإليك بعض هذه الصور :

٥ - ١ : الحذر من معصية الله ومخالفة رسوله ﷺ : ولقد وردت العديد من التحذيرات في القرآن والسنة تؤكد على سوء عاقبة من خالف أمر الله - عز وجل - وأمر رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة ، ومن هذه النصوص :

- قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤)، ((أي : فليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا ، وصدَّ وخرج عن أمره وطاعته ، وهو سبيله ومنهاجه أن يتعرض لمحنة أو بلاء ، أو يصيبه عذاب مؤلم في الآخرة . وضمير ((أمره)) إما عائد إلى أمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ .. كما احتج الفقهاء بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ على وجوب طاعة رسول الله ﷺ ؛ لأن الله - تبارك وتعالى - قد حذّر من مخالفة أمره ، وتوعّد بالعقاب عليها بقوله : ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، فتحرم مخالفته ، ويجب امتثال أمره . ومخالفة أمره توجب أحد أمرين:

العقوبة في الدنيا : كالقتل ، والزلازل ، والأهوال ، وتسلُّط السلطان الجائر ، والطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول ﷺ .

---

(١) سورة النساء [٩٧ - ٩٨] ، للتوسع راجع : أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، لفتحي يكن .
(٢) سورة النساء [٧١] .
(٣) سورة الأنفال [٣٩] .
(٤) سورة النور [٦٣] .

والعذاب الشديد المؤلم في الآخرة)) [١] ، أو الأمرين جميعًا ، نعوذ بالله من أسباب سخطه وعقابه .

- وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾[٢] .

٥ - ٢ : الحذر من خداع النفس وأهوائها :

النفس أمارة بالسوء إلا مَنْ رحمه الله ؛ فعصمه من وساوسها ، وكفاه شر خداعها وأهوائها . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾[٣] .. والسعيد من كان منها على حذر ، وسعى في تزكيتها وتهذيبها ، وبذل جهده في مجاهدتها وتطهرها ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[٤] ، وقال : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٥] . وبقدر حذره منها ، ومجاهدته لها في ذات الله تكون الهداية .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : ((قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٦] ، علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكملُ الناسِ هدايةً أعظمُهم جهادًا ، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الأربعة في الله ، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد .

قال الجنيد : والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبُل الإخلاص ، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنًا ، فمن نصر عليها نُصِرَ على عدوه ، ومَن نُصِرَتْ عليه نُصِرَ عليه عدوُّه)) [٧] .

٥ - ٣ : الحذر من زلات اللسان :

أهمية الكلمة في الإسلام عظيمة ، فهي قد تكب صاحبها في النار على وجهه ، كما قد ترفعه إلى رضوان الله ونيل كرامته ؛ ولهذا وُكِل بها كتبة حافظون وملائكة

---

(١) انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي : ج ١٨ / ٣١٥ - ٣١٨ .
(٢) سورة المائدة [٩٢] .
(٣) سورة يوسف [٥٣] .
(٤) سورة الشمس [٧ : ١٠] .
(٥) سورة النازعات [٣٧ : ٤١] .
(٦) سورة العنكبوت [٦٩] .
(٧) الفوائد ، ص ٧٨ ، للتوسع راجع : مصطلح الجهاد (جهاد النفس) .

راصدون ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٢] ؛ ولهذا كثر تحذيره ﷺ لأمته من شر اللسان ، ووصيته بإحكام العنان ، ومن ذلك :

- قوله ﷺ : ((**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلُّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**))[٣] .

- وجعل ﷺ النجاة مربوطة باللسان .. كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : ((**أمسك عليك لسانك**))[٤] .

- وقوله ﷺ : ((**من يضمن لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رجليه أضمن له الجنة**))[٥] . قال ابن حجر - يرحمه الله - : ((قال ابن بطال : دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه ، فمن وُقِي شرهما وقي أعظم الشر))[٦] . وقوله ﷺ : ((**من يضمن**)) من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية ، والمعنى : ((مَنْ أدى الحق الذي على لسانه بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه ، وأدى الحق الذي على فرجه مِنْ وضعه في الحلال وكفه عن الحرام))[٧] ، ضمن له الجنة .

وهناك صور ينبغي أن نحذرها في الدعوة إلى الله خاصة ، منها :

- النقد الهدَّام[٨] ، الذي لا يلتزم بالآداب الإسلامية في النصح والتوجيه .
- الكلمة الجارحة والعبارة النابية ، التي تفرِّق القلوب وتشحنها بالحقد والبغضاء .
- الغيبة لأهل العلم الفضلاء ، والدعاة الأتقياء ، وتجريح الهيئات والجماعات والمؤسسات الخيرية العاملة في خدمة الأمة .

ورحم الله الإمام النووي إذ يقول : ((اعلم أنه ينبغي لكلِّ مكلَّفٍ أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسُّنَّةُ الإمساك عنه ؛ لأنه قد يَنْجَرُّ الكلامُ المباحُ إلى حرام أو مكروه ،

---

(١) سورة الإنفطار [١٠ : ١٢] .
(٢) سورة ق [١٨] .
(٣) رواه البخاري ، الرقاق ، باب : حفظ اللسان ، برقم : ٦٤٧٧ ، ورواه مسلم ، في الزهد ، باب حفظ اللسان ، برقم : ٢٩٨٨ .
(٤) رواه الترمذي وحسَّنه .
(٥) رواه البخاري ، في الرقاق ، باب حفظ اللسان ، برقم : ٦٤٧٤ .
(٦) فتح الباري : ج ١١ / ٣١٠ .
(٧) المرجع السابق : ج ١١ / ٣٠٩ .
(٨) النقد آدابه وضوابطه ، سيأتي الحديث عنه مفصلاً - إن شاء الله - في كتاب القائد .

وذلك كثير في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء)) [1] .

٥ ـ ٤ : الحذر من المنافقين والعلمانيين ونحوهم :

المنافقون هم العدو الذي ظل يتحرك داخل المجتمع المسلم منذ قيام دولته حتى يومنا هذا كيدًا وخداعًا ، مكرًا وتضليلاً ، يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر والإلحاد والعصيان ، ولو رحت تستعرض تاريخ الدعوة لبرز بجلاء عِظمُ خطرِهم وشرورهم في إثارة الفتن بين المسلمين ، وسعيهم الخبيث في إثارة الفرقة والعداوة بين المؤمنين ، وتواطؤهم مع أعداء الدين ، وتبنيهم لكل ما يهدم العقائد الإيمانية والأخلاق الإسلامية .

ولعل في أمر الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ بالحذر منهم ما يدل على عظيم خطرهم على المجتمع المسلم ، كما قال تعالى : ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[2] .

ومن أسباب الحذر منهم التي ينبغي الأخذ بها لدفع شرِّهم والتخلص من كيدهم :

٥ – ٤ – ١ : التعريف بصفات المنافقين .

٥ – ٤ – ٢ : الكشف عن مخططاتهم وأساليبهم في المكر والخديعة .

٥ – ٤ – ٣ : الرد على مفترياتهم وطروحاتهم الخاطئة .

٥ – ٤ – ٤ : دعوة من نستشعر فيه بقية خير وتقريبه أو تحييده .

٥ ـ ٥ : الحذر من الشبهات :

وهي صفة المتقين الأخيار ، والدعاة الأبرار ، وقد قال ﷺ : ((**الحلالُ بيّن ، والحرامُ بيّنٌ ، وبينهما مُشَبَّهاتٌ لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يُوشكُ أن يواقعه . ألا وإن لكل مَلِك حمىً ، ألا إنَّ حمى اللهِ في أرضه محارمه**)) [3] ، وقال ﷺ : ((**لا يبلُغُ العبدُ أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذرًا لما به بأس**)) [4] .

٥ ـ ٦ : الحذر من الشيطان ومداخله :

---

(1) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، لمصطفى الخن وآخرين : ج ٢ / ٢٦١ .
(2) سورة المنافقون [٤] .
(3) رواه البخاري (الفتح ١ / ٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .
(4) ابن ماجة (٤٢١٥) . قال محقق جامع الأصول (٤ / ٦٨٢) : حديث حسن .

وقد حذّرنا الله - عز وجل - من خطواته واستدراجه ، فقال تعالى : ﴿ **لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** ﴾ (١) ، وقال ﷺ : ((**إن الشيطان حسَّاس** [أي شديد الحس والإدراك] ، **لحَّاس** [أي كثير اللمس لما يصل إليه] ، **فاحذروه على أنفسكم**)) (٢) .

٥ - ٧ : الحذر من أصحاب البدع والشهوات ورفقاء السوء والبطالين :

فالمرء على دين خليله ، والصاحب ساحب ؛ فلابد من الانتقاء للارتقاء بالنفس ، فبصحبة الأخيار يعلو المرء ويسمو ، وبمخالطة الفجار يَسْفُلُ المرءُ ويخبو . قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (٣) ، وقال ﷺ : ((**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يعطيك وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**)) (٤) .

٥ – ٨ : الحذر من الفتنة بالزوجة والولد :

من الأزواج والأولاد مَنْ يكون ذا فتنة عظيمة للرجل ؛ إذ يحولون بينه وبين طاعة ربه بجواذبهم وإغراءاتهم ، وقد قال الحق - عز وجل - : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾(٥) ، وعداوة الزوجة والأولاد ليست لذاتهم ، وإنما لأفعالهم وأقوالهم التي قد تكون سببًا في قعود المرء وتكاسله عن طاعة ربه ، أو سببًا في اقترافه بعض المحرمات ، كما قال رسول الله ﷺ : ((**إن الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيمان ، فقال له : أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك ؟ فخالفه ، فآمن ؛ ثم قعد له على طريق الهجرة ، فقال له : أتهاجر وتترك مالك وأهلك ؟ فخالفه ، فهاجر ؛ ثم قعد له على طريق الجهاد ، فقال له : أتجاهد فتقتُل نفسك ، فتنكح نساؤك ويُقسم مالك ؟ فخالفه ، فجاهد ، فقتل ، فحق على الله أن يدخله الجنة**)) (٦) .

قال الإمام القرطبي - يرحمه الله - : وقعود الشيطان يكون بوجهين :

أحدهما : يكون بالوسوسة .

---

(١) سورة النور [٢١] .
(٢) رواه الترمذي (١٨٥٩) ، وأبو داود (٣٨٥٢) . قال محقق جامع الأصول ٧ / ٤٠٣ : حديث حسن .
(٣) سورة التوبة [١١٩] .
(٤) رواه البخاري ومسلم .
(٥) سورة التغابن [١٤] .
(٦) رواه البخاري .

والثاني : بأن يحمل على ما يريد من ذلك الزوجة والولدَ والصاحبَ . قال الله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [١] .

وقال : كما أن الرجل يكون له ولده وزوجه عدوًّا كذلك المرأة يكون لها زوجُها وولدُها عدوًّا بهذا المعنى بعينه . وعموم قوله : ﴿ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ يدخل فيه الذكر والأنثى لدخولهما في كل آية ، والله أعلم .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ : معناه على أنفسكم ، والحذر على النفس يكون بوجهين ، إما لضرر في البدن ، وإما لضرر في الدين ، وضرر البدن يتعلق بالدنيا ، وضرر الدين يتعلق بالآخرة . فحذر الله سبحانه العبدَ من ذلك وأنذره به [٢].

ويقول الحق - عز وجل - : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٣] ، ((أي : بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى ؛ فلا تطيعوهم في معصية الله))[٤] .

فائدة : قال الحسن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ : ((أدْخَلَ (مِن) للتبعيض ؛ لأن كلهم ليسوا بأعداء ، ولم يذكر (مِن) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ؛ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما))[٥] .

٦- الحذر المذموم :

المبالغة في الحذر إلى حدِّ القعود عن الدعوة وتكاليفها حذرًا من مشاقها وتبعاتها حذر مذموم . . وفيه شبه من حذر أولئك الذين فروا من ديارهم - على الرغم من كثرة عددهم - حذر الموت ، فأتاهم الموت من حيث لم يحتسبوا ! قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾[٦] ، فحذرهم - على كثرتهم - لم يهب لهم الحياة ولم يدفع عنهم عوادي الموت ، فالله وحده هو واهب الحياة وهو يقدر الآجال ؛ ولهذا فإن حذر الداعية يجب أن يُربط بمصلحة الدعوة ، لا بذاته وشخصه ، وحياته وموته ، وأنْ يحذر على الدعوة من

---

(١) سورة فصلت [٢٥] .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ١٨ / ١٤٠-١٤٢ .
(٣) سورة التغابن [١٥] .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ج ١٨ / ١٤٢ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ج ١٨ / ١٤٣ .
(٦) سورة البقرة [٢٤٣] .

أعـــــــــــــــــدائها المتربصـــــــــــــــــين بهـــــــــــــــــا ، لا أن يحذر من الدعوة وتكاليفها ومسؤوليتها ومشاقها .. وكم من الدعاة من اختلط عنـــدهم « الحذران » ، ولم يفرقوا بينهما ، ففتروا وقعدوا ، وربما تراجعوا ونكصوا ..

٧ - صور عملية من حذر النبي ﷺ :

لقد شرع رسول الله ﷺ بسيرته العملية - بالإضافة إلى القولية - الكثير من أساليب الحذر والحيطة التي تدفع عن الدعوة وأتباعها كل ما يضرهم ويهدد وجودهم . واتخذ ﷺ وسائل عديدة لكي يرد بها كيد الحاقدين ، ويتقي بها مكر الماكرين . وإليــــــــــــــــــــك بعــــــــــــــــــــض صور حذره ﷺ :

٧ - ١ : التورية والكتمان :

ولقد اتبع الرسول ﷺ منهج التورية (١)والكتمان في الكثير من شؤون الجهاد ، حتى قال كعب بن مالك ﷺ : « كان رسول الله ﷺ قلَّما يريدُ غزوة يغزوها إلا ورَّى بغيرهــــــــــــــــــــــا ، حتــــــــــــــــــــــــــــــــى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ ، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا ، واستقبل غزو عدوٍّ كثيرٍ ، فجلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهبوا أُهبةَ عدوهم ، وأخبرهم بوجهه الذي يريد » (٢) ..

وأنت - أخي الكريم - تلحظ في هذا النص من سيرته ﷺ ضوابط في الحذر ، منها :

- أن النبي ﷺ في أكثر أحيانه في الجهود ومقارعة الأعداء يعتمد مبدأ التورية ، والمقصد منه مباغتة العدو ، وعدم تمكينه من حشد جنوده ، وجمع عدته . « **والحرب خدعة** » ، هذا بالإضافة إلى محاولته ﷺ جمع أكثر معلومات عن العدو (٣) .

- أن اعتماد هذا المبدأ إنما هو لمصلحة الدعوة وأتباعها ، فإذا كان ينبني على التورية مفسدة ويتحقق بالإعلان مصلحة من زيادة أهبة واستعداد بعُدة ونحوها ، أعلـــــــــــــــــــن عـــــــــــــــــــــــــــن وجهته ﷺ كما فعل في حالة غزوة تبوك .

إذن ، الأمر يدور على مصلحة الدعوة وأتباعها في سرية العمل أو علانيته .

---

(١) التورية هي : إظهار شيء مع إرادة غيره (الفتح ٦ / ١١٣) ، وهي أن يذكر لفظًا يحتمل معنيين ، أحدهما أقرب من الآخر ، فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد ، (الفتح ٨ / ١١٧) .
(٢) رواه البخاري ، في الجهاد ، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها ، برقم : ٢٩٤٨ .
(٣) انظر كتاب دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

٧ - ٢ : حذره ﷺ في هجرته إلى المدينة [التخفي والتمويه] :

لقد اتخذ ﷺ عدة تدابير للتخلص من ملاحقة المشركين له ، وتربصهم به . ولقد أحكم ﷺ خطته ، وأعدَّ لكل زمن عُدته ، ومن تلك الأساليب والوسائل التي اتخذها ﷺ في نجاح أمر هجرته :

٧ – ٢ – ١ : سرية موعد هجرته ﷺ :

عن عائشة - رضي الله عنها - : أرق النبيُّ ﷺ ذات ليلة فقال : ((**ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يَحْرُسُني الليلة**)) ، إذ سمعنا صوتَ السلاح ، قال : ((**مَنْ هذا ؟**)) . قال : سعد يا رسول الله ، جئت أحرُسُكَ . فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه [1] . قالت عائشة : كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ **وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾[2] . قالت : فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال : ((**أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله**)) [3] .

قال ابن حجر - رحمه الله - : ((وتتبع بعضهم أسماء مَنْ حَرَسَ النبي ﷺ فجمع منهم : سعد بن معاذ ، ومحمد بن مسلمة ، والزبير ، وأبا أيوب ، وذكوان بن عبد القيس)) [4].
إلى آخر كلامه - رحمه الله - .

فائدة : والحذر صفة من صفات الأنبياء في دعوتهم ، وأمثلة الحذر العملية في حياتهم الدعوية كثيرة ؛ فحياة إبراهيم وموسى - عليهما السلام - فيها الكثير من الشواهد ، ولعلنا نشير إلى موقف لوط - عليه السلام - حين أمره ربه فقال له : ﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ** ﴾[5] ، أي أن خروج لوط من قريته التي تعمل الخبائث في ظلام الليل حتى لا يشعر به أهل الشر فيؤذوه ومن معه .

٨ - ما يعين على الحذر المحمود :

٨ - ١ : طلب العلم :

العلم ركن من أركان الحذر - كما مرَّ بنا - فطلب المرء للعلوم الدينية والدنيوية يورثه قوة في إيمانه وقوة على أعدائه ، وتحصيل تلك العلوم تحذيرًا للأُمة ودفاعًا

---

(١) رواه البخاري ، كتاب التمني ، باب قوله ﷺ : ((ليت كذا وكذا)) ، برقم : ٧٢٣١ ، ورواه مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضل سعد بن أبي وقاص ، برقم : ٢٤١٠ .
(٢) سورة المائدة [٦٧] .
(٣) رواه الترمذي ، في التفسير (٣١٤٦) ، وقال : غريب ، وصححه الحاكم (٢ / ٣١٣) ، ووافقه الذهبي ، وسكت عنه ابن حجر في الفتح (١٣ / ٢١٩) .
(٤) الفتح ، ١٣ / ٢١٩ .
(٥) سورة هود [٨١] .

عن الملِة ونشرًا للدعوة فرض كفاية كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) ، فلابد من التفقه بالأحكام الشرعية لتتوافق حركات الداعية ومخططاته وبرامجه مع الشرع ، ولابد من العلم بالواقع لينزل تلك الأحكام على الواقع ولابد من معرفةٍ بمخططات الأعداء ؛ ليحذرها ، ويكشف زيفها ، ويبيّن خطرها للأمة ، ويعمل جاهدًا على تعرية أصحابها ومحاربتهم وردِّ كيدهم .

٨ ـ ٢ : قوة الصلة بالله :

فمن اتقى الله تولاّه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن استعاذ به حماه ، ومن أطاعه قربه وأدناه .. قال الله تعالى : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢)، وقال ﷺ : ((**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبهُ الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**)) (٣) .

وقد قيل :

إذا لم يَكن عونٌ مِنَ اللهِ للفتَى فأولُ ما يجني عليهِ اجتهادُه

وقيل :

وإذا العنايةُ لاحظتْك عيونُها نمْ ،فالمخاوفِ كلهن أمانُ

ولهذا فإن الأسباب التي اتخذها الرسول ﷺ في هجرته لم تمنع وصول المشركين إلى الكهف ، على الرغم من اجتهاده في إحكامها ، فلما وصلوا إليه بقي قلبه مربوطًا بالله - عز وجل - فاطمأن إلى كفايته ، ووثق بحفظه وحمايته ، فقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ما أخبرنا الله

(١) سورة الأنفال[١٢٢] وانظر للتوسع ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج ٨ / ٢٨٦ - ٢٨٩ .
(٢) سورة البقرة [٢٥٧] .
(٣) رواه الترمذي ، (٢٥١٦) ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد ١ / ٢٩٣ وغيرهما ، وذكر العقيلي (الضعفاء ٣ / ٥٤) : قال ابن رجب : وأسانيد الحديث (يعني هذا الحديث) كلها لينة ، وبعضها أصلح من بعض ، وبكال ، فطريقُ حنش (الصنعاني) التي خرجها الترمذي حسنة جيدة ، (انظر جامع العلوم والحكم : ج ١ / ٤٥٩ – ٤٦٢).

بـه : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾[١] ، وفـي الطـرف الآخـر انظـر إلـى حـذر فرعون وتخطيطه ومكره ببني إسرائيل ؛ كيف باء حذره بالفشل ، ومَكَرَ اللهُ بـه مـن حيث لم يحتسب ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[٢] .

٨ ـ ٣ : التعرُّف على أساليب الحذر ووسائله :

زخرت السنّة النبوية بالكثير من أصول أساليب الحذر وطرائقه ، بينَّا في ماسبق معنى بعضها ، وقد جدّت مع التطور التقني الكثير من القضايا التي ينبغي أن يأخذها الداعية بالحسبان في قضية الحذر . والمؤمن كيس فطن ، ليس بالخب ولا الخب يخدعه ؛ والرسول ﷺ اتخذ الخندق وهو وسيلة وقائية لم تكن العرب تعرفها ، واستخدم « التشفير » في الكلام في غزوة الخندق ، فعندما نقضت بنو قريظة عهدها مع رسول الله ﷺ ، وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، أرسل سعد بن معاذ ليتحقق من الخبر ، وأوصاه أن يلحن له بإشارة يفهمها إذا كان خبر النقض حقًّا ، وألا يفت في أعضاد الناس ، وإن كان كذبًا فليجهر به في الناس . فلما استطلع سعد الخبر ورآه حقًّا عاد إلى رسول الله ﷺ فقال له : « عضل والقارة ، أي : كغدر عضل والقارة » [٣] .. وهكذا ينبغي أن يسلك الداعية في كلامه وكتاباته التي تمس العمل الدعوي مما يقتضي أن تكون في طي الكتمان ، يلجأ فيها إلى التشفير والترميز أو اللحن إن كانت كلاميةً .

٩ ـ مسائل في الحذر :

٩ ـ ١ : ما صحة حديث : « لا يغني حذر من قدر » ؟ :

رواه الحاكم في كتاب الدعاء عن عائشة ، وصححه وتعقبه الذهبي بأن في سنده زكريا ابن يحيى بن منظور ، وهو مجمع على ضعفه ، وقال في الميزان (٢ / ٧٨) [في ترجمة زكريا بن يحيى بن منظور] : ضعَّفه ابن معين ووهّاه أبو زرعة ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وساق له هذا الخبر ، وقال ابن الجوزي : حديث لا يصح .

قلت : وقد رمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير برقم : ٩٩٧٧ ،

---

(١) سورة التوبة [٤٠] .
(٢) سورة القصص [٤ : ٦]
(٣) مختصر سيرة ابن هشام ، للزغبي ، ص ١٦٨ ، وللتوسع انظر فصل التربية الأمنية في كتاب أبجديات التصور الحركي ، لفتحي يكن ، ص ١٠١ ـ ١٢٩ .

وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٧٧٣٩) ، ورواه أيضًا الديلمي عن عائشة ومعاذ بلفظ : ((**لا ينفع حذر من قدر**)) [انظر كشف الخفاء : ج ٢ / ٥١٠ ، حديث رقم : ٣١٥٣] .

٩ - ٢ : هل يناقض الأخذُ بالحذر الإيمانَ بالقدر ؟ :

قال المراغي - رحمه الله - : وما رواه الحاكم عن عائشة : ((**لا يغني حذر من قدر**)) ، لا يناقض أخذ الحذر ؛ لأن الأمر بالحذر داخل في القدر . فالأمر به [بالحذر] لندفع عنا شر الأعداء ، لا لندفع القدر ونبطله [فهذا مما لا يقدر عليه أحد من الخلق] ؛ إذ القدر هو جريان الأمور بنظام تأتي فيه الأسباب على قدر المسببات ، والحذر من جملة الأسباب ؛ فهو عمل بمقتضى القدر لا بما يضاده [1] .

٩ - ٣ : هل الحذر في الدعوة يعني الجمود ؟ :

هكذا يفهم بعض الدعاة الحذر ؛ فكل شيء عنده محذور حتى انعزل عن الناس ، وأغلق على نفسه أبوابًا من الخير كثيرة . والأمر في قضية الحذر يحتاج إلى توسط ؛ فيجب أن نبتعد عن الإفراط في المحذور الذي يضيّع على الدعوة فرصًا من الخير يجب أن تستغل ، كما نحتاج إلى تجنب التفريط الذي يعرِّي الدعوة من حصونها ويعرِّضها لمكائد أعدائها .. وما أقبح حماقات بعض الناس ، التي جرّت على الدعوة والدعاة ويلات عظيمة ، وأفقدتها مكاسب جسيمة ! .

خامسًا : بعض التطبيقات العملية لتأكيد معاني الدرس :

١- التزام الحذر في مناشط الدعوة واتخاذ الأساليب التي لا تعرض الدعوة والداعية إلى خطر الاستئصال أو الإعاقة [اذكر بعض هذه الأساليب وحاول تطبيقها عمليًّا] .

٢- التزام الحذر فيما يكتبه الداعية وما يقوله ، لا سيما في المجالس العامة التي لم يتعرف جيدًا على أصحابها .

٣- التزام أدب المشاورة والاستئذان قبل القيام ببعض الأعمال التي قد تعرض الدعوة أو الداعية للخطر .. ومع أن الاستئذان والمشاورة أدب ينبغي أن يمارسه الداعية مع إخوانه في جلِّ أمور الدعوة ، فإنه يتأكد في مثل هذه المجالات .

٤- أخذ دورة في وسائل السلامة في الدعوة [انظر التربية الأمنية في أبجديات

---

[1] انظر للتوسع في هذه المسألة : القرطبي : ج ٥ / ٢٧٣ ، ٣٧٢ ، ومختصر تفسير ابن كثير : ج١ / ٤١٤ ، وفيض القدير للمناوي ، شرح حديث رقم : ٩٩٧٧ ، وانظر أيضًا مبحث التوكل في كتاب الرائد - الجزء الأول .

التصور الإسلامي] .

٥- الإفادة من تجارب الدعاة في هذا المجال .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف .

٢- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ت : عبد السلام هارون ، دار الجيل .

٣- قاموس القرآن ، الدامغاني ، دار العلم للملايين .

٤- فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة .

٥- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .

٦- تفسير المراغي ، المراغي ، دار الفكر .

٧- التفسير الكبير ، الرازي ، دار إحياء التراث العربي .

٨- فقه السنة ، السيد سابق ، دار الكتاب العربي .

٩- الشرح الممتع ، ابن عثيمين ، مؤسسة آسام ، ط٣ .

١٠-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان آل شيخ ، المكتب الإسلامي ، ط١ .

١١-التدابير الواقية من الزنى في الفقه الإسلامي ، د . فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، ط١ .

١٢-أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .

١٣-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، ط١ .

١٤-نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، مصطفى الخن وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ .

١٥-مختصر سيرة ابن هشام ، الزغبي .

١٦-فيض القدير ، المناوي ، دار المعرفة .

١٧-الفوائد ، ابن القيم .

١٨-المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير الغضبان ، مكتبة المنار .

١٩-الهجرة حدث غيّر مجرى التاريخ ، شوقي أبو خليل ، محمد روّاس قلعجي ، دار

النفائس .
٢٠-دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ ، دار الفكر ، ط٢ .
٢١-موسوعة نضرة النعيم ، مجموعة من المختصين ، دار الوسيلة ، ط١ .
٢٢-المنهاج في المفاهيم الإسلامية والدعوية ، هاشم محمد ، مكتبة دار البيان ، ط٢ .
٢٣-غزو في الصميم ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم ، ط١ .
٢٤-أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، مكتبة المنار الإسلامية .

بالإضافة إلى عشرات المراجع في الحديث وشروحه ، والفقه وأصوله ، والدعوة والآداب .

حكمة

الحكمة

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

الحكمة : مصدر حكم يحكم ، حكمًا وحكمة .

ولها معان عدة ، منها :

أ - العلم والفقه [١] .

- العلم مع العمل [٢] .

ب - إتقان الأمور .. يقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم [٣] .

ج - الكلام النافع الذي يمنع من الجهل والسَّفه وينهى عنهما .. كما جاء في الحديث :

((**إن من الشعر لحكمة**)) [٤] . قال ابن حجر - يرحمه الله - : ((**إن من الشعر لحكمة**))، أي : قولاً صادقًا مطابقًا للحق . وقيل : أصل الحكمة المنع ، فالمعنى : إن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السفه [٥] .

د - المنع من الفساد .. قال ابن منظور - رحمه الله - : وحَكَمَ الشيء وأحْكَمَهُ كلاهما : مَنَعَهُ من الفساد . قلت : وهو قريب من الذي قبله [٦] .

ب - اصطلاحًا :

- قال الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ [٧] :

((يعني بذلك - جل ثناؤه - يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده ، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيرًا كثيرًا)) [٨] . فالحكمة هي

---

(١) لسان العرب ج٢ / ٩٥١ ، مختار الصحاح ١٤٨ .
(٢) التعريفات للجرجاني ، ص ١٢٣ .
(٣) لسان العرب : ج ٢ / ٩٥١ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ، برقم : ٦١٤٥
(٥) الفتح ، ابن حجر : ١٠ / ٥٤٠ .
(٦) لسان العرب : ج٢ / ٩٥٣ ، وانظر الحكمة والموعظة الحسنة ، د . أحمد المورعي ، ص ٨٥ - ٩٦ .
(٧) سورة البقرة [٢٦٩] .
(٨) تفسير الطبري : ج٣ / ٨٩ .

الإصابة في القول والفعل .

- وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسير نفس الآية :

« .. واختلف العلماء في الحكمة هنا ؛ فقال السُّديُّ : هي النبوَّة . وقال ابن عباس : هي المعرفة بالقرآن : فقهه ، ونسخه ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وغريبه ، ومقدّمه ، ومؤخره . وقال قَتادة ومجاهد : الحكمة هي الفقه في القرآن . وقال مجاهد : الإصابة في القول والفعل . وقال ابن زيد : الحكمة : العقل في الدِّين . وقال مالك بن أنس : الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتِّباع له . وروى عنه ابن القاسم أنه قال : « الحكمة التفكر في أمر الله والاتِّباع له ». وقال أيضًا : « الحكمة طاعة الله والفقهُ في الدِّين والعملُ به » . وقال الربيع بن أنس : « الحكمة الخشية » . وقال إبراهيم النَّخَعي : « الحكمة الفهم في القرآن» ، وقاله زيد بن أسلم . وقال الحسن : « الحكمة الورع » .

قلت : وهذه الأقوال كلها - ما عدا قول السُّدِّي والربيع والحسن - قريب بعضها من بعض ؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل ؛ فكل ما ذُكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس ؛ فكتاب الله حِكمة ، وسُنّة نبيِّه حكمة ، وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة . وأصل الحكمة ما يمتنع به السَّفَه ؛ فقيل للعلم حكمة ؛ لأنه يمتنع به ، وبه يعلم الامتناع من السَّفه ، وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم [1] .

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وأما الحكمة في القرآن فهي معرفة الحق ، وقوله ، والعمل به » [2] .
- وقيل : هي العلم النافع ، والعمل الصالح ، وإصابة الحق اعتقادًا وقولاً وعملاً [3] .
- وقال ابن حجر - رحمه الله - : « المراد بالحكمة : كل ما منع من الجهل ، وزجر عن القبيح » [4] .
- قال سيد قطب - رحمه الله - : « .. الحكمة ، وهي توخي القصد والاعتدال ، وإدراك العلل والغايات ، ووضع الأمور في نصابها في تبصر وروية وإدراك » [5] .
- وقال الشيخ ابن عثيمين : « الحكمة : إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ج ٣ / ٣٣٠ .
(2) الفتاوى : ج ١٥ / ٤٥ .
(3) إغاثة اللهفان ، لابن القيم : ج ٢ / ٢٥٧ بتصرف .
(4) فتح الباري ، ابن حجر ، ١ / ١٦٦ .
(5) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ج ١ / ٣١٢ .

الأمور منازلها ، وتوضع في مواضعها » [1] . قلت : وقد قال شيخ الإسلام الهروي - رحمه الله - في المنازل : « وهي وضع الشيء في موضعه » [2] .

أركان الحكمة وركائزها :

ذكر ابن القيم - رحمه الله - أن للحكمة ثلاثة أركان هي [3] :

١ - العلم . ٢ - الحلم . ٣ - الأناة .

أنواع الحكمة :

الحكمة نوعان :

النوع الأول : حكمة علمية نظرية ، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء ، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ، خلقًا وأمرًا ، قدرًا وشرعًا .

النوع الثاني : « حكمة عملية ، وهي وضع الشيء في موضعه » [4] .

« فالنوع الأول يتطلب العلم ، والنوع الثاني يستلزم العمل بالعلم » [5] .

« الحكمة » في القرآن الكريم :

ورد ذكرها مفردة ، ومقترنة بالكتاب ؛ فالمفردة كقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [6] ، والمقترنة بالكتاب كقوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [7] ، فالمفردة للسلف فيها معان عدة على ما ذكرنا في معنى الحكمة اصطلاحًا ، والمقترنة بالكتاب تعني السنّة .. كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة [8] .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- أن يدرك المسلم أهمية الحكمة في حياته عمومًا ، وفي الدعوة إلى الله خصوصًا ؛ إذ إنها ركن من أركانها ، وحصن من حصونها ، تمتنع بها من

---

(1) الصحوة الإسلامية .. ضوابط وتوجيهات ، لابن عثيمين ، ص ٣٥ .
(2) المدارج ، لابن القيم : ج ٢ / ٥٤٠ .
(3) المرجع السابق : ج ٢ / ٥٤١ .
(4) المرجع السابق : ج ٢ / ٥٤٠ .
(5) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله ، القحطاني ، ص ٣٥ .
(6) سورة النحل [١٢٥] .
(7) سورة الجمعة [٢] .
(8) المدارج : ٢ / ٥٣٩ .

الحماسة المتهورة والعواطف غير المنضبطة .

٢- أن تتجلى الحكمة في شخصيته ، وتبدو واضحة في اجتهاداته ودعوته ، لا سيما في :
- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .
- تربيته لنفسه وغيره .
- مواقفه وتصوراته وأحكامه .
- منهج عمله وتعامله مع واقعه .

٣- أن يتعرف المسلم على صور من حكمة السلف لتنمية النظرة الراشدة ، والفكرة المتزنة المعتدلة في برامجه اليومية واجتهاداته الدعوية .

٤- أن يأخذ بالأسباب الموصلة للحكمة ، لا سيما الفقه في الدين ، وتدبر كتاب الله الكريم وسنّةَ رسوله الأمين ﷺ ، والإفادة من خبرات إخوانه وأساتذته الدعاة العاملين ، ومجالستهم واستشارتهم في أمور دينه ودنياه .

٥- أن يحذر المسلم صفات الحماقة وخصال الطيش والسفاهة ، والتي تدعو إلى اعتساف الأمور وارتجالها مما يجر على الدعوة الكثير من المصائب والضوائق .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١- ماذا نقصد بالحكمة ؟
٢- أهمية الحكمة في الدعوة والتربية .
٣- كيف السبيل إلى الحكمة ؟
٤- مما يخلُّ بالحكمة ويوهنها .
٥- من صفات أهل الحكمة .
٦- من مستلزمات الحكمة في الدعوة ومقتضياتها .
٧- قواعد وتطبيقات حول الحكمة .
٨- أحاديث وآثار في الحكمة ، مع ذكر بعض فوائدها .

رابعًا : العرض :

١- ماذا نقصد بالحكمة ؟ (راجع دلالة المصطلح) .

٢- أهمية الحكمة في الدعوة والتربية :

تبدو أهمية الحكمة في شخصية المسلم في هديه وسلوكه ، ودعوته وتربيته لنفسه ولأتباعه ، في مواقفه وتصوراته .. ويمكن أن نوجز أهمية الحديث في الحكمة

بالأمور التالية :

٢ ـ ١ : إن الحكمة خلق من الأخلاق الكريمة الشريفة التي مَن أُوتيها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(١)، وهذا يدل على جليل شرفها ، وعظيم منزلتها ؛ لأنها تدل على الخير وتحث عليه ، وتمنع من السفه وتحجب عنه .

٢ ـ ٢ : إن الحكمة صفة من صفات الأنبياء والعلماء الأتقياء ، والدعاة الأصفياء يتواصون بها ويسيرون على نهجها . قال أبو عبد الرحمن الحُبُلي : « ليس هديةٌ أفضلَ من كلمةٍ حكمةٍ تُهديها لأخيك » (٢) ، ورسولنا ﷺ أرسل ليعلمنا الحكمة ويربينا عليها : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٣) .

٢ ـ ٣ : إن الحكمة ركن من أركان الدعوة ، وقاعدة من قواعدها الكبرى التي تقوم عليها ؛ ولهذا أمر الله بها ، وحثَّ عليها ، فقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٤).

٢ ـ ٤ : إن الحكمة من أكبر الأسباب التي إذا أخذ بها الداعية كسب ثقة الناس ؛ إذ بالحكمة يحكم أقواله ، ويسدد آراءه وأحكامه ، ويهذِّب طباعه وأخلاقه ، فيظهر بصورة عرضية ، وشخصية معتدلة وضيئة ، يجمع ولا يفرّق ، ويبشر ولا ينفِّر ، وييسر ولا يعسر ؛ وبهذا تكون عنده القدرة على أسر قلوب الناس واجتذابهم إلى الدعوة على اختلاف عقولهم وأمزجتهم وثقافاتهم ومشاربهم وطبقاتهم الاجتماعية .. وكم من عبارة خرقاء أو فعلة حمقاء صدرت من داعية نفّرت القلوب عنه ، وقد كانت قريبة منه ، وقد قال ﷺ : « **يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا** » (٥) .

٢ ـ ٥: إن الحكمة حصن تتحصن به الدعوة من العواطف المجردة ، والحماس المتهور ، الذي يؤدي بالدعوة إلى الاستئصال ، وبأفرادها إلى الانقطاع : « **إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى** » ، « ولقد وجدت في التاريخ دعوات إسلامية ، لم يكتب لها النجاح والتوفيق ؛ ولم يكن ذلك نقص في الإخلاص لدى أصحابها ، ولا لضعف اليقين فيهم ؛ لكن ربما يكون ذلك لأنهم لم يحسنوا الخطة ، ولم يقدروا العواقب ولم

---

(١) سورة البقرة [٢٦٩] .
(٢) موسوعة نضرة النعيم ، ٥ / ١٧٠١ .
(٣) سورة الجمعة [٢] .
(٤) سورة النمل [١٢٥] .
(٥) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، برقم : ٦٩ . ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير : ٣ / ١٣٥٩ .

يحكموا المراحل ، فكانت النتيجة الفشل والاستئصال)) [1] .

٢ ـ ٦ : بالحكمة تستثمر الطاقات ، وتعرف الأولويات ، ويُعطَى كل ذي حق حقه ، ويحصل التوازن في حياة المسلم ، وتنتظم الأمور ، ويحصل الكمال والبعد عن مواطن الزلل والإخلال .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

((فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة ، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه الإخلال بها . فأكمل الناس أوفرهم منها نصيبًا ، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثًا)) [2] .

٣ـ كيف السبيل إلى الحكمة ؟ :

لما كانت الحكمة من الصفات الأساسية في شخصية المسلم ؛ كان من الأهمية أن يسعى المسلم للتخلق بها وتأصيلها في نفسه ؛ حتى يلمس ثمارها في واقعه . ومن الأسباب التي تعين على اكتسابها والتخلق بها :

٣ ـ ١ : تدبر كتاب الله والتزام العمل به :

قدمنا أن من معاني الحكمة : ((معرفة الحق والعمل به ، والإصابة في القول والعمل ؛ وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن ، والفقه في شرائع الإسلام ، وحقائق الإيمان)) [3]، فتدبر القرآن خاصة ، وطلب العلم في شرائع الإسلام عامة ، تُمكِّن للحكمة في القلب وتوطد دعائمها ، فلا تجتثها معاول الفتن ، ولا توهنها حوادث المحن ، ولا تزعزعها الشبهات ولا كدورات الشهوات ، ولا تستفزها عاطفة طائشة ولا حماس متعجل ؛ ولهذا قال كعب : ((عليكم بالقرآن ، فإنه فهمُ العقل ، ونور الحكمة ، وينابيعُ العلم)) [4] . فالحكمة ثمرة من ثمار التربية القرآنية والفقه في كتاب الله ، وطلب العلم وعاء للحكمة ، وكلما اتسع الوعاء زاد حظه منها .

وقد ترجم البخاري ـ رحمه الله ـ في كتاب العلم لبابٍ في ((الاغتباط في العلم والحكمة)) باعتبار أن العلم وسيلة ، وأن الحكمة نتيجة طبيعية ؛ ولذلك نقل في الترجمة قول عمر : ((تفقهوا قبل أن تسودوا)) ؛ لِمَا تحتاجه الإمرة من حكمة العلم وتجربة العلماء ، ولِمَا قد تشغل الإمرة المبكرة في السن عن أخذ القسط اللازم من العلم الذي يكفل إمرةً حكيمة ناضجة راشدة [5] .

---

(١) الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ ، د . يوسف محيي الدين أبو هلالة ، ص ٥ . بتصرف .
(٢) مدارج السالكين ، ابن القيم : ج ٢ / ٥٤١ .
(٣) المدارج : ج ٢ / ٥٤٠ .
(٤) الدارمي ٢ / ٣١٢ ، رقم : ٣٣٢٧ ، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم : ٥ / ١٧٠١ .
(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، محمود الخازندار ، ص ١٢٣ ، بتصرف .

٣ - ٢ : مجالسة الصالحين ، والدعاة العاملين ذوي الفطنة والحكمة :

فمن مصادر الحكمة مجالسة العلماء المخلصين والدعاة العاملين ؛ الأخيار الصالحين الذين يستنير المرء بآرائهم ، ويستفيد من علمهم وتجربتهم ، ويقتدي بهم .

((قال لقمان لابنه : يا بُنيَّ ، عليك بمجالسة العلماء ، واسمع كلام الحكماء ، فإن الله - تعالى - يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر))(١) .

٣ - ٣ : الاستشارة :

إن من الحكمة ألا يعتمد المرء على رأي نفسه دون أن يستشير ذوي الخبرة والتجربة من إخوانه الصالحين ليزداد بصيرة بالعواقب ؛ ولهذا قيل :

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ ... برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافي قوةٌ للقوادمِ

ولهذا كان سيّد الحكماء ﷺ من أكثر الناس استشارة لأصحابه وهو المعصوم والمؤيَّد بالوحي بأبي هو وأمي ﷺ .

قال ابن الجوزي : اختلف العلماء ﷺ لأي معنى أن الله - عز وجل - أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه ﷺ مع كمال رأيه وتدبيره ، فقيل : ليُستن به من بعده .. قاله الحسن وسفيان بن عيينة . وقيل : لتطييب قلوبهم .. قاله قتادة والربيع وابن إسحاق ومقاتل .

قال ابن الجوزي : ومن فوائد المشاورةُ أن المشار إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قَدَر فلم يَلُمْ نفسه ، ومنها أنه قد يعزم على أمر يتبين له الصواب في قول غيره فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح . قال علي ﷺ : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه ، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم . وقال بعض الحكماء : ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر (٢).

٣ - ٤ : الحلم والأناة :

ثلاثية الحكمة : العلم ، والحلم ، والأناة ؛ ولهذا رفع الله من شأن العلم وأهله العاملين به ، وكان الحلم والأناة من الصفات التي يحبها الله - عز وجل - كما قال ﷺ

---

(١) روح المعاني ، الآلوسي : ج ٣ / ٤١ ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، الإحياء ، الغزالي : ج ٢ / ١٤٧ .
(٢) الآداب الشرعية ، ابن مفلح : ج ١ / ٣٢٥ .

لأشج عبدالقيس : ((**إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة**))[1]. فالحلم يعني حبس النفس حتى تخضع لسلطان العقل ، وتطمئن لما يأمرها به ، ((.. وهو حالة التوسط بين رذيلتين : الغضب ، والبلادة ؛ فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر ، كان على رذيلة ؛ وإن تبلَّد وضيَّع حقَّه ، ورضي بالهضم والظلم ، كان على رذيلة ؛ وإن تحلى بالحلم مع المقدرة ، وكان حلمه مع من يستحقه ، كان على فضيلة)) [2]. والموازنة أو التوسط تحتاج إلى كمال علم ؛ ولهذا تلاحظ أن عددًا من آيات القرآن الكريم ، التي وصفت الله - سبحانه - بالحلم ، قد اقترن فيها ذكرُ الحلم بالعلم مثل : ﴿ **وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾[3] ، ﴿ **وكان اللهُ عليمًا حليمًا** ﴾[4] ، ((وكأن الحكمة في هذا - والله أعلم بمراده - هي الإشارة إلى أن كمال الحلم يكون مع كمال العلم ..)) [5]؛ ولهذا قال أبو حاتم : ((ما ضمَّ شيء إلى شيء ، هو أحسن من حلم إلى علم)) ، وقال : ((الواجب على العاقل إذا غضِب واحتدَّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه ، مع تواتر انتهاكه محارمه ، وتعدِّيه حرماتِه ، ثم يحلم ، ولا يخرجه غضبه إلى الدخول في أسباب المعاصي)) [6] . والركيزة الثالثة بعد العلم والحلم هي الأناة ؛ وهي قريبة في معناها من الحلم ، وتأتي بمعنى التؤدة والتثبت والتبين وعدم العجلة في الأمور [7] .

ويمكن أن يُقال هي : ((التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ .. فالعجلة تُعرِّض صاحبها لكثير من الأخطاء والإخفاق والتعثر والارتباك ، ثم تعرِّضه للتخلف من حيث يريد السبق ، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، وبخلاف التباطؤ والكسل فهو أيضًا يعرِّض صاحبه للتخلف والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها)) [8] .

٣ - ٥ : الاستفادة من أخطاء الآخرين :

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ، ١ / ٤٨ . وقد ضعفوه لأن فيه دراجًا وهو ضعيف ، وقال ابن الجوزي تفرَّد به دراج ، وقد قال أحمد : أحاديثه مناكير أ . هـ . وكذلك ضعَّفه العلائي (الفيض ٦ / ٤٢٤) ، وانظر أيضًا الفتح (١٠ / ٥٣٠) . قلت : قد صحح الحديث موقوفًا على معاوية رضي الله عنه ولفظه : ((لا حليم إلاذ و تجربة)) المشكاة ، فليس به بأس ، وضعفه المناوي في الفيض : ٦ / ٤٢٤ ، والألباني في ضعيف الجامع : ٦٢٩٧.

(2) موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي : ج ١ / ١٨٢ - ١٨٣ باختصار .

(3) سورة الحج [٥٩] .

(4) سورة الأحزاب [٥١] .

(5) موسوعة أخلاق القرآن : ج١ / ١٨٥ .

(6) روضة العقلاء ، لأبي حاتم البستي ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(7) لسان العرب : ج ١ / ١٦١ .

(8) الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني ، ص ٦٨ - ٦٩ ، باختصار ، وتصرف .

السعيد من وعظ بغيره ، والحكيم من اتخذ من أخطاء غيره عبرة له فيحذر ما وقعوا فيه ، وقد قصَّ علينا القرآن الكريم الكثير من أحوال الأمم السابقة أفرادًا وجماعات ، وذكر جملة من مثالبهم ، وبيَّن سوء عاقبتهم ؛ لنتعظ بذلك ، وحتى لا نقع فيما وقعوا فيه .. فالحكمة تقتضي من المرء أن يجتنب مواطن الزلل والهلكة : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(1) .

بل ينبغي للمرء أن يستفيد من أخطاء نفسه ، فلا يكرر اليوم خطأه بالأمس ، وقد قال ﷺ : ((**لا يُلدغ المؤمن من جحر واحدٍ مرتين**)) (2) .

٣ - ٦ : الدعاء :

الحكمة فضل يؤتيه الله من يشاء ؛ ولهذا فإن المسلم يجتهد في سؤال الله - عز وجل - من فضله ، وأن يمنَّ عليه بالحكمة في شؤونه كلها . وقد سأل النبي ﷺ ربَّه لابن عباس - رضي الله عنهما - : ((**اللهم علِّمْهُ الحكمة**)) (3) . قال ابن حجر - رحمه الله - : ((واختلف في المراد بالحكمة هنا فقيل : الإصابة في القول ، وقيل : الفهم عن الله ، وقيل : ما يشهد العقل بصحته ، وقيل : نور يفرِّق به بين الإلهام والوسواس ، وقيل : سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك))(4). والحكمة تتضمن ما قيل كلَّه فلا تعارض بين هذه الأقوال .

٣ - ٧ : إتقان فقه الدعوة إلى الله (5) :

وهو متفرع عن العلم ، بيد أننا خصصناه بالذكر لأهميته ولحاجتنا إليه في واقعنا الحالي ، ولمجانبة البعض للحكمة في طرق دعوته للناس ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(6) . فإذا فقه الداعية آداب الدعوة ، وأتقن أساليبها ووسائلها ، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله . والذي يتأمل سيرة النبي ﷺ يجد الأساليب الحكيمة ، والمسالك القويمة في الدعوة ، والتي ينبغي أن تكون منطلق

---

(1) سورة آل عمران [١٣٧] .
(2) البخاري ، كتاب الأدب ، باب : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، برقم : ٦١٣٣ .
(3) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - برقم : ٣٧٥ .
(4) الفتح : ج ٧ / ١٠٠
(5) انظر للتوسع ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني ، ص ١٠٧ - ١١٥ .
(6) سورة النحل [١٢٥] .

كلِّ داعية في دعوته .

٣ ـ ٨ : القراءة في سير السلف :

تأمل أخبار الرجال ومواقفهم ، والاستفادة من مواعظهم وحكمهم مما يكسب المرء حكمة ، وبصيرة وتجربة .

٤- مما يخل بالحكمة ويوهنها :

كما رغَّب الإسلام بالأسباب التي تعزز الحكمة في القلوب ، وتبرزها في شخصية المسلم قولاً وعملاً وسلوكًا فإنه في المقابل حذَّر مما ينافيها من الصفات السيئة والخصال المذمومة ، ومنها :

٤ ـ ١ : الجهـل :

الجاهل عدو نفسه ، وكما أن العلم من أكبر أسباب الحكمة ، فإن الجهل من أعظم موجبات الطيش والحماقة . وكم جنى جهل بعض الدعاة على الدعوة من المصائب والبليَّات ، بل كل ما أصاب الدعوة من مصائب فإن سببه الجهل بحقيقة هذا الدين .

((فمن لم يتعرف على أصول العلوم ومناهج أهل العلم يتخبط في دعوته ، فربما قيد المطلق [1] أو أطلق المقيد [2] ، أو خصص العام [3] أو عمم الخاص [4] ، أو نسخ المحكم [5] ، أو أعمل المنسوخ [6] ، وربما احتجَّ بالموضوعات وردَّ الصحيح المتفق على صحته لهوى النفس ، بل ربما استشهد بالإسرائيليات والمنامات والقصص والحكايات ، فيؤول به الأمر إلى ترويج البدعة ورفض السُّنّة . وخطر أمثال هؤلاء عظيم وجسيم ؛ لأنهم دعاة يتعدى باطلهم إلى غيرهم)) [7] ، ولو تأملت فرق الأهواء التي ظهرت في تاريخ المسلمين : كالخوارج ، والقدرية ، والمعتزلة ، ونحوهم لوجدت أن للجهل النصيب الأكبر في

---

(١) المطلق : اللفظ الذي يدل على موضوعه من غير نظر إلى الوحدة أو الجمع أو الوصف ، بل يدل على الماهية من حيث هي ، كالرقبة في قوله تعالى : ﴿ فك رقبة ﴾ [البلد : ١٣] . أصول الفقه لأبي زهرة ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٢) المقيد : ما يدل على الماهية مقيدة بوصف أو حال أو غاية أو شرط أو بعبارة عامة مقيدة بأي قيد من القيود من غير ملاحظة عدد ، كقوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [سورة النساء : ٩٢] ، وهذا مثال القيد بوصف . المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) العام : اللفظ الدال على كثيرين ، المستغرق في دلالته لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد ، لا اشتراك فيه . المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) الخاص : اللفظ الذي وضع لمعنى واحد على سبيل الإفراد . المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٥) المحكم : اللفظ الدال على المقصود الذي سيق له ، وهو واضح في معناه لا يقبل تأويلاً ولا تخصيصًا ، وكان غير قابل للنسخ بسبب ذات النص ، فيسمى محكمًا لذاته ، أو كان عدم قابلية النسخ لعدم وجود ناسخ ، ويسمى محكمًا لغيره . المصدر السابق ١١٤ .

(٦) النسخ في اصطلاح الأصوليين : رفع الشارع حكمًا شرعيًّا بدليل متراخ ، والفرق بين النسخ والتخصيص أن النسخ يكون فيه النصان الناسخ والمنسوخ غير مقترنين زمانًا ، بل يكون الناسخ متأخرًا عن المنسوخ ، المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٧) العلاقة بين الفقه والدعوة ، مفيد خالد عيد ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

ضلالهم وانحرافهم عن الصراط المستقيم والمسلك القويم .

وقد يدفع الجهلُ وضحالة العلم الداعية إلى مزالق كثيرة ، منها :

- التقوّل على الله بغير علم ؛ لأن الداعية « معرَّض للسؤال عن أمور كثيرة في ميدان الدعوة - مما لا يسع الداعية جهله - فإما أن يتكلم بغير علم وحجة ، فيفسد على الناس دينهم ودنياهم ، ويلحقه الإثم العظيم من الله - سبحانه وتعالى - ، وإما أن يتهرَّب فتضيع الثقة في دعوته ، وتسقط هيبته » (١) .
- الغلو في العبادات والأفكار والأحكام ، أو عكس ذلك من التفريط وتمييع الدين والترخصات في غير موضعها ، وتتبع شواذ الفتاوى وزلات العلماء .
- والخلاصة أن الجهل شره عظيم وأثره على الداعية والدعوة جسيم ، ويعظم خطره عندما يكون الجاهل سيد قومه ، وقائد أتباعه ؛ ولهذا قال عمر - رضي الله عنه - « تفقهوا قبل أن تسودوا » .

٤ - ٢ : أُم الندامات :

العجلة في غير موضعها تدل على خِفة العقل وقلة رزانته وغلبة الشهوة عليه ؛ ولهذا جعل ابن القيم - رحمه الله - من آفات الحكمة وأضدادها العجلة ، وقال : « فلا حكمة لجاهل ، ولا طائش ، ولا عجول ، والله أعلم » (٢) . « فالعَجِلُ يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يُسأل ، ويحمد قبل أن يجرِّب ، ويذم بعد ما يحمد ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويمضي قبل أن يعزم ، والعجِلُ تصحبه الندامة . وتعزلهُ السلامة ، وكانت العرب تكني العجلة أمَّ الندامات » (٣) .

وقد قال ﷺ : « **التأني من الله ، والعجلة من الشيطان** » (٤) ، والعجلة في عامة القرآن مذمومة : ﴿ **سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ (٥) ، ﴿ **وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ** ﴾ (٦) ، ﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى** ﴾ (٧) ، وكان جواب موسى واعتذاره عن عجلته : ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** ﴾ (٨) ، فذكر أن عجلته ، وإن كانت مذمومة ، فالذي دعا إليها أمر محمودٌ

(١) العلاقة بين الفقه والدعوة ، مفيد خالد عيد ، ص ١٥٢ .
(٢) المدارج ، ٥٤١ .
(٣) روضة العقلاء ، للبستي ، ٣٥٥ .
(٤) رواه الترمذي بلفظ « **الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان** » ، وقال : حسن غريب ، ورواه أبو يعلى (٤ / ٢٠٦) (٤٢٤٠) ، قال الهيثمي في المجمع ٨ / ١٩ : رجاله رجال الصحيح .
(٥) سورة الأنبياء [٣٧] .
(٦) سورة طه [١١٤] .
(٧) سورة طه [٨٣] .
(٨) سورة طه [٨٤] .

، وهو طلب رضا الله تعالى [1] .

وهناك طرف آخر على النقيض من العجلة وهو التواني والتكاسل والتردد والتخاذل ، كلها رذائل لا تليق بحكيم ، ولا بد من الإشارة إلى أن الإسلام دعا إلى المبادرة والمسابقة في أعمال الآخرة عمومًا فقال - عز وجل - : ﴿ **سابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾ [2] ، ﴿ **وسارعوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾ [3] ، وجاء في الأثر : ((بادروا بالأعمال سبعًا)) ، أي : قبل أن تدهمكم هذه العوائق السبعة ، وذكر منها الفقر والمرض والموت والدجال ؛ ولهذا جاء في الحديث عنه ﷺ : ((**التؤدة في كل شيءٍ خير إلا في عمل الآخرة**)) [4] ، والتؤدة تعني : التأني .

- **صور للعجلة المذمومة :**

- العجلة في تصديق الأخبار قبل التثبت من صحتها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ [5].
- العجلة في إصدار الأحكام مدحًا أو ذمًّا دون دراية وتريُّث وتبيُّن .
- العجلة في الإفتاء أو رد الفتوى قبل معرفة الأدلة والرجوع إلى أهل العلم [6] .
- العجلة في الوصول إلى الثمرة ، وإدراك الغاية ؛ مما يؤدي إلى اعتساف الأمور ، وقد قيل : ((من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه)) .
- العجلة في إصلاح الناس : ((فليس من الحكمة أن تتعجّل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها ، ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله ، بعيد عن الحكمة)) [7] .
- العجلة في الدخول في مجابهات قبل أوانها ، ولم يحصل الاستعداد لها .

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن ، للأصفهاني : ٥٤٨ ، وانظر أيضًا روح المعاني ، للآلوسي : ج ١٦ / ٢٤٣ .
(2) سورة الحديد [٢١] .
(3) سورة آل عمران [١٣٣] .
(4) رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب الرفق ، برقم : ٤٨٠٧ ، وهو في صحيح الجامع برقم : ٣٠٠٩ .
(5) سورة الحجرات [٦] .
(6) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله ، للقحطاني ، ص ٧١ .
(7) الصحوة الإسلامية ، الشيخ ابن عثيمين ، ص ٣٥ ، وانظر أيضًا : أين الخلل ، د . القرضاوي ، ص ٥١ .

٤ ـ ٣ : الحماسة المتهورة والعواطف غير المنضبطة :

وهذه الآفة هي ثالثة الآفات ، والضلع الثالث في مثلث السفه والحماقة ، فالاندفاع بعاطفة غير منضبطة بالضوابط الشرعية والموازين العقلية يفسد صاحبها أكثر مما يصلح ، ويهدم أكثر مما يبني ، بل ربما كان ضرره على نفسه ودعوته أكثر من ضرر أعدائه عليه ؛ ولهذا ينبغي أن نلجم العواطف بلجام الشريعة ، ونضبطها بزمام العقل . وهذا لا يعني أن يكون المسلم بارد الشعور ، متبلد الإحساس ، قليل الاكتراث بقضايا أمته ، غير آبهٍ بالذلِّ الواقع عليها والمهانة التي مُنيت بها ، والهوّة التي تردَّت منها ، ولكنه يعني أن توظف هذه الحماسة وتستثمر تلك العاطفة في حدود ما تقتضيه المصلحة الشرعية ، وما يتناسب مع المرحلة الدعوية .

وقد رأى رسول الله ﷺ بعض الصحابة مندفعين بحماسة إلى إنكار منكر الأعرابي الذي وقف في المسجد فبال فيه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « **دعوه** » .. لأن المصلحة تقتضي أن يُترَك لِمَا يترتب على منعه من إكمال بوله من مفاسد عديدة ، ثم استثمر ﷺ تلك العواطف في جلب الماء لتنظيف المكان مع تعليم الأعرابي قدسية المساجد ، وأنها لا تصلح لشيء من البول ، ولا للقذر ؛ وإنما هي لذكر الله وقراءة القرآن ، فقال الأعرابي بعد أن فقه : « فقام النبي ﷺ إليَّ - بأبي هو وأمي - فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب » (1) .

قال الشيخ ابن عثيمين : « ينبغي لأهل هذه اليقظة والحركة المباركة ألاَّ تحملهم العاطفة ، فتصُدّهم عن التعقُّل ، وعن السَّير على مقتضى الشرع ؛ لأن العاطفة إذا لم تكن مقيدة بما يقتضيه الشرع والعقل فإنها تكون عاصفة ، ويترتب عليها من الضرر أكثر مما يترتب عليها من النّصح ؛ لذلك يجب أن يكون نظرنا بعيدًا ، ولست أُريد بهذا أن نسكت على باطل ، أو أن نؤيّد باطلاً ، ولكنّي أريد أن نأتي البيوت من أبوابها ، وأن نحاول بقدر استطاعتنا سلوك سبيل الحكمة في إزالة هذا الباطل والقضاء عليه ؛ لأن سلوك طريق الحكمة - وإن طال - فإن ثمرته ونتيجته تكون مرضية للجميع ، ربما الغيرة تطفئ لهيب النَّار ، لكن لا تطفئ الجمر الذي قد يتَّقد فيما بعد .

لذلك أحثُّ إخواني وأبناءنا الشباب أصحاب هذه الحركة وهذه اليقظة على التأنِّي ، وبُعْدِ النّظر والتعقل ، وأن يجعلوا تصرُّفاتهم كلّها على ما تقتضيه الشريعة ، وأن ينظروا كيف كانت حكمة النبي ﷺ في الدّعوة إلى الله ، وتغيير المنكر ، حتى يأخذوا

---

(1) انظر روايات الحديث في صحيح الإمام مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ٧ : برقم : ٥٣٧ ، ورواه الترمذي ، كتاب الطهارة ، باب ١١٢ ، ورواه أحمد في مسنده برقمي : ٧٢٥٤ و ١٠٥٤٠ .

منه أُسوةً حسنة ، فنعم الأُسوة برسول الله ﷺ)) [١] .

٤ - ٤ : ضيق الأفق :

ويقصد به سطحية التفكير وبساطته إلى حد الغفلة أو السذاجة ، والنظر إلى الأمور من جانب واحد .

وسوء تقدير للعواقب والنتائج ، وجهل بالواقع ومخططات الأعداء . يُضاف إلى ذلك عشوائية العمل وارتجالية الأهداف ، وإهدار للطاقات في قضايا ثانوية ، وتبديد للجهود في أمور هامشية ، وشغل النفس بالكماليات مع التفريط بالضروريات .

ومن صور ضيق الأفق :

- دعوى أن الإيمان بالله - عز وجل - يغني عن التخطيط والإعداد للدعوة .
- أن بداية الإصلاح للمجتمع تبدأ بتكسير محلات اللهو وحرق مراكز الرذيلة .
- جمع الأمة على رأي فقهي واحد في الفروع التي اختلف فيها السلف فضلاً عن الخلف .

((رأى داعية ملهم شابين من شباب الأمة وهما يتجادلان في مقدار الممسوح من الرأس : أهو الربع أم النصف أم الرأس كله ؟ ! ووصل الاختلاف إلى حد التراشق بالكلام ، بل إلى حد الضرب ، فقال لهما : احميا هذا الرأس من القطع أولاً ، فإن هناك مؤامرة من قبل أعداء الله على قطعه ، ثم بعد ذلك اختلفا في مقدار الممسوح منه)) [٢] .

قلت : ولو روعي في الاختلاف الأدب ، وحُرص على تقارب القلوب والتناصح والمجادلة بالتي هي أحسن ، وأُعطي كل شأنٍ حقه من الاهتمام لَمَا كان هناك تعارض بين الأمرين : وجود مؤامرة لا بد من التصدي لها ، وتحقيق القول الأصوب في القضايا الخلافية ؛ وإن كان الأولى ألا ننشغل بالقضايا الخلافية في وقتٍ تُزعزع فيه عقائد الأمة ، وتنتهك فيه ثوابتها .

٤ - ٥ : المبالغــة :

التهويل في وصف الأمور قدحًا أو مدحًا يخالف الحكمة ، وليس ذلك من صفات

---

(١) الصحوة الإسلامية : ضوابط وتوجيهات ، الشيخ محمد العثيمين ، ص ٦٧ ، وانظر أيضًا : أين الخلل ؟ د . القرضاوي ، ص ٤٤ .

(٢) انظر آفات على الطريق ، د . السيد نوح : ج ٢ / ٩٨ ، وانظر للتوسع أيضًا : مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبد الحميد البلالي ، ص ١٥ .

العقلاء الحكماء ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((**إذا قال الرجلُ : هلكَ الناسُ ، فهو أهلكهم**))[1]؛ لِمَا فيه من التيئيس والمبالغة في وصف حالة الناس فإن الخير باقٍ في أمة النبي محمد ﷺ ، وقد تواترت الأحاديث في ذلك ، وقد يصاحب هذا القول غرور في قلب قائله أو إحباط ويأس يعقبه قعود عن الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي آفات مهلكة وأمراض مردية .

من صور المبالغة المنافية للحكمة :

- التهويل من قوة الأعداء أو الاستهانة بها إلى حدِّ القعود عن الإعداد لمواجهتها والتصدي لها .
- المبالغة في حب شخص أو هيئة أو مؤسسة يحمل صاحبه إلى القول بعصمتها من الأخطاء ، أو العكس المبالغة في البغض إلى حد سلبها جميع إيجابياتها وتجريدها من كلِّ منجزاتها وإنكار فضلها .

والله - عز وجل - عندما وصف أم الخبائث في كتابه قال : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾[2] .

٤ - ٦ : الفوضوية :

من معاني الحكمة وضع الأمور في نصابها . قال الإمام الهروي - رحمه الله - : ((أن تعطي كل شيء حقَّه ولا تعديه حدَّه ، ولا تعجله عن وقته ، ولا تؤخره عنه))[3] ، فلابد من خطة عمل للمسلم الحكيم يسير وفقها ، ينظم فيها وقته ، ويوزع عليها مسؤولياته وواجباته ، فيقدِّم ما حق التقديم ، ويؤخر ما حقه التأخير ، ويعطي كل عمل ما يستحقه من الوقت دون زيادة ولا نقصان . فالفوضوي هو مَنْ أخلَّ بذلك كلِّه .

- ليس له خطة عمل ، يحدد فيها أهدافه ، ويراعي فيها أولوياته .

---

(1) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن قول هلك الناس ، برقم : ٢٦٢٣ . قال النووي - رحمه الله - : (فهو أهلكهم) روي أهلكهم على وجهين مشهورين : رفع الكاف وفتحها . والرفع أشهر . قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين : الرفع أشهر ، ومعناه أشدهم هلاكًا . وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين ؛ لأنهم هلكوا في الحقيقة ، واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم . قالوا : فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه . وقال الخطابي : معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول : فسد الناس ، وهلكوا ، ونحو ذلك . فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم ، أي : أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم . وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ، ورؤيته أنه خير منهم .

(2) سورة البقرة [٢١٩] .

(3) المدارج : ٢ / ٥٤٠ .

- لم يوفق بين الواجبات والأوقات ، فواجب بسيط يشتغل به وقتًا طويلاً ، وواجب كبير يعتسفه في لحظات .
- ابن لحظته ؛ فما مالت إليه نفسه ، ووافق هواه من المسؤوليات - انكب عليها دون سابق إعداد ولا ترتيب (١) .

فأين الحكمة مِمَّنْ كان هذا شأنه ؟ !

- هناك صفات أخرى تتنافى مع الحكمة ، يمكن أن يُفتح باب الحوار مع المستمعين لذكر بعضها .

- الثرثرة وكثرة الكلام دون تعقل وتدبر .
- الغرور والإعجاب بالرأي .
- الغضب (المذموم) .
- كثرة الضحك والمزاح (عدم مراعاة الوقت والمكان والشخص ..) .
- التعصب الممقوت للرأي والرجال والهيئات .

٥- من صفات أهل الحكمة :

كل ما ذكرناه من آفات الحكمة وموهناتها ، فإن أهل الحكمة ينأون بأنفسهم عنها ، بل ويتصفون بضدها ، ويمكن أن نؤكد في هذا المبحث على بعض الصفات التي ينبغي أن تظهر جلية في شخصية المسلم الحكيم ، والتي من الأهمية أن تُغرَس في القلوب ، وتنمَّى في العقول ؛ لتكون سجيةً لأبناء الدعوة ((**وإنما الحلم بالتحلم**)) (٢) . ومن هذه الصفات :

٥ - ١ : الاعتدال والتوازن :

الشطط في الأقوال والأعمال والأحوال ممقوتٌ شرعًا وعقلاً ؛ لأنه منافٍ للفطرة التي فطر الله - عز وجل - الناس عليها ، كما أنه لا يليق بمسلم ينتمي لهذه الأمة التي قال الله عنها : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ (٣) . فالمسلم ذو الشخصية الحكيمة تراه :

- متزنًا في تربيته لنفسه اعتقادًا وعبادة وسلوكًا .

---

(١) انظر للتوسع ، آفات على الطريق ، د .السيد محمد نوح : ج ٣ / ١٠١ ، والفوضوية ، عادل محمد آل عبد العالي .
(٢) صحيح الجامع ، برقم : ٢٣٢٤ ، ولفظه : ((**إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، ومن يتحرَّ الخير يعطه ، ومن يتوقَّ الشر يوقه**)) .
(٣) سورة البقرة [١٤٣] .

- متزنًا في علاقته مع الآخرين (لا يحب كلفًا ، ولا يبغض تلفًا) .
- متزنًا في دعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر (لا يتشدد فينفر ، ولا يتميَّع فيذوب) .
- متزنًا في مواقفه من العلماء والهيئات والمؤسسات (لا يتعصب ولا يتحامل)[1].

٥ - ٢ : مراعاة السنن الكونية :

فمن صفات الحكماء العقلاء ((مراعاة سنن الله الكونية في التدرج ، والصبر على الأشياء حتى تنضج وتبلغ مداها ؛ ذلك أن العجلة التي هي طبيعة الإنسان عامة والشباب خاصة ، والسرعة التي هي من طبيعة هذا العصر ، تجعل الكثير من الشباب المتحمس لدينه يريد أن يغرس اليوم ليجني الثمار في الغد ، أو يزرع في الصباح ليحصد في المساء ؛ ذاهلين عن سنّة الله الكونية التي تأبى هذا ؛ فالنواة لا تصبح شجرة مثمرة إلا بعد مراحل تقصر أو تطول ، حسب نوعها وتربتها ومناخها ، وظروف نمائها ، إلى أن تؤتي أكلها بإذن ربها ، والطفل ينزل من بطن أمه وليدًا ، فطيمًا ، فصبيًّا ، فيافعًا حتى يبلغ أشدّه ، وهكذا تتدرج الحياة في كل صورها ، من مرحلة إلى مرحلة حتى تكتمل ، وهذه سنّة الله في خلقه ، وكذلك بدأ الإسلام أول ما بدأ : عقيدة سهلة ، ثم أنزل الله التكاليف شيئًا فشيئًا ، وفرض الفرائض ، وحرم المحرمات ، وفصل الشرائع بالتدريج ، حتى كمل البناء ، وتمّت النعمة .. قال تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾))[2][3] .

((ولا يعني هذا أن نتدرج في الأحكام الشرعية بأن نعود بحكم المحرم - مثلاً - إلى ما قبل تحريمه ، لنتدرج به حسب الظروف إلى أن نصل إلى تحريمه ، ولكن نستفيد من هذا المنهج التدرج في العمل الدعوي ، بعرض الأهم قبل المهم ، مع مراعاة الظروف والأعمار والأحوال والمستويات))[4] .

٥ - ٣ : الحرص على الاستفادة من التجارب :

مما يلحظ على أهل الحكمة أنهم من أحرص الناس على الانتفاع بالتجارب ؛ سواء كانت لهم ، أم لغيرهم ؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنىَّ وجدها فهو أحق بها ، فأكسبتهم التجارب فطنة يبصرون بها طريقهم ؛ ولهذا جاء في الأثر : ((**لا حليم إلا ذو**

---

(1) انظر للتوسع ، مصطلح التوازن في الرائد .
(2) سورة المائدة [٣] .
(3) الصحوة بين الجحود والتطرّف ، القرضاوي ، ص ١٩٢ (نقلاً عن العلاقة بين الفقه والدعوة ص ١٥٧).
(4) انظر العلاقة بين الفقه والدعوة ، ص ١٥٧ .

عشرة ، **ولا حكيم إلا ذو تجربة**)) [1]، أي : من جرَّب الأمور وعلم نفعها وضرّها فلا يفعل ما يفعل إلا عن حكمة [2].

٥ ـ ٤ : التروِّي والتعقل والتثبُّت والتبيُّن :

((والأصل في هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ **إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[3] . فالحكيم يترفع عن الخوض في قضية لم يحط بها علمًا ، ويلجم لسانه بلجام التقوى ، فلا يتكلم إلا فيما استبان له رشده ، ورجحت مصلحته ، وأن كلَّ مسألة لا ينبني عليها عمل ؛ فالخوض فيها مما لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه . وما أحكم جواب الحسن البصري عندما سأله رجل عن القتال الذي وقع بين الصحابة فقال له : قتالٌ شهِدَه أصحاب محمد ﷺ وغِبْنَا ، وعلموا وجَهِلْنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا)) [4] .

كما أن هذه الصفة تحمي الحكيم من اتخاذ القرارات المرتجلة ، وتمنعه من إصدار الأحكام الطائشة ، وتقيه من الظنون السيئة .

٦- من مستلزمات الحكمة في الدعوة إلى الله ومقتضياتها :

الحكمة هي الإطار الذي يجب على الداعية ألا يتجاوز حدوده في أساليب دعوته ووسائلها ، ومراحلها وطرائقها ؛ فكل ما كان خارج حدود هذا الإطار فليس من الدعوة في شيء .

وإليك بعض مقتضيات هذه الحكمة مما تمس الحاجة إليه :

٦ ـ ١ : مراعاة التدرج في التعليم والتربية :

فمن الحكمة مراعاة سنّة التدرج في تربية النشء وتعليمهم ، فيُبدأ بالأصول قبل

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد : ٢ / ٢٦ ، والترمذي في البر : ٦ / ١٨٢ ، وقال : حسن غريب ، وابن حبان وصححه ، والحاكم وأقرَّه الذهبي .. قال ابن شاهين في الثقات : ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس ، وضعفه المناوي في الفيض : ٦ / ٤٢٤ ، والألباني في ضعيف الجامع : ٦٢٩٧ ، وقد ضعفوه ؛ لأن فيه دراجًا وهو ضعيف ، وقال ابن الجوزي : تفرَّد به دراج ، وقد قال أحمد : أحاديثه مناكير أ . هـ . وكذلك ضعَّفه العلائي (الفيض : ٦ / ٤٢٤) . وانظر أيضًا : الفتح (١٠ / ٥٣٠) . قلت : قد صحح الحديث موقوفًا على معاوية رضي الله عنه ولفظه : ((لا حليم إلا ذو تجربة)) المشكاة ..

(2) فضل الله الصمد ، الجيلاني : ٢ / ٢٧ ، وانظر أيضًا : الفتح : ١٠ / ٥٣٠ ، وفيض القدير : ٦ / ٤٢٤ ، ورسائل الإخاء ، النوري : ١ / ٦ .

(3) سورة الحجرات [٦] .

(4) انظر رسائل الإخاء ، للنوري : ١ / ٣٤ .

الفروع ، وبالمتفَق عليه قبل المختلَف فيه ، وبالواجبات قبل المستحبات ، وهكذا .. فبعض الدعاة وفقهم الله إلى الخير مِن دافع الحرص على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتسفون الطريق ، ولا يراعون التدرج والحكمة في الدعوة وتعليم العلم لمن هم في أول الطريق ؛ فتشحن أذهانهم بكبار المسائل وأحاديث الصفات وقضايا خلافية ، ينافح الناشئ عنها من دون فقه بأوليات العبادات ، فضلاً عن الفقه أو الفتيا بمثل هذه المسائل الكبار . فالداعية الموفق هو الذي (يربي الناس بصغار العلم قبل كباره) ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (1) .

٦ - ٢ : مراعاة آداب المخاطبة وتحديث الناس على قدر عقولهم :

الناس يتفاوتون في أفهامهم ، ويختلفون في قدر استيعابهم ، والداعية الحكيم من يراعي هذا التفاوت في حديثه ودعوته ، وقد بوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب العلم فقال : « باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموا » .

وقال عليٌّ رضي الله عنه : « حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسوله » . قال ابن حجر : « وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة .. ومثله قول ابن مسعود : « ما أنت مُحدِّثا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » رواه مسلم . وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة ، كما تقدم عنه في الجرابين ، وأن المراد ما يقع من الفتن ، ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين ؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة ، وظاهره في الأصل غير مراد ؛ فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب . والله أعلم » (2) .

وقد عدَّ الإمام الشاطبي - رحمه الله - تحديث الناس بما لا يفهمون نوعًا من البدعة الإضافية فقال : « ومن ذلك التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه ، فإنه من باب وضع الحكمة في غير موضعها ؛ فسامعها إما أن يفهمها على غير وجهها - وهو الغالب - وهو فتنة تؤدي إلى التكذيب بالحق ، وإلى العمل بالباطل ؛ وإما لا يفهم منها شيئًا وهو أسلم ، ولكن المحدث لم يعط الحكمة حقها من الصون ، بل صار في التحدث بها كالعابث بنعمة الله » (3).

---

(1) رسائل الإخاء ، النوري : ١ / ١١ - ٦٢ ، وقول ابن عباس - رضي الله عنهما - تخرَّج في صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل (باب رقم : ١٠) .

(2) الفتح ، ابن حجر : ج ١ / ٢٢٥ .

(3) الاعتصام ، الشاطبي : ٢ / ١٣ ، وانظر للتوسع : مقومات الداعية الناجح ، د . علي بادحدح ، مبحث المراعاة والتدرج ، ص ٨٥ - ١٠٢ ، وأيضًا الحكمة ، للمورعي ، ص ٢٠٧ - ٢١٢ .

ومن الحكمة التي تندرج تحت هذا الباب : مراعاة اختيار أسلوب الخطاب ترغيبًا أو ترهيبًا ، وعدم الاقتصار على لون واحد فييأسوا أو يأمنوا .

٦ - ٣ : مراعاة المصالح ودرء المفاسد :

فمن مستلزمات الحكمة « النظر في تقدير المصالح والمفاسد وتقريرها والترجيح بينها ، وهذا يحتاج إلى تقوى لله صادقة ، وبصيرة حليمة نافذة ، ومعرفة بالواقع واسعة ؛ ليتمكن الداعية من تحقيق مقصود الشريعة التي جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين ، وتحصّل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما »[1][2].

ومن أمثلة الحكمة النبوية في هذا الجانب تركه ﷺ لنقض الكعبة ، وإعادة بنائها حين قال ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - : « **يا عائشة لولا قومُك حديثٌ عهدُهم** (قال ابنُ الزبير : بكفر) **لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : بابٌ يدخلُ الناس ، وباب يخرجون** »[3] . قال ابن حجر - رحمه الله - : « ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه »[4] .

٦ - ٤ : مراعاة الأولويات :

والمراد بمراعاة الأولويات معرفة مراتب الأعمال ووضعها في مواضعها ، فإن المنهج الإسلامي قد جعل لكل عمل قدرًا ؛ فإماطة الأذى وإن كانت من الإيمان ، فإنها في المرتبة الدنيا كما قال ﷺ : « **الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** »[5] ؛ فلا إله إلا الله يقاتل لأجلها كما أخبر بذلك الرسول الكريم ﷺ بقوله : « **أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله** »[6] ؛ وإماطة الأذى لا يمكن أن تكون سببًا لقتال ، بل هي دون ذلك بكثير ، ويكفي فيها نصح ووعظ ، ولا يمكن المساواة بينهما ، في الدعوة إليهما والبذل في

---

(1) الفتاوى ، ابن تيمية : ٢٠ / ٤٨ .
(2) انظر للتوسع ، مقومات الداعية الناجح ، ٩٦ - ٩٩ .
(3) رواه الإمام البخاري ، كتاب العلم ، باب : من ترك بعض الاختيار مخافة أن يَقْصُرَ فهمُ بعضِ الناس عنه فيقعوا في أشد منه ، برقم : ١٢٦ .
(4) الفتح ، ابن حجر : ١ / ٣٢٥ .
(5) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، برقم : ٩ ، ورواه مسلم [واللفظ له] .
(6) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾، برقم : ٢٥ ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، برقم : ٣٢ .

سـبيل تحقيقهما)) [1]. ومن الأمثلة التطبيقية لهذا المبدأ (مراعاة الأولويات ، والبدء بـالأهم) حديث معاذ عندما بعثه النبي ﷺ لليمن [الفتح : ٣ / ٣٢٢] .

٦ - ٥ : مراعاة الأوقات :

((والمقصـود بهـا تخيـر الوقـت الملائـم للـدعوة مـن حيـث فـراغ المـدعوين واستعدادهم للتلقي ، وكذا المراعاة لأوقات المواعظ والدروس ، ومناسبة طول وقتها لأحـوال النـاس ، ويندرج تحت ذلك مراعـاة استعداد المدعو وبلوغه المرحلـة التـي يكون فيها الوقت مناسبًا لتفاعله واستجابته)) [2] .

قال ابن مسعود : ((كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)) [3] .

٦ ـ ٦ : مراعاة التخطيط والتنظيم :

فمن الحكمة الإعداد لكل أمر عدته ، وعدم ترك الأمور للمصـادفات ، وهذا من اتخاذ الأسباب الذي أُمرنا به شرعًا : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ . ومما يستشهد له في هذا من سيرة المصطفى ﷺ حدث الهجرة إلـى المدينـة وتخطيطـه وتنظيمه ﷺ لإتمام هجرته بنجاح .

٦ - ٧ : جوانب أُخرى :

- مراعاة قِدم الاستقامة أو الهجرة (في التكاليف والمحاسبة ..) .
- مراعاة أصحاب الفضل .

وهكذا .. [4] .

٧- قواعد وتطبيقات حول الحكمة :

هذه مجموعة من القواعد التي تعين على الاجتهاد ، واتخاذ المواقف الصحيحة ، والقرارات السليمة ، مع بعض المواقف التطبيقيـة التـي تؤكد مفهوم القاعدة ؛ وذلك للتدرب على إنزال هذه القواعد على الواقع .

---

(1) مقومات الداعية الناجح ، ص ٩٢ - ٩٣ ، وانظر أيضًا الحكمة ، للمورعي ، ص ٢١٧ .
(2) المرجع السابق : ٩٩ ، وانظر أيضًا الحكمة ، للمورعي : ٢١٧ وما بعدها .
(3) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب : ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة كي لا ينفروا ، برقم : ٦٨ ، وانظر للتوسع الحكمة ، للمورعي ، ص ٢٢٠ .
(4) للتوسع ، انظر المراجع التالية:
- الحكمة في الدعوة إلى الله ، د . زيد الزيد .
- قواعد في الدعوة ، طلعت همام سعيد .
- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، الشيخ ابن عثيمين .

٧ - ١ : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (١) :

وهذا في حالة كون المفسدة التي يراد درؤها أكبر من المصلحة التي يُراد جلبها ، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في درجات إنكار المنكر : « فإنكار المنكر أربع درجات ، الأولى : أن يزول ويخلفه ضده . الثانية : أن يقل وإن لم يزل بجملته . الثالثة : أن يخلفه ما هو له . الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه . فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة .

ومن الأمثلة التطبيقية ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - ، حيث يقول : « .. فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة ، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله : كرمي النشّاب ، وسباق الخيل ، ونحو ذلك . وإذا رأيت الفسَّاق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مُكاء وتصدية ، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك ؛ فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك ، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخِفْتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى ، وهذا باب واسع .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه - يقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر ، لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم » (٢) .

٧ - ٢ : من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه :

بعض الدعاة يريد أن يبذر اليوم ويحصد غدًا ، فيعتسف الأمور ؛ فتكون عاقبته الندامة واليأس من العمل . ولقد فقه عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - هذه القاعدة من دعوته للناس فقال لولده عبد الملك - رحمه الله - ، وقد استبطأ ما يقوم به والده من التدرج في إصلاح الأمور [بقوله] : « ما لك لا تُنفذ الأمور ؟ ! فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ! » ، فقال عمر - رحمه الله - : « لا تعجل يا بني ، فإن الله ذمَّ الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة ؛ فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » (٣) .

---

(١) هذه القاعدة زيادة توضيح للمبحث (٣٠٠٦) .
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم : ج ٣ / ٥ ، وانظر فتاوى شيخ الإسلام : (٢٨ / ١٣٠) ، (٢٠ / ٥١) ، وكذلك اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢٩٨ .
(٣) الموافقات ، الشاطبي : ٢ / ٩٣ - ٩٤ .

٧ - ٣ : اعتبار المآل [1] :

ونعني بها في الدعوة : توقع نتيجة العمل التي سيحدث عند قيامنا به لتفادي أي أثر غير مقبول .

ومعناها في كتب الأصول ما ملخصه أنه إذا كان هناك عمل جائز في ذاته ولكن مآله (عاقبته) غير مقبول ، صار هذا العمل غير جائز ، والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [2] .

والأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة الحكيمة كثيرة ، منها :

- الإنكار على الملوك والرؤساء ؛ فإنه ينظر إلى الآثار المترتبة على ذلك ، فإن ترتب على هذا الإنكار مفسدة ، هي أشد من مفسدة منكرهم ، فإنه لا يجوز الإنكار عليهم أو الخروج عليهم ؛ لأن المآل لهذا العمل مما جاءت الشريعة بالنهي عنه ، وكم ضُيِّق على الدعوة والدعاة بسبب تصرف أهوج قام به أحد المتحمسين دون مراعاة لمآل عمله .
- إذا كان سهر الليل بالنسبة لبعض الدعاة - في الأعمال المستحبات - يؤدي إلى تضييعهم لصلاة الفجر فإنه لا يجوز لهم السهر .

٧ - ٤ : ما كل ما يعرف يقال ، ولكل مقام مقال :

وقد سبق أن وضحنا هذه القاعدة في مبحث (٦ - ٢) .

٧ - ٥ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه » :

ومن الأمثلة التطبيقية :

- الاكتفاء بقراءة المقالات النافعة في الجرائد والصحف ، وعدم إضاعة الوقت في قراءة كل ما نشر .
- عدم الخوض في الخلاف بين الصحابة ﷺ وقد قال أحد السلف ، وقد سئل عن رأيه في هذا الخلاف : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [3] .

---

(1) توسعنا في شرح القاعدة مع تطبيقاتها في القائد ، فلتراجع هناك .
(2) سورة الأنعام [١٠٨] .
(3) سورة البقرة [١٣٤]

٧ - ٦ : نتعاون فيما اتفقنا عليه (١) .

٨ - أحاديث وآثار في الحكمة وذكر بعض الفوائد :

٨ - ١ : ((**إن من الشعر لحكمة**)) (٢) **:**

قال ابن حجر : ((أي : قولاً صادقًا مطابقًا للحق . وقيل أصل الحكمة المنع ، فالمعنى أن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السفه)) (٣) .

ويستفاد من ذلك :

٨ – ١ – أ : أهمية استثمار الشعر في الدعوة إلى الله .

٨ – ١ – ب : أهمية حفظ الداعية بعض الأبيات التي فيها حكمة ليسدد بها في حديثه .. وقد كان النبي ﷺ يفعله . قال ابن حجر : وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد والترمذي وصححه ، والنسائي من رواية المقدام بن شريح عن أبيه ((قلت لعائشة : أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل من شعر ابن رواحة : ويأتيك بالأخبار مَنْ لم تزود)) (٤) .

٨ - ٢ : ((رأس الحكمة مخافة الله)) :

رواه البيهقي في شعب الإيمان موقوفًا من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته : ((خير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله)) . قال البيهقي : وقد روي من وجه آخر ضعيف ، مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، وقد أخرجه أيضًا العسكري في الأمثال والديلمي والقضاعي (انظر كشف الخفاء : ج ١ / ٥٠٧) . قال العراقي في تخريج الإحياء (٤ / ١٦١) : رواه أبو بكر بن بلال الفقيه في مكارم الأخلاق ، والبيهقي في الشعب ، وضعفه من حديث ابن مسعود ، ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ، ولا يصح أيضًا .

٨ - ٣ : عن عبد الله بن بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لا حسد إلا في اثنتين ، رجلٌ آتاه اللهُ مالاً فسلطه على هلكتهِ في الحق ، وآخرُ آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**)) (٥) :

---

(١) راجع سلسلة قواعد وفنون التعامل مع الآخرين : د. علي الحمادي ، دار ابن حزم [((وإذا غلا شيءٌ علـيَّ تركته)) ، رقم الكتاب في السلسلة : ٥] .
(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ، وما يكره منه ، برقم : ٦١٤٥ .
(٣) الفتح ، ابن حجر : ج ١٠ / ٥٤٠ .
(٤) المرجع السابق : ج ١٠ / ٥٤١ .
(٥) رواه البخاري ، كتاب الأحكام ، باب أجر من قضى بالحكمة ، برقم : ٧١٤١ .

- فيه فضل أصحاب الحكمة ، وأنهم ممن يغبطون على ما آتاهم الله من فضله .
- وفيه فضل العمل بالحكمة وتعليمها للناس .
- وفيه دلالة على تلازم عمل الداعية بما يدعو إليه الناس .
- والغبطة ليست محصورة في هذين الأمرين كما قد يفهمه البعض من قوله ﷺ : ((**لا حسد إلا في اثنتين**)) ؛ وإنما المراد : ((أنه لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين)) (١) .

٨ ـ ٤ : الحكمة ضالة المؤمن :

- ((**كلمة الحكمة ضالةُ كلِّ حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها**)) رواه العسكري والقضاعي وهو ضعيف [الكشف : ١ / ٤٣٥] .
- ((**الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها**)) . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإبراهيم بن الفضل ضعيف في الحديث . فالحديث ضعيف ، ولكن معناه صحيح ، فإن الحق هو مراد المؤمن ، لا يهمه من أي مورد جاء ، وعلى أي لسان جرى . روى العسكري عن مبارك بن فضالة قال : خطب الحجاج فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ، وكفانا مؤنة الدنيا فليته كفانا مؤنة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . قال : يقول الحسن : ضالة المؤمن عند فاسق فلْيأخذْها .

وعن يوسف بن أسباط قال : ((كنت مع سفيان الثوري وحازم بن خزيمة يخطب فقال : إن يومًا أسكر الكبار وأشاب الصغار ليوم عسير ، شره مستطير ، فقال سفيان : حكمة من جَوْفٍ خرب ، ثم أخرج ألواحًا فكتَبَها)) (٢). قال ابن عباس : ((خُذ الحكمة ممن سمعت ، فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، فتكون كالرمية خرجت من غير رام)) رواه البيهقي (٣).

٨ ـ ٥ : (إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيمًا ولا تُوصِه) :

وهذا مما يستشهد به الناس إذا أرادوا أن يرسلوا شخصًا لقضاء حاجةٍ مهمة . وقد

---

(١) الفتح : ١ / ١٦٧ .
(٢) كشف الخفاء : ١ / ٤٣٦ .
(٣) المرجع السابق : ١ / ٤٣٦ ، ١ / ٥٢٦ .

قيل : ((الحاجة على قدر الرسول)) [١] .

خامسًا : بعض التطبيقات العملية لتأكيد معاني الدروس :

١- تحديد بعض المنكرات (في البيت أو الحي أو مكان العمل) ، والتشاور في كيفية إزالتها أو التخفيف منها بالأسلوب الأحكم والطريقة الأمثل (من الوسائل : كتابة رسالة ، توزيع شريط في موضوع المنكر ، المناصحة المباشرة أو من خلال الهاتف ، فتوى ترسل بالفاكس ، سؤال أهل العلم بإنكار المنكر والتصدي له .. إلخ) .

٢- قراءة كتب فقه إنكار المنكر للشيخ عبد الحميد البلالي ، ومدارسته والإفادة منه في معرفة المنهج الحكيم في تغيير المنكر .

٣- إقامة دورة في فن الدعوة ، وإتقان أساليب الاتصال الحكيم بالناس ، وتقوية العلاقـــــــة بهم ، ونشر الخير بينهم .

٤- ذكر بعض الممارسات الخاطئة ، التي يقوم بها بعض الدعاة ، والتي ترتبت عليها مفاسد عظيمة ، مع مناقشتها وفق المعايير الشرعية ؛ لمعرفة مواضع الزلل ، والوقوف على نقاط الخلل .

٥- زيارة بعض أهل العلم وطلب النصيحة منهم ، والإفادة من علمهم في الدعوة والتربية .

٦- جمع بعض المقالات لشيخ الإسلام ابن تيمية التي تؤكد معنى الحكمة في :

- نقد الآخرين (أفرادًا وجماعات) .
- منهج تربية النفس .
- إنكار المنكر .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف .
٢- التعريفات ، الجرجاني .
٣- فتح الباري ، ابن حجر .
٤- جامع البيان من تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، دار الفكر .
٥- إغاثة اللهفان ، ابن القيم .

---

(١) المرجع السابق : ١ / ٤٠٨ - ٤٠٩ .

٦- الصحوة الإسلامية .. ضوابط وتوجيهات ، الشيخ ابن عثيمين ، إعداد وترتيب علي أبو لوز ، دار المجد ، ط١ .

٧- الاعتصام ، الشاطبي ، دار المعرفة .

٨- الصفات اللازمة للدعاة إلى الله ، لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ، دار الدعوة ، الكويت .

٩- منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ، د . أحمد الخلف ، أضواء السلف .

١٠-الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني ، ط١ .

١١-أين الخلل ؟ د . يوسف القرضاوي ، مكتبة شمس ، ط١ .

١٢-الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرّق المذموم ، القرضاوي ، دار الصحوة ، ط١ .

١٣-مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، البلالي ، دار الدعوة .

١٤-معايير منهجية في الدعوة الإسلامية ، اللجنة الثقافية في مؤسسة الكلمة ، مؤسسة الكلمة .

١٥-الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ ، د . أبو هلالة ، دار العاصمة .

١٦-هكذا فلندع إلى الإسلام ، د . البوطي ، مؤسسة الرسالة .

١٧-الحكمة في الدعوة إلى الله (تعريف وتطبيق) ، د . زيد الزيد ، دار العاصمة ، ط١ .

١٨-رسائل الإخاء ، نادر النوري ، دار الدعوة .

١٩-الحكمة والموعظة الحسنة ، د . أحمد المورعي ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ .

٢٠-طريق الدعوة الإسلامية ، جاسم الياسين ، دار الدعوة ، ط١ .

٢١-خواطر في الدعوة إلى الله ، محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، ط ١ .

٢٢-مجموعة رسائل البنا ، حسن البنا ، المؤسسة الإسلامية .

٢٣-روضة العقلاء ، البستي ، مكتبة نزار الباز .

٢٤-الحماس الذي نريد ، عادل آل عبد العالي ، ط ١٤١٨ .

٢٥-منهج الدعوة إلى الله ، د . عبد الرحيم المغذوي ، دار إشبيليا ، ط١ .

٢٦-إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم ، دار الجيل ، بيروت .

٢٧-مقومات الداعية الناجح ، د . علي بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ .
٢٨-العلاقة بين الفقه والدعوة ، مفيد خالد عيد ، دار ابن حزم ، ط١ .
٢٩-فقهيات في التعامل الحركي ، بسام عطية فرح ، دار البشير ، عمان .
٣٠-موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي .
٣١-الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم ، دمشق .
٣٢-وإذا غلا شيء عليَّ تركته ، د . علي الحمادي ، دار ابن حزم .

بالإضافة إلى عشرات المراجع في التفسير والحديث والفقه وأصوله مما ورد ذكر طبعاتها في مصطلحات سابقة ، فأغنى عن إعادتها مرة أخرى .

خوف

الخـوف

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة : يأتي على عدة معان :

- الذعر والفزع : قال ابن فارس - رحمه الله - : الخاء والواو والفاء أصل واحد يدلُّ على الذُّعُرِ والفزَع [1] .
- القتل والقتال : وبه فسَّر اللِّحيانُّي قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾[2]، وقوله أيضًا : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾[3].
- العلم : وبه فسَّر اللحياني قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾[4]، ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[5][6]، أي علمت من زوجها نشوزًا.

ب - اصطلاحًا :

- قال الجنيد : الخوف : توقع العقوبة على مجاري الأنفاس . وقيل : الخوف : اضطراب القلب وحركته من تذكُّر المخوف [7] .
- قال الراغب : الخوف : توقُّعُ مكروه عن أمارةٍ مظنونةٍ ، أو معلومة [8].
- قال الغزالي : الخوف : تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل [9] .
- قال الجرجاني : الخوف : توقع حلول مكروه ، أو فوات محبوب [10].
- وفي المعجم الوجيز : « الخوف : انفعال في النفس يحدث لتوقُّعِ ما يَرِدُ من المكروه أو يفوت من المحبوب » [11].

ج - الألفاظ المقاربة للمصطلح :

---

(1) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٢ / ٢٣٠ .
(2) سورة البقرة [١٥٥] .
(3) سورة النساء [٨٣] .
(4) سورة البقرة [١٨٢] .
(5) سورة النساء [١٢٨] .
(6) لسان العرب ، ابن منظور : ٢ / ١٢٩١ ، وانظر أيضًا : قاموس القرآن ، الدامغاني : ١٦٥ .
(7) المدارج ، ابن القيم : ١ / ٥٦٥
(8) مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٣٠٣ .
(9) الإحياء ، الغزالي : ٤ / ١٥٥ .
(10) التعريفات ، الجرجاني : ١٣٧ .
(11) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية : ص ٢١٤ .

- الخشية والوجل والرهبة :

يرى ابن القيم أنها ألفاظ متقاربة غير مترادفة [١] .

قال - رحمه الله - : ((الخشية : أخصُّ من الخوف ، فإن الخشية للعلماء بالله ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [٢] ، فهي خوف مقرون بمعرفة .. وقال النبي ﷺ : ((**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**)) [٣] ؛ فالخشية أعلى منزلة من الخوف نظرًا لتمام معرفة صاحبها بالله - عز وجل - وخشية الأنبياء من هذا القبيل)) [٤] .

- الوجل : رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته ، أو لرؤيته [٥] . قلت : وقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية الوجل بمعنى الخوف فقال : الوجل هو الخوف [٦] .
- الرهبة : هي الإمعان في الهرب من المكروه [وقد جعلها بعضهم بمعنى الخوف] [٧] .
- وأما الهيبة : فخوف مقارن للتعظيم والإجلال ، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة . والإجلال : تعظيم مقرون بالحب .. فالخوف لعامة المؤمنين ، والخشية للعلماء العارفين ، والهيبة للمحبين ، والإجلال للمقربين ، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية [٨] .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- تعزيز صفة الخوف من الله في القلوب ، وتنميتها في النفوس ، وتربية الأفراد على مراقبة الله في الخلوة والجلوة ، وذلك من خلال بيان فضيلة الخوف من الله في الدنيا والآخرة ، وذكر بعض الأسباب الموصلة إليه .

٢- بيان المعنى الحقيقي للخوف من الله ، وأنه ما ظهرت آثاره على شخصية المسلم فأورثه فعل الطاعات واجتناب الفواحش والمنكرات ، كما قيل : ((لا يُعدُّ خائفًا مَنْ

---

(١) المدارج ، ابن القيم : ١ / ٥٦٤ .
(٢) سورة فاطر [٢٨] .
(٣) رواه البخاري ، كتاب النكاح .
(٤) التعريفات للجرجاني ، ص ١٣٣ .
(٥) المدارج : ١ / ٥٦٥ .
(٦) الفتاوى ، ابن تيمية : ٨ / ١٩ .
(٧) لسان العرب : ١ / ٤٢٦ .
(٨) المدارج : ١٠ / ٥٦٦ .

لم يكن للذنوب تاركًا » (١) . وذلك من خلال بيان آثار أو ثمرات أو علامات الخوف الصادق .

٣- التنبيه على كثرة أسباب الخوف عند السلف ، وأنها ليست محصورة بذنب اقترف ؛ ولهذا ظلّت قلوبهم عامرةً بالخوف من ربهم [بيان بعض أسباب الخوف عند السلف] .

٤- التأكيد على ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من الجرأة والشجاعة في الحق ، وذلك من خلال بيان عدة صور من الخوف المذموم الذي ينبغي أن نطهر منه نفوسنا [انظر أقسام الخوف : الخوف في القيام بالطاعة] .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

- معنى الخوف (انظر دلالة المصطلح) .
١- أهمية الموضوع .
٢- فضل الخوف من الله - عز وجل - .
٣- أقسام الخوف .
٤- ما أسباب الخوف عند السلف ؟
٥- مَنْ هو الخائف حقًّا ؟
٦- الأسباب الموصلة إلى الخوف من الله - عز وجل - .
٧- صور من خوف السلف .
٨- أمور حذَّرنا منها النبي ﷺ وخافها علينا .
٩- مسائل حول الخوف .

رابعًا : العرض :

١- أهمية الموضوع :

الخوف من الله من الموضوعات المهمة التي ينبغي أن نتعاهد أنفسنا بالتذكير بها والحث عليها ؛ ليظهر آثاره في قلوبنا ، فتزكو نفوسنا ، وتسمو أخلاقنا . وتزداد أهمية عرض هذا الموضوع في عصرنا لأسباب عدة ، منها :

١ - ١ : الخوف من الله من أفضل مقامات الدين ؛ ذلك لأنه يذكر صاحبه بالله - عز وجل - ويحثه على المبادرة بالصالحات ، ويكبح جماح الشهوات ، ويدعوه إلى التجافي عن الدنيا وعدم الاغترار بزخارفها ؛ ولهذا فهو من أجلِّ الصفات ، وأنفعها للقلب .. ولهذا قيل : « ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب » ، فما أحوجنا إليه ، وما أعظم

(١) مفردات القرآن ، الأصفهاني ، ص ٣٠٣ .

افتقارنا إليه . نسأل الله أن يسدّ مفاقِرَنا ، ويجبر كسرنا ، ويرحم ضعفنا .

١ - ٢ : إن غرس صفة الخوف من الله في القلب من أعظم أسباب العصمة من مزالق الانحراف ، والسلامة من آفات الانجراف ؛ ولهذا فإننا من أحوج الناس إلى عمارة قلوبنا به ، لا سيما في عصرنا هذا الذي عظمت فيه أسباب الفتن ؛ لنقف موقف ذلك الرجل ، الذي عندما دعته تلك المرأة ذات المنصب والجمال ((**فقال** : **إني أخاف الله**)) [1] . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((ولا بد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب إلى الله - عز وجل - فتعتصم به ؛ فتقل آفاتها ، أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته ، فنقول : اعلم أن محركات القلوب إلى الله - عز وجل - ثلاثة : المحبة ، والخوف ، والرجاء)) .. إلى أن قال : ((والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق)) [2] . فالخوف يعصم من الانحراف أو الخروج ، والرجاء يقود ، والمحبة تدفع للسير ومواصلته .

١ - ٣ : إن الخوف من الله من أسباب التزام المرء بفعل الواجبات والمواظبة عليها ، وترك المنهيات والابتعاد عنها . قال عز الدين بن عبد السلام - يرحمه الله - : ((الخوف والرجاء وسيلتان إلى فعل الواجبات والمندوبات ، وترك المحرمات والمكروهات)) [3] .

١ - ٤ : الخوف من الله صفة من صفات الأنبياء ، وخصلة من خصال الأتقياء ، وقد أثنى الله - عز وجل - على أنبيائه بالخوف منه فقال : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** ﴾ [4] ، وقال سبحانه : ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ** ﴾ [5] ، والدعاة هم ورثة الأنبياء في التبليغ ، وهم أولى الناس بالخشية منه والإنابة إليه .

١ - ٥ : الخوف من الله حصن يتحصن به المؤمن من الجبن والخور الذي ينفثه الشيطان في قلبه عندما يواجه جنود الباطل ؛ فلا يخشى باطلهم ، ولا يستكين لمكرهم ، ولا يستجيب لضلالهم مهما أُوذي في ماله وبدنه : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ**

---

(1) رواه البخاري .
(2) الفتاوى ، ابن تيمية : ١ / ٩٥ .
(3) تفسير الثعالبي : ج٢ / ٣٤٧ ، وانظر أيضًا الإحياء ، الغزالي : ج٤ / ١٥٧ .
(4) سورة الأنبياء [٩٠] .
(5) سورة الأحزاب [٣٩] .

﴿ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ (١) ، ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

١ - ٦ : الخوف من الله من لوازم الإيمان وموجباته (٣) ، وهو فرض على كل أحد (٤) ، والله أمر به بقوله : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥) ، فأوجبه وشرطه في الإيمان ؛ فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف (٦) ؛ ولهذا كان لا بد من التعريف به والوقوف على أسباب زيادته ، والعمل على تقويته في الفؤاد .

٢- فضل الخوف من الله - عز وجل - :

إن فضيلة الشيء تعرف بما ورد في فضله من النصوص والآثار ، وبقدر ما يفضي بالعبد إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار ، وبقدْر ما يعين العبد على التقرب إلى العزيز الغفار . وإليك بعض ما ورد في فضيلة الخوف والخائفين من الله :

٢ - ١ : من أسباب المغفرة والرحمة :

أورد الإمام البخاري قصة ذلك الرجل الذي غفر الله له لخوفه من الله ، وهي قصة عجيبة يرويها الصادق المصدوق ﷺ فيقول : ((**كان رجلٌ ممن كان قبلكم يُسيءُ الظن بعمله ، فقال لأهله : إذا أنا متُّ فخذوني فذَرُّوني في البحر** (وفي رواية أبي سعيد : **فإذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني**) **في يوم صائف ؛ ففعلوا به . فجمعه اللهُ ثم قال له : ما حملك على الذي صنعت ؟ قال : ما حملني عليه إلا مخافتك . فغَفَر له**)) (٧) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((.. قد غفر الله لمن خافه حين أمر أهله بتحريقه وتزريته نصفه في البر ونصفه في البحر ، مع أنه لم يعمل خيرًا قط ، وقال : والله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين . فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، وقال : ما حملك على ما صنعت قال : خشيتك يا رب ، فغفر له . أخرجاه في الصحيحين ، فإذا كان مع شكِّه في القدرة والمعاد إذا فعل ذلك غفر له بخوفه من الله ، عُلِم أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة ..)) (٨) .

---

(١) سورة آل عمران [١٧٣ - ١٧٤] .
(٢) سورة التوبة [١٣] .
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم : ٤٦٦ .
(٤) المدارج ، ابن القيم : ١ / ٥٦٤ .
(٥) سورة آل عمران [١٧٥] .
(٦) الإحياء ، الغزالي : ٤ / ١٦١ .
(٧) رواه البخاري من حديث حذيفة ، كتاب الرقاق ، باب الخوف من الله ، برقم : ٦٤٨٠ ، وطريق أبي سعيد برقم : ٦٤٨١ . وفي آخرها : ((**ما حملك على ما فعلت ؟ قال : مخافتك . فما تلافاهُ أن رحمه الله**)) .
(٨) منهاج السنة ، ابن تيمية : ٥ / ٤٨٤ .

٢ - ٢ : الخائفون من الله - رضي الله عنهم ورضوا عنه - :

فالذين ملأت خشية الله قلوبهم ، واستقامت على السُّنة أعمالهم ، حازوا رضا ربهم ، قال الله - عز وجل - مادحًا لهم ، مثنيًا عليهم في سورة البينة : ((﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (1) ، أي : إنهم حازوا رضا الله بالتزام حدود شريعته ، فحمدوا مغبة أعمالهم ، ونالوا ما يرضيهم في دنياهم وآخرتهم .

﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (2) ، أي : هذا الجزاء الحسن إنما يكون لمن ملأت قلبه الخشية والخوف من ربه .

وفي ذلك تحذير من خشية غير الله ، وتنفير من إشراك غيره به في جميع الأعمال ؛ كما أن فيه ترغيبًا في تذكر الله ورهبته لدى كل عمل من أعمال البر حتى يكون العمل له خالصًا ، إلا أن فيه إيماء إلى أن أداء بعض العبادات : كالصلاة ، والصوم بحركات وسكنات مجردين عن الخشية لا يكفي في نيل ما أعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجزاء ؛ لأن الخشية لم تحلّ قلوبهم ، ولم تهذب نفوسهم .

نسأل الله أن يطهر قلوبنا ، وينير بصائرنا ؛ حتى لا نرهب سواه ، ولا نخشى إلا إياه ، والحمد لله رب العالمين)) (3) .

٢ - ٣ : الخائفون من الله أهل الجنان :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (4) ، والمعنى : خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية .. ، وقيل : خاف قيام ربه عليه ، أي : إشرافه واطلاعه عليه ؛ بيانه قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾(5) .. قال مجاهد وإبراهيم النخعي : ((هو الرجل يَهُمُّ بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه)) (6) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (7) .
فإن خوف العبد من موقفه بين يدي ربه يسأله ويحاسبه يدفعه لكفِّ نفسه عن هواها ، وردِّها إلى طاعة مولاها (8). وقد قال رسول الله ﷺ في وصف هاتين الجنتين : ((**جنتانِ من فضة آنيتهما وما فيهما ؛**

وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبر على

---

(1) سورة البينة [٨] .
(2) سورة البينة [٨] .
(3) تفسير المراغي : ١٠ / ٢١٧ .
(4) سورة الرحمن [٤٦] .
(5) سورة الرعد [٣٣] .
(6) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ج١٧ / ١٧٦ ، مختصر تفسير ابن كثير : ج٣ / ٤٢١ .
(7) سورة النازعات [٤٠ - ٤١] .
(8) انظر مختصر تفسير ابن كثير : ج٣ / ٥٩٨ .

وجهه في جنة عدن)) [1] .

٢ - ٤ : دموع الخائفين جُنَّـة من النار :

البكاء ثمرة الخشية ، ويعظم عند الله أجره عندما يكون في الخلوات ، يوم يذكر العبد ربه ويتذكر جلاله وعظمته ، ويتأمل تقصيره في حقه وإسرافه في جنبه ، فيقشعر قلبه رهبة ، وتجود عينيه بالدموع خشية ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((**لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع**)) [2] ، وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**عينان لا تمسَّهُما النار : عينٌ بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرُس في سبيل الله**)) [3] .

٢ - ٥ : الأمن عند الفزع الأكبر :

قال الله تعالى : ﴿ **أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [4] ، لقد كانوا في الدنيا خائفين ، ومن ذنوبهم مشفقين ، فجعل الله عاقبتهم سكينة وأمنًا جزاءً وفاقًا . قال رسول الله ﷺ : ((**قال الله تعالى : وعزتي وجلالي ، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين ، إن هو أمنني في الدنيا أخَفْتُه يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمَّنْتُه يوم أجمع عبادي**)) [5] .

٢ - ٦ : التمكين في الأرض والنصر على الأعداء :

وهذه البشرى أخبر الله عنها في كتابه بوعدٍ وعده الله - عز وجل - للخائفين منه ، الراجين له ، الثابتين على دينه مهما نالهم في سبيله من أذى ، فقال - عز وجل - : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾[6] . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((فوعد بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لأهل الخوف ..))[7] .

٢ - ٧ : الهدى والرحمـة :

---

(1) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾ ، برقم : ٤٨٧٨ .
(2) رواه الترمذي ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ، برقم : ١٦٣٣ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي (٦ / ١٢) ، وابن ماجة (٢٧٧٤) .
(3) الترمذي ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ، برقم : ١٦٣٩ ، قال الترمذي : حديث حسن غريب . وقد صححه بشواهده محقق جامع الأصول (٩ / ٤٨٧) .
(4) سورة فصلت [٤٠] .
(5) قال العراقي - رحمه الله - في تخريج الإحياء (٤ / ١٦٢) : أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ، ورواه ابن المبارك في الزهد ، وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلاً . وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٠٨) : هو حديث حسن . وقد حسَّنه الألباني في الصحيحة : (٢ / ٣٧٨) .
(6) سورة إبراهيم [١٣ - ١٤] .
(7) الفتاوى ، ابن تيمية : ٧ / ٢٢ .

فالذين خافوا الله وعمرت الخشية قلوبهم ففعلوا ما أمرهم الله ، وتركوا ما نهاهم عنه ، هم أهل الهدى والفلاح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله . ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾(١) .. وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورون في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢)، وهم ((المؤمنون)) ، وهم ((المتقون)) المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٣)، كما قال في آية البر : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٤) ، وهؤلاء هم المتبعون للكتاب كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾ (٥) ، وإذا لم يضل فهو متبع مهتد ، وإذا لم يشق فهو مرحوم ؛ وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فإن أهل الرحمة ليسوا مغضوبًا عليهم ، وأهل الهدى ليسوا ضالين ؛ فتبين أن أهل رهبة الله يكونون متقين لله ، مستحقين لجنته بلا عذاب ؛ وهؤلاء هم الذين أتوا بالإيمان الواجب))(٦).

٢ - ٨ : أهل الخشية هم العلماء :

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٧) ، والمعنى أنه لا يخشاه إلا عالم . فقد أخبر الله أن كلَّ من خشى الله فهو عالم .. فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله . وقد روي عن أبي حيان التيمي أنه قال : (العلماء ثلاثة : فعالم بالله ليس عالمًا بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالمًا بالله ، وعالم بالله عالم بأمر الله . فالعالم بالله هو الذي يخافه ، والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده**))) (٨) .

قال ابن مسعود ﷺ : ((كفى بخشية الله علمًا ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)) . فتبين مما سبق أن أعظم ثمرة للعلم يجب أن تظهر جلية في شخصية المسلم هي

---

(١) سورة الأعراف [١٥٤] .
(٢) سورة لقمان [٥] .
(٣) سورة البقرة [١ - ٢] .
(٤) سورة البقرة [١٧٧] .
(٥) سورة طه [١٢٣] .
(٦) الفتاوى ، ابن تيمية : ٨ / ٢٠ - ٢١ .
(٧) سورة فاطر [٢٨] .
(٨) الفتاوى : ٧ / ٢١ .

الخشية ، وأن من عصى الله فهو جاهل به ، وإن حفظ المتون وحاز الفنون ؛ ولهذا قال شيخ الإسلام : ((إن كل عاصٍ لله جاهل ، وكل خائف منه فهو عالم مطيع لله ؛ وإنما يكون جاهلاً لنقص خوفه من الله ، إذ لو تم خوفه من الله لم يعص)) (١) .

٢ ـ ٩ : وفضائل أُخرى استفاضت بها كتب السنة :

فهل لك أن تذكر بعضها : كحديث السبعة ، ومنهم : ((**رجل ذكر الله خاليًا ..**)) ، وآخر قال : ((.. **إني أخاف الله**)) .

٣- أقسام الخـوف :

يختلف الخوف في قلوب العباد بحسب السبب والمسبب والصفة وما يترتب عليه من آثار ؛ ولهذا فإنه أقسام منها المحمود ومنها المذموم ، وقد ذكرها صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، وهي :

٣ ـ ١ : خوف السر :

((وهو خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع ، وهذا لا يصلح إلا لله ـ سبحانه ـ فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركًا أكبر ، وذلك مثل : من يخاف من الأصنام أو الأموات ، أو من يزعمونهم أولياء ، ويعتقدون نفعهم وضرهم ، كما يفعله عُبَّادُ القبور : يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله)) (٢) ؛ ((ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان ؛ كاذبًا ، أو صادقًا ، فإن كان اليمين بصاحب التربة [القبر] لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا ؛ وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله))(٣).

٣ ـ ٢ : الخوف من القيام بطاعة :

أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس ؛ فهذا محرم ، وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها ، وهو الذي جاء فيه الحديث : ((**إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذا رأيت المنكر ألا تغيره ، فيقول : يا رب خشيت الناس ، فيقول : إياي كنت أحق أن تخشى**)) (٤) .

---

(١) الفتاوى : ٧ / ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ، الشيخ ابن عثيمين : ٢ / ٢٠٤ ، بتصرف يسير .
(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان آل شيخ : ٤٨٥ .
(٤) رواه أحمد : ٣ / ٣٠ ، ٤٨ ، عن أبي سعيد بلفظ : ((**لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمر الله فيه مقال أن يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيه . فيقول : رب خشيت الناس . قال : فأنا أحق أن تخشى**)) . وقال أبو

قلت : وهناك صور عديدة لهذا النوع من الخوف المذموم الذي منه ما هو محرم ومنه ما هو مكروه بحسب الأمر (الذي فعله أو تركه) بسبب خوف الناس ، وإليك بعض هذه الصور للتنبيه عليها والتحذير منها :

أ - ترك الدعوة إلى الله ، ومصاحبة الصالحين ؛ خشية أن يُقال إنه متزمّت أو متسلّط أو نحوها من العبارات التي يطلقها أعداءُ هذه الملّة ، ويرددها أذنابهم في بني جلدتهم .

ب - ترك المرأة للحجاب أو كشفها عن بعض ما أُمرت بستره خشية أن تصنَّف من الملتزمات أو المتطرفات ، أو أنها ليست حضارية ومثقفة .

ج - ترك القيام ببعض المستحبات ؛ خشية أن يستهزئ به الناس .

د - حلق اللحى ؛ خشية أن يقولوا إنه متطرف !

هـ - سماع الأغاني والنظر إلى ما حرّم الله النظر إليه ؛ حتى لا يُقال إنه متطرف أو متخلّف !

و - البخل وعدم الإنفاق ؛ خشية الفقر : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً** ﴾(١) .

٣ - ٣ : خوف الوعيد :

خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة ، وهو الذي قال الله فيه : ﴿ **ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ **قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ** ﴾ (٣). وقال تعالى : ﴿ **وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾ (٤) . وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان ، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان ؛ وإنما يكون محمودًا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله ؛ ولهذا قال شيخ الإسلام : ((هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله ، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه)) .

٣ - ٤ : الخوف الطبيعي :

كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ، ونحو ذلك ؛ فهذا لا يذم ، وهو الذي

نعيم : يعني في الحديث : ((**وإني كنت أحق أن تخافني**)) ، رواه ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم : ٤٠٠٨ . قال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وقد ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة ، وفي ضعيف الجامع الصغير برقم : (٦٣٤٧) .

(١) سورة البقرة [٢٦٨] .
(٢) سورة إبراهيم [١٤] .
(٣) سورة الطور [٢٦] .
(٤) سورة الإنسان [٧] .

ذكره الله عن موسى - عليه السلام - في قوله : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[1][2].

٤- ما أسباب الخوف عند السلف ؟

الذي يستقرئ سير سلفنا الصالح يجد الخشية شعار حياتهم في الخلوات والجلوات ، فرقَّت بها قلوبهم ، ودمعت عيونهم ، وسمت نفوسهم ، وذلّت جوارحهم ، وجاهدوا في الله أنفسهم فهداهم سبلهم ، وألهمهم رشدهم .. والأعجب من ذلك أنك تراهم يخضبون بدموع الخوف من الله لحاهم في ليلهم ، ثم تراهم يريقون دماءهم في الذبِّ عن دينهم وجهاد عدوهم في نهارهم .. كما وصفهم الله - عز وجل - : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ [3] ، كل ذلك في منهج تربوي قديم قائده القرآن الكريم ، وسبيله السُّنة ، ومن خلال تلك السير العطرة يتبين بعض أسباب الخوف الذي ملأ قلوبهم :

٤ - ١ : الخوف من عدم القبول :

سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ [4]، قالت عائشة - رضي الله عنها - : ((أَهُم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : ((**لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ، ويُصَلُّون ويتصدقون ، وهم يخافون ألا تُقبل منهم ، أُولئك الذين يُسارعون في الخيرات**)) [5] .

فهم مع مسارعتهم في الخيرات يخافون ألا تُقبل منهم ، وقد قيل : يخافون من شوائب النيات المحبطة للعمل . كما قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهُه**))[6]، وقال ﷺ : ((**قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشركه**)) [7] .

---

(1) سورة القصص [٢١] .
(2) تيسير العزيز الحميد ، سليمان آل شيخ : ٤٨٤ - ٤٨٦ ، باختصار . انظر للتوسع أيضًا ، القول المفيد على كتاب التوحيد ، لابن عثيمين : ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٦ ، القول السديد في مقاصد التوحيد ، لابن سعدي : ص٣٤ .
(3) سورة الفتح [٢٩] .
(4) سورة المؤمنون [٦٠] .
(5) رواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، برقم : (٣١٧٥) ، وهو في صحيح الترمذي للألباني برقم : ٢٥٣٧ ، ورواه ابن ماجة (٤١٩٨) ، وأحمد : ٦ / ١٥٩ ، ٢٠٥ .
(6) رواه البيهقي في السنن الكبرى : ٩ / ٢٨٢ ، قال محقق جامع الأصول (٣ / ٥٨٤) : وسنده حسن .
(7) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ، (أو باب تحريم الرياء) ، برقم : ٢٩٨٥ .

وهم يخافون من عدم الإتيان بالعمل على الوجه اللائق مستكملاً لشروطه وواجباته وآدابه . فرُبَّ قائم ليس له حظ من قيامه إلا السهر ، ورب صائم ليس له حظٌّ من صيامه إلا الجوع والعطش ، وقد ينصرف المرء من صلاته وليس له منها شيء ، نسأل الله أن يعاملنا برحمته ولطفه .

وقد دخل أعرابي المسجد فصلَّى ، ثم جاء فسلّم على النبي ﷺ ، فقال له ﷺ : ((**ارجع فصلِّ فإنك لم تصل**)) . قال الحسن - رحمه الله - : ((عملوا والله بالطاعات ، واجتهدوا فيها ، وخافوا أن ترد عليهم ، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية ، والمنافق جمع إساءة وأمنًا)) .

٤ - ٢ : الخوف من سوء الخواتيم :

اشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ، وعَظُمَ وجلهم من ذكرها .. وحق لهم أن يوجلوا ويخافوا وقد سمعوا رسول الله ﷺ يقول : ((**إن الرجل ليعمل الزمانَ الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يختم له عملهُ بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمانَ الطويلَ بعمل أهل النار ، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة**)) [١] .

- بكى أحد الصحابة عند موته ، فسئل عن ذلك ، فقال : ((سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين ، فقال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار**)) ، ولا أدري في أي القبضتين كنت)) [٢] .
- وكان سفيان يشتد قلقُه من السوابق والخواتم ، فكان يبكي ويقول : ((أخاف أن أكون في أُمِّ الكتاب شقيًّا)) [٣] .
- وكان مالك بن دينار يقوم طولَ ليله قابضًا على لحيته ، ويقول : ((يا ربِّ ، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، ففي أي الدارين منزل مالك)) [٤] .

٤ - ٣ : الخوف من عواقب الذنوب وعدم استكمال شرائط التوبة :

أصحاب القلوب الحية يخافون عواقب ذنوبهم ، ويخشون تبعات تقصيرهم ، على الرغم من سرعة أوبتهم ، وصدق توبتهم ؛ وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بعظمة الله وجلاله ، فإذا نظر إلى عظمة من عصى رأى الصغيرة كبيرة .. وقد قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : ((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع

---

(١) رواه مسلم ، حديث رقم : ٢٦٥١ .
(٢) رواه أحمد : ٤ / ١٧٦ و ١٧٧ ، قال محقق جامع العلوم والحكم (١ / ١٧٣) : إسناده صحيح .
(٣) الحلية ، أبو نعيم : ٧ / ٥١ ، وانظر جامع العلوم والحكم : ١ / ١٧٣ .
(٤) المرجع السابق : ٢ / ٣٨٤ ، وانظر للتوسع في الموضوع : الأعمال بالخواتيم ، سعد الحجري .

عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذُباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا »[1] .

قال ابن حجر : « وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة ، يستصغر عمله الصالح ، ويخشى من صغير عمله السيئ » ، وقال المحب الطبري : « إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله وعقوبته ؛ لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة ، والفاجر قليل المعرفة بالله ؛ فلذلك قلَّ خوفه واستهان بالمعصية »[2] .

٤ - ٤ : الخوف من فتن المحيا :

مما خاف منه السلف وأقلق قلوبهم فتن المحيا التي تعوّذ منها رسول الله ﷺ فقال :

« **اللهم إني أعوذُ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذُ بك من المأثم والمغرم** » . فقال له قائل : ما أكثرَ ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال : « **إن الرجلَ إذا غَرِمَ حدّثَ فكذب ، ووعد فأخلف** »[3] .

فقوله ﷺ : « **فتنة المحيا والممات** » قال ابن دقيق العيد : فتنة المحيا : ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها والجهالات ، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت . وفتنة الممات : يجوز أن يُراد بها الفتنة عند الموت ، أُضيفت إليه لقربها منه ، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك . ويجوز أن يُراد بها فتنة القبر ، وقد صح أنه ﷺ قال : « **إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة الدجال** »[4]، والمغرم : الدَّين .

وفي الجملة ، فإن الفتن التي تعرض للمرء في دنياه كثيرة ؛ ولهذا فإن العبد محتاجٌ إلى تثبيت الله وحفظه إياه .. فهناك فتنة المال ، وهي فتنة عظيمة قد تحول بين المرء ودينه ، كقوله تعالى في ذلك المفتون الذي أرداه ماله : ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾[5] .

---

(1) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب : التوبة ، برقم : ٦٣٠٨ ، انظر الفتح ١١ / ١٠٣ ، ١٠٥ .
(2) الفتح ، ابن حجر ، (١١ / ١٠٥) باختصار .
(3) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب : الدعاء قبل السلام ، برقم : ٨٣٢ .
(4) الفتح : ٢ / ٣١٩ .
(5) سورة التوبة [٧٥ - ٧٧] .

يضاف إليها فتنة الأولاد ، وقد حذّرنا الله منها : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١). وقد قال رسول الله ﷺ : ((**إن الولدَ مبخلةٌ مجبنة مجهلة محزنة**)) (٢).

ومنها فتنة تسلّط الظالمين وصدهم لأهل الحق عن دعوتهم وعبادة ربهم ، وما أعظمها من فتنة سقط فيها الكثيرون ، ونكص بسببها المتذبذبون ، نسأل الله أن يثبتنا على دينه إلى يوم لقائه . ولقد ابتهل الأنبياء وأتباعهم من شر هذه الفتنة كما قال تعالى عن قوم موسى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) . وقال تعالى عن إبراهيم وقومه المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤)،(٥).

٤ - ٥ : الخوف من النكوص وتحوُّل القلوب :

وهي الدرجة الثانية من درجات الخوف التي ذكرها شيخ الإسلام الهروي - رحمه الله - فقال : ((الدرجة الثانية : خوف المكر ..)) ، ((يريد أن من حصلت له الهداية فإنه ينبغي أن يخاف المكر ، وأن يُسلب هذا الحضور واليقظة والهداية ؛ فكم من مغبوط بحاله ، انعكس عليه الحال ، ورجع من حسن المعاملة إلى قبيح الأعمال ، فبُدِّل بالأُنس وحشة ، وبالحضور غيبة ، وبالإقبال إعراضًا ، وبالتقريب إبعادًا ، وبالجمع فرقة ، كما قيل :

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ)) (٦).

فالمستقيم مع الله ، والذي مَنَّ الله عليه فهداه ، ((فخوفه يكون مع جريان الأنفاس ، لعلمه بأن الله مقلِّب القلوب ، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن - عز وجل - فإن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه ، كما ثبت عن النبي ﷺ ، وكانت أكثر يمينه : ((**لا ، ومقلب القلوب**)) (٧) . وقال بعض السلف : القلب أشد تقلبًا من القِدْر إذا استَجمعَتْ غليانًا . وقال بعضهم : مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرًا لبطن . ويكفي في هذا قوله تعالى : ﴿

(١) سورة التغابن [١٥] .
(٢) رواه الحاكم وقال : على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وقال الحافظ العراقي : إسناده صحيح ، ورواه أيضًا الطبراني ، انظر فيض القدير (٢ / ٤٠٣) . والحديث في صحيح الجامع برقم : ١٩٩٠ .
(٣) سورة يونس [٨٤ - ٨٦] .
(٤) سورة الممتحنة [٥] .
(٥) راجع للتوسع : الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن ، عبد الحميد السحيباني ، دار القاسم .
(٦) المدارج : ج١ / ٥١٨ ، بتصرف .
(٧) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : مقلب القلوب ، وقوله تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ ، برقم : ٧٣٩١ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ (١) ، فأيُّ قرارٍ لمن هذه حاله ؟ ومن أحق بالخوف منه ؟ »(٢). ولقد كان أبو الدرداء يحلف بالله ما من أحدٍ يأمن أن يُسلب إيمانه إلا سلبه .

قال حاتم الأصم محذِّرًا من الاغترار بطاعة أو علم : « لا تغتر بمكان صالح ، فلا مكان أصلح من الجنة ، ولقي فيها آدم ما لقي ؛ ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ؛ ولا تغتر بكثرة العلم ، فإن الله أخبر عن عالم فقال : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(٣) فلقي ما لقي ؛ ولا تغتر بكثرة الصالحين ورؤيتهم ، فلا شخص أصلح من النبي ﷺ ، ولم ينتفع بلقائه ورؤيته أهل النفاق ومن ارتد ومات على ردته » (٤).

٤ ـ ٦ : الخوف من النفاق :

ومما عُرف به سلفنا الصالح خوفهم من النفاق حتى قال ابن أبي مليكة ـ رحمه الله ـ : « أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه . ما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل . ويُذكر عن الحسن ـ رحمه الله ـ : ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق » (٥) . قال ابن حجر : « والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلّهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث .. إلى أن قال : وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ؛ وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في علمه ما يشوبه مما يخالف الإخلاص . ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعُه فيهم ، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم والورع والتقوى ـ رضي الله عنهم ـ . وقال ابن بطال : إنما خافوا لأنهم طالت أعمارهم حتى رأوا من التغير ما لم يعهدوه ولم يقدروا على إنكاره ، فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت » (٦) ، وكان عمرُ بن الخطاب يقول لحذيفة : « أُنشدكَ اللهَ هل سمّاني لك رسول الله ﷺ (يعني في المنافقين) ؟ » ، فيقول : « لا ، ولا أُزكِّي بعدك أحدًا » (٧).

٤ ـ ٧ : الخوف على الدعوة والدعاة :

الدعاة إلى الله يؤمنون إيمانًا راسخًا ، ويوقنون يقينًا جازمًا أن الله ناصرُ دعوته ومعلي كلمته ، ومظهر دينه ، ولو كادهم أهل الأرض جميعًا ؛ ولكنهم مع هذا الإيمان يتملكهم الخوف على الدعوة أن يصيبها ما يوهنها ، ويحزنون أن ينالها ما

---

(١) سورة الأنفال [٢٤] .
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم : (٤٦٧ ـ ٤٦٨) .
(٣) سورة الأعراف [١٧٥] .
(٤) الإحياء : ٤ / ١٨٥ ، وانظر الرسالة القشيرية ، ص ١٣٠ .
(٥) كتاب الفتح : ١ / ١٠٩ .
(٦) المرجع السابق : ١ / (١١٠ ـ ١١١) .
(٧) انظر للتوسع ، الإحياء ، للغزالي ، ١ / ١٢٣ ـ ١٢٥ .

يضعفها ، ويشفقون أن يفقدوا جنديًّا من جنودها ، فضلاً عن أن يكون رائدًا من روادها ؛ ولهذا فهم يخافون عليها أشد من خيفتهم على أنفسهم .

ولهذا الخوف نماذج في كتاب الله وسيرة رسوله ﷺ ، منها :

أ – خوف زكريا – عليه السلام – على أمور الدعوة بعد موته :

لما كَبُر زكريا - عليه السلام - وشاخ خاف أن يلِيَ أمور الدعوة من بعده منْ ليس بكفء لها ، فلا يؤدي حقها في نشرها وتبليغها للناس ؛ ولهذا دعا ربه كما أخبرنا الله - عز وجل - بقوله : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾ [1] .

« ويلاحظ أنه ذكر مسوغات ثلاثة لدعائه ، تستدعي العطف والرحمة والشفقة ، وهي :

١- ضعف البدن باطنًا وظاهرًا ، أي : ضعف العظام وظهور الشيب .
٢- كونه مستجاب الدعاء ، فلم يكن في وقت من الأوقات خائبًا ، بل كان كلما دعا ربه أجابه .
٣- خوفه من ورثته من ضياع الدِّين وما يُوحَى إليه بعد موته ، ولم يكن خوفه من إرث المال ، فإن النبي أعظم منزلة وأجلُّ قدرًا من الإشفاق على ماله ؛ ولأنه لم يكن ذا مال ، وإنما كان نجارًا يأكل من كسب يده ، ولأنه كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لا نُورث ، ما تركْنَا صدَقةٌ** » ، وفي رواية الترمذي : « **نحن – معشرَ الأنبياء – لا نُورث** » ، ويكون ميراث الأنبياء هو وراثة النبوة أو العلم ، والمحافظة على الدين ، والدعوة إليه .

﴿ **فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾ ، أي : فامنحني وأعطني من جنابك وواسع فضلك وليًّا يلي أمر الدين ، يكون ولدًا من صلبي ، يرثني في النبوة ، وهذا ما أراده وإن لم يصرح به ، ويرث ميراث آل يعقوب وهي وراثة العلم والنبوة على الراجح ، لا وراثة المال ، كما تقدم ؛ فيرث ما عندهم من العلم ، ويقوم برعاية أمورهم في الدين .. واجعله يا رب برًّا تقيًّا مرضيًّا عندك في أخلاقه وأفعاله ، ترضاه وتحبه أنت ويرضاه عبادك ويحبونه ؛ ليكون أهلاً لحمل رسالة الدين

---

[1] سورة مريم [٤ - ٦] .

وتعليمه وتبليغه وإقامة شعائره)) (١) .

ب - خوف الصديق على رسول الله ﷺ في الهجرة حتى قال له رسول الله ﷺ ما أخبرنا الله به : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ (٢) ، ونماذج خوف الصحابة على الدعوة كثيرة يطول تتبعها .

٤ - ٨ : وأسباب أُخرى :

- الخوف من السؤال عن العلم والتقصير في العمل به :

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : ((إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يُقال لي : يا أبا الدرداء ، قد علمت ؛ فكيف عملت فيما علمت ؟)) (٣) .

وقال إبراهيم التيمي : ((ما عرضت قولي على عملي ، إلا خشيت أن أكون مُكذَّباً ..)) .

- الخوف من الاستدراج وتعجيل المنفعة :

قال الله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٤) ، وقال الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾(٥) . قال أحد السلف : ((أخشى أن تكون طيباتنا عجلت لنا)) (٦) .

٥ - من هو الخائف حقًّا ؟

القلب الذي تملَّكه الخوف من الله حقًّا ، وغمرته الخشية صدقًا ، قلبٌ وجلٌ مترقب يقظ ، تميزه عن غيره من القلوب الغافلة القاسية آثار وعلامات ، ومظاهر ودلالات ، وقد قيل : ((ليس الخائف من يبكي ويمسح عينه ، ولا يترك ما يخاف أن يعاقب عليه)) .

وإليك بعض تلك الآثار لتعرف أي القلبين بين جنبيك :

٥ - ١ : اجتناب السيئات وتهذيب الشهوات :

إن أبرز ما يحمل الخوفُ صاحبه عليه - البعد عما حرم الله ، والحذر مما نهى الله عنه ، أو ترك ما أمر الله به ، فلا يراه حيث نهاه أو يفتقده حيث أمره .. إنه خوف إيجابي فاعل ، له أثر على سلوك المرء وتصرفاته ، وأقواله وأعماله . قال سعيد بن جبير - رحمه الله - : ((إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين

(١) التفسير المنير ، الزحيلي : ١٦ / ٥٤ ، وانظر أيضًا تفسير المراغي : ج٦ / ٣٤ .
(٢) سورة التوبة [٤٠] .
(٣) الداء والدواء ، ابن القيم : ٨٢ .
(٤) سورة الأعراف [١٨٢] .
(٥) سورة الأحقاف [٢٠] .
(٦) انظر الفتح (٣ / ١٤٢) وهو قول عبد الرحمن بن عوف ولفظه : ((وقد خشينا أن تكون طيباتنا عجِّلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام)) .

معصيتك ؛ فتلك الخشية)) [1] .

قال المقدسي - رحمه الله - : ((ومن ثمرات الخوف ، أنه يقمع الشهوات ، ويكدر اللذات ؛ فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سمًّا ؛ فتحترق الشهوات بالخوف ، وتتأدب الجوارح ، ويذل القلب ويسكن ..)) [2] ، وقال : ((وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال - أن يمنع المحظورات ؛ فإن منع ما يتطرق إليه إمكان التحريم [الشبهات] سمّي ورعًا)) [3] .

والنماذج على ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسير سلفنا الصالح ، ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [4] .
- وقوله ﷺ في حديث ((السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)) : ((**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**)) [5] .

٥ - ٢ : المواظبة على الفرائض والإكثار من النوافل :

فالخائفون حقًّا وصدقًا لا تشغلهم الدنيا عن العمل للآخرة ، كما ذكر الله - عز وجل - عنهم ذلك في كتابه فقال - عز وجل - : ﴿ **رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** ﴾ [6]، وقال النبي ﷺ : ((**من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة**)) [7].

((ومعنى الحديث : أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة ، والمبادرة

---

(1) نزهة الفضلاء ، محمد حسن عقيل : ج١ / ٣٩٣ .
(2) مختصر منهاج القاصدين ، المقدسي : ٣٣٢ .
(3) المرجع السابق : ٣٣٢ .
(4) سورة يوسف [٢٣] . كذلك في قصة ابني آدم ، فإنه قال في تعليل عدم إقدامه على قتل أخيه : ﴿ **إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٨] .
(5) رواه البخاري ، وقد سبق تخريجه .
(6) سورة النور [٣٧] .
(7) انظر فيض القدير : ج ٦ ، والحديث رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، باب : في ثواب الإطعام والسقي والكسو ، وحديث من خاف أدلج ، برقم : ٢٤٥٠ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . ورواه الحاكم ، وصححه وأقرَّه الذهبي ، لكن تعقبه الصدر المناوي بأن فيه عندهما يزيد بن سنان ، وضعفه أحمد وابن المديني أ . هـ . وقال ابن طاهر : يزيد متروك ، والحديث لا يصح مسندًا ، وإنما هو من كلام أبي ذر . وقد أورده الألباني في الصحيحة : (٩٥٤) من طريق أخرى عن أبي نعيم في الحلية : (٨ / ٣٧٧) ، والحاكم : (٤ / ٣٠٨) ، فلعله يكون حسنًا لغيره إن شاء الله .

بالأعمال الصالحة ، خوفًا من القواطع والعوائق »[1]. ومعنى أدلج : السير أول الليل وهو كناية عن التشمير للطاعة ، وحث السير ، وعدم الركون إلى الراحة والهوى حتى يبلغ المنى [فيض القدير : ٦ / ١٢٣] .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوت ، ثم أورد حديث « من خاف أدلج » [الداء والدواء : ٧٨] .

٥ - ٣ : الوفاء بالعهود والإخلاص بالأعمال :

وهذا مما وصف الله به عباده الأبرار الذين يدفعهم خوفهم منه إلى الوفاء بعهودهم وإخلاصهم لخالقهم ومولاهم ، فقال عنهم مادحًا لهم : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [2] ، فكان عاقبة ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** ﴾ [3] .

٥ - ٤ : الجرأة في الحق :

الجرأة في الحق صفة من صفات الذين لا يخشون أحدًا إلا الله : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾[4] ، فهم يستمدون جرأتهم من الحق الذي يدافعون عنه ويؤمنون به ويدعون إليه ومن القدر الذي يستسلمون إليه ، وعلى قدر نصيب الداعية من الإيمان بالله والخوف منه تكون جرأته في الحق وشجاعته في نصرته ؛ ولذلك كان الأنبياء أجرأ الناس .

قال أنس يصف رسول الله ﷺ : « كان النبي ﷺ أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناسٌ قبلَ الصوت ، فتلقاهم ﷺ راجعًا ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرسٍ لأبي طلحة عُرْيٍ ، في عنقه السيف ، وهو يقول : « **لم تُراعُوا .. لم تُراعوا** » [5] ، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ﷺ ، وإن الشجاع منّا الذي يحاذِي به [يعني النبي ﷺ] » [6] . « والجرأة للداعية أمر مهم في ريادته وقيادته ، وفي تأثيره ومنفعته ؛ لأن الناس يتأثرون بالجريء المقدام ؛ لأنهم في الملمات يحجمون وتتقدم بالداعية جرأته في الحق مصحوبة بحكمته في التصرف فإذا هو المقدم الذي تشخص إليه الأبصار ،

(1) غذاء الألباب ، السفاريني : ١ / ٣٥٦ ، وانظر المجموع المغيث : ١ / ٦٦٩ .
(2) سورة الإنسان [٧ - ١٠] .
(3) سورة الإنسان [١١] .
(4) سورة آل عمران [١٧٣] .
(5) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب : في شجاعة النبي ﷺ ، وتقدمه للحرب .
(6) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب : في غزوة حنين ، برقم : ١٧٧٦ .

وتتعلق به القلوب)) [١] .

ومن النماذج التي ساقها القرآن في شجاعة وإقدام وجرأة الذين يخافون الله ما قصَّه الله علينا في قوم موسى عندما دعاهم إلى الجهاد ودخول الأرض المقدسة ، فتخاذلوا وجبنوا ، فقام رجلان يخافان الله بتحريض القوم على الدخول ووعدهم النصر ثقةً بوعد الله . قال تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٢] ، وقد قال الله تعالى في نفس السورة في وصف عباده المؤمنين الذين يحبهم ويحبونه : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾[٣] .

((فالعاملون في طريق الدعوة ينبغي أن يكونوا شجعانًا ، لا يخافون إلا الله ، ولا يخافون الناس ؛ لأنهم نذروا أنفسهم لله ، وباعوها لله ، فهي منه وإليه)) [٤] .

٥ - ٥ : الانتفاع بالآيات ، والاعتبار بالعظات :

الخائفون من الله إذا ذُكِّروا انتفعوا ، وذلك لرقة قلوبهم وسلامة فطرهم ، ورهافة إحساسهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ [٥] ، وقال - عز وجل - : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [٦]، وقال : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ [٧، ٨] .

٥ - ٦ : سرعة الفيئة :

فالخائف إذا أذنب أسرع بالتوبة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [٩] ، و ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً .. ﴾ [١٠] .

٦ - الأسباب الموصلة إلى الخوف من الله :

الذي يتأمل سير الخائفين ويسبر مصادر خوفهم ، ويستقرئ أسباب خشيتهم

---

(١) مقومات الداعية الناجح ، علي بادحدح ، ص ١٠٣ ، وانظر أيضًا صفات الداعية النفسية ، عبد الله علوان ، ص ٢٣ ؛ الصفات اللازمة للدعاة إلى الله ، لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ، ص١٧ .
(٢) سورة المائدة [٢٣] ، وانظر تفسير المراغي : ج ٢ / ٩٢ .
(٣) سورة المائدة [٥٤] .
(٤) الصفات اللازمة ، ص ١٩ .
(٥) سورة الأعلى [٩ - ١٢] .
(٦) سورة ق [٤٥] .
(٧) سورة الأنعام [٥١] .
(٨) انظر الفتاوى : ٧ / ٢٤ ، والخوف ، للرملي ، ص ١٩ .
(٩) سورة الأعراف [٢٠١] .
(١٠) سورة آل عمران [١٣٥] .

يخْلُصُ إلى عدة أسباب أوصلتهم إلى تلك المنزلة الشريفة والمكانة المنيفة ، منها :

٦ - ١ : العلم بالله :

فإذا تأمل العبد في صفات خالقه وأسمائه وأفعاله ، هابه وعظّمه ، وخاف منه ؛ لأنه يدرك قدرة الله عليه وقهره له وسلطانه عليه ، مع معرفته بضعف نفسه وهوانها وذلِّها وحاجتها وفقرها إليه .. ولهذا كلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف .

قال ابن مسعود : ((وكفى بخشية الله علمًا . ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به ؛ فأعرف الناس أخشاهم لله ، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له)) (1)؛ ولهذا أنكر الله - عز وجل - على أولئك الذين لم يقدروا الله حق قدره فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(2) ، وحسبك أن تتأمل في حديث رسول الله ﷺ حين قال : ((**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**)) (3) .

٦ - ٢ : تذكر آيات الوعيد :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ((.. وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه)) (4) .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(5).

٦ - ٣ : معرفة الجناية والتصديق بالوعيد والخوف من الحيلولة دون التوبة ، فهذه ثلاثة أمور ينشأ منها الخوف (6) :

---

(1) طريق الهجرتين ، ابن القيم ، ٤٦٦ .
(2) سورة الزمر [٦٧] .
(3) صححه الألباني بطرقه في الصحيح (١ / ١٧٣ - ١٧٦) ، نقلاً من محقق كتاب الخوف للرملي (انظر الحاشية ص ٦٢) .
(4) الفتاوى ، ١ / ٩٦ .
(5) سورة هود [١٠٢ - ١٠٨] .
(6) طريق الهجرتين ، ٤٦٧ .

الأول : معرفة الجناية : مثل : ((من جنى على ملك جناية ، ثم وقع في يده ، فهو يخاف القتل ويرجو العفو ، ولكن يكون تألم قلبه بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى مثله وتفاحش جنايته ، وتأثيرها عند الملك ، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف)) [١] .

الثاني : تصديق الوعيد ، وأن الله رتب على المعصية عقوبتها .

الثالث : الخوف من الحيلولة دون التوبة من الذنب ، فإنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب [٢] ، ((أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له فهو مشفق من ذنبه ، طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له)) [٣] .

٦ - ٤ : تذكر مقامات الآخرة :

إن استحضار العبد لحشره ونشره ، ووقوفه بين يدي ربه ، ومروره على الصراط وتذكره للجنة والنار - من أبلغ الأسباب في زيادة خوفه . وتأمل قول الرسول ﷺ حين قال : ((**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ؛ فكيف بمن تكون طعامه**)) [٤] .

قال المناوي : ((والقصد بهذا الحديث وما أشبهه التنبيه على أن أدوية القلوب استحضار أحوال الآخرة وأحوال أهل الشقاء وديارهم ، فإن النفس مشغولة بالتفكر في لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات ، وما من أحد إلا وله في كل حالة ونَفَس من أنفاسه شهوة سلطت عليه واسترقته ، فصار عقله مسخرًا لشهوته ؛ فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته في طلب الحيلة أو مباشرة قضاء الشهوة ؛ فعلاج ذلك أن تقول لقلبك : ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت ، وما بعده من أهوال الموقف ثم عذاب جهنم وطعام أهلها وشرابهم فيها ، يورد على فكره مثل هذا الحديث ، ويقول : كيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على أدنى آلام الدنيا ؟ !)) [٥] .

٦ - ٥ : مجالسة الصالحين :

مجالسة المتقين ، الذين تذكرك بالله رؤيتهم ، وتربطك بالآخرة أحاديثهم ، فيرق قلبك ، ويزداد خوفك ، أولئك الأخيار الذين ينتقون أحاديثهم كما تُنتقى أطايب الثمار .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ٣٣١ .
(٢) طريق الهجرتين ، ٤٦٧ .
(٣) الفتح ، ١١ / ٣١٣ ، وانظر صحيح شعب الإيمان ، خالد العربي ، ١٤٥ - ١٤٩ .
(٤) رواه الترمذي ، أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، برقم : ٢٥٨٥ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد ، والحاكم (٢ / ٢٩٤) ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . قال الألباني في تخريج المشكاة (٣ / ١٥٨٢) : وسنده صحيح .
(٥) فيض القدير ، المناوي : ٥ / ٣٠٩ ، وانظر أيضًا الخوف للرملي ، ص ٥١ .

قال ﷺ : ((**ألا أنبئكم بخياركم ؟**)) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ((**خياركم الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله – عز وجل –**)) [1] . وقيل للحسن البصري - رحمه الله - : كيف نصنع ؟ نجالس أقوامًا يخوّفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير (أي من شدة الخوف) ، فقال : ((والله أن تخالط أقوامًا يخوّفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنوك حتى يدركك الخوف)) .

قلت : ويدخل ضمن مجالسة الصالحين ؛ قراءة أخبارهم وسيرهم في كتب التراجم .

قال أبو حنيفة - رحمه الله - : ((الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه ؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم)) [2] .

وقال نُعيم بن حماد : ((كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له : ألا تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه)) [3] .

٦ - ٦ : الدعـاء .

ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، وهو من أعظم ما يستعين به المؤمن في زيادة خوفه ، وقد كان ﷺ يدعو ربه فيقول : ((**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك**)) [4] .

٦ - ٧ : وأسباب أخرى :

- التفكر في الموت وأهواله ، وفي سوء الخاتمة ، والعياذ بالله .
- سماع المواعظ وحضور دروس أهل العلم ، لا سيما في الرقائق .
- النظر في أحوال الناكصين والمنتكسين (راجع كتاب في أخبار المنتكسين) .
- قراءة كتب المواعظ والرقائق [الإحياء - كتب ابن أبي الدنيا - المدهش لابن الجوزي - المدارج - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ..

---

(1) روه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب من لا يؤبه له ، برقم : (٤١١٩) . قال البوصيري في مصباح الزجاجة : (٤ / ٢١٥ - ٢١٦) إسناده حسن ، ورواه أحمد ، وكذا أبو نعيم . قال الهيثمي : فيه شهر بن حوشب وثقه غير واحد ، وضُعِّف ، وبقية رجال إسناده رجال الصحيح (الفيض : ١١٥ / ٣) . قلت : شهر ابن حوشب ضعف من جهة حفظه ، وللحديث شواهد من حديث ابن عباس وعمرو بن الجموح . انظر الصحيحة للألباني (ج٤ / ٢٠٢) برقم : ١٦٤٦ .

(2) صفات من صبر العلماء ، عبد الفتاح أبو عميرة ، ص ١٧ - ١٨ .

(3) سير أعلام النبلاء : ٨ / ٣٨٢ .

(4) رواه الترمذي ، أبواب الدعوات ، باب : دعاء ((**اللهم اقسم**)) ، برقم : (٣٥٠٢) ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، برقم : (٢٧٨٢) .

ونحوها مما يرقق الفؤاد ويزيد بها خوفك من رب العباد] .

٧ - صور من خوف الصالحين :

وهذا باب يصعب تتبعه ؛ ولكن نذكر إشارات سريعة للاقتداء بهم ، وللاتعاظ بأخبارهم ، فالقوم جمعوا خوفًا وإحسانًا ، ونحن جمعنا أمنًا وإساءة ، وما ذلك إلا لغفلتنا وقسوة قلوبنا . نسأل الله أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا ، فيصلحنا ويوقظ غفلتنا .

- فهذا سيد الخلق وخليل الرحمن ﷺ .. تقول عائشة - رضي الله عنها - : ((إن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج ، كل ذلك خوفًا من عذاب الله)) [1] .

وكان إذا صلى سمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء [2] .

- وأما أصحابه - رضي الله عنهم - فهم على جلالة قدرهم وعلو منزلتهم ، بل بعضهم قد بُشر بالجنة بقول الصادق المصدوق ﷺ ، فهو من أصحاب الجنة قطعًا ، لكن ما زاده ذلك إلا خوفًا وإجلالاً وهيبة وتعظيمًا لله - عز وجل - .

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر : ((ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرًا)) .

وقال أبو ذرّ رضي الله عنه : ((وددت لو أني شجرة تعضد)) ، وكذلك قال طلحة .

وقال عثمان رضي الله عنه : ((وددت أني إذا مت لم أبعث)) .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : ((وددت أني كنت نسيًا منسيًّا)) .

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط مغشيًّا عليه من الخوف إذا سمع آية من القرآن ، فكان يُعاد أيامًا . وأخذ يومًا تبنة من الأرض فقال : ((يا ليتني كنت هذه التبنة ، يا ليتني لم أك شيئًا مذكورًا ، يا ليتني كنت نسيًا منسيًّا ، يا ليتني لم تلدني أمي)) .

وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع ، وقال رضي الله عنه : ((من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون)) . ولما قرأ عمر رضي الله عنه : ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾ [3] ، وانتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ [4] ، خر مغشيًّا عليه . ومر يومًا بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة ﴿ **الطور** ﴾ فوقف

---

(1) قال العراقي في تخريج الإحياء (٤ / ١٨٠) : حديث عائشة متفق عليه ، [صحيح مسلم : ٢ / ٦١٦] ، البخاري ، كتاب التفسير : تفسير سورة الأحقاف ، باب ٢ ، برقم : ٤٨٢٩ .

(2) حديث صحيح ، رواه أحمد (٤ / ٢٥) ، وأبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (٣ / ١٣) ، وغيرهم .

(3) سورة التكوير [١] .

(4) سورة التكوير [١٠] .

يستمع ، فلما بلغ قـوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ (١) ، نزل عن حماره ، واستند إلى حائط ، ومكث زمانًا ، ورجع إلى منزله ، فمرض شهرًا يعوده الناس ، ولا يدرون ما مرضه .

وقال عليٌّ - كرّم الله وجهه - وقد سلم من صلاة الفجر ، وقد علاه كآبة وهو يقلب يده : ((لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أرَ اليوم شيئًا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزي ، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا ، يتلون كتاب الله ، يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله ، فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم ، والله فكأن بالقوم باتوا غافلين)) ، ثم قام ، فما رؤى بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم .

وقال عمران بن حصين : ((وددت أن أكون رمادًا تنسفني الرياح في يوم عاصف)) .

وقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: ((وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي)) (٢) .

- وهكذا سار من اتبعهم بإحسان ممن اقتفى أثرهم من التابعين وأتباعهم ، رضي الله عنهم وجمعنا بهم .

كان عليٌّ بن الحسين ﷺ إذا توضأ اصفر لونه ، فيقولون له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : ((أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟)) .

وقال موسى بن مسعود : ((كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه)) (٣) .

٨ - أمور حذرنا منها النبي ﷺ وخافها علينا :

هذه جملة من الأمور التي حذرنا النبي ﷺ منها ، وخاف علينا من سوء عاقبتها ؛ لهذا فإنه ينبغي أن نخاف على أنفسنا منها ، ونبذل جهدنا للنجاة من فتنتها والتخلص من شرها .

٨ - ١ : عثرات اللسان :

عن سفيان بن عبد الله الثقفي - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله حدثني

(١) سورة الطور [٧- ٨] .
(٢) الإحياء : ٤ / (١٨٣ - ١٨٤) .
(٣) المرجع السابق : ٤ / ١٨٤ ، للتوسع في أخبار القوم ، راجع الإحياء ٤ / (١٨٠ - ١٨٩) ، حياة الصحابة ، الكاندهلوي ، ونزهة الفضلاء : ١٧٤٢ ، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وابن الجوزي : ١٦٠ - ١٦٨ ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي : ١١ / ٣٩٨ ، وما بعدها .

بأمر أعتصم به . قال : ((**قل ربيّ اللهُ ، ثم استقم**)) . قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : ((**هذا**)) [1] .

٨ - ٢ : التنافس على الدنيا :

قال رسول الله ﷺ : ((**إن مما أخاف عليكم بعدي ، ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**))[2].
قال ابن بطال : فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر سوء عاقبتها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ، ولا ينافس غيره فيها .

٨ - ٣ : الشرك الخفي (الرياء) :

قال رسول الله ﷺ : ((**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**)) . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : ((**الرياء ، يقول الله – عز وجل – إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**)) [3] .

٨ - ٤ : المنافق عليم اللسان :

قال رسول الله ﷺ : ((**إن أخوف ما أخاف على أمتي كلُّ منافق عليم اللسان**)) [4] . قال المناوي - رحمه الله - : ((كل منافق عليم اللسان)) ، أي : كثير علم اللسان ، جاهل القلب والعمل ، اتخذ العلم حرفةً يتأكل بها ، ذا هيبة وأهبة ، يتعزز ويتعاظم بها ، يدعو الناس إلى الله ، ويفر هو منه ، ويستقبح عيب غيره ، ويفعل ما هو أقبح منه ، ويُظهر للناس التنسك والتعبد ويسارر ربه بالعظائم ، إذا خلا به ذئب من الذئاب ، لكن عليه ثياب . فهذا هو الذي حذر منه الشارع ﷺ هنا حذرًا من أن يخطفك بحلاوة لسانه ، ويحرقك بنار عصيانه ، ويقتلك بنتن باطنه وجنانه)) [5] .

٩- مسائل :

٩ - ١ : أيهما أفضل : الخوف ، أم الرجاء ؟ وهل يُغَلـِّب المرء الخوف أم الرجاء ؟
:

((أكمل الأحوال اعتدال الخوف والرجاء : قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

---

(١) رواه الترمذي ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان ، برقم : ٢٤١٠ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه ابن ماجة ، أبواب الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة ، برقم : ٣٩٧٢ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم : ٣٢٠٨ .
(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب : ما يُذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، برقم : ٦٤٢٧ ، ورواه أيضًا مسلم (واللفظ له) ، كتاب الزكاة ، باب : ليس الغنى عن كثرة العرض ، برقم : ١٠٥٢ .
(٣) رواه أحمد : (٥ / ٤٢٨) . قال المنذري في الترغيب (١ / ٦٨ - ٦٩) : إسناده جيد . وقد صححه الألباني في صحيح الترغيب .
(٤) رواه أحمد (١ / ٢٢) ، وصححه أحمد شاكر . وصحيح الجامع الصحيح برقم : ١٥٥٤ .
(٥) فيض القدير : ٢ / ٤١٩ .

القلبُ في سيره إلى الله - عز وجل - بمنزلة الطائر . فالمحبةُ رأسه ، والخوفُ والرجاءُ جناحاه . فمتى سلمَ الرأسُ والجناحان فالطائرُ جيدُ الطيران ، ومتى قطع الرأسُ ماتَ الطائر ، ومتى فقد الجناحان فهو عرضةٌ لكلِّ صائد وكاسر ؛ ولكنَّ السلفَ استحبوا أنْ يقوى في الصحة جناحُ الخوف على جناحِ الرجاء ، وعند الخروجِ من الدنيا يقوى جناحُ الرجاء على جناح الخوف . هذه طريقةُ أبي سليمان وغيره .

قال : ينبغي للقلب أنْ يكونَ الغالبَ عليه الخوفُ ، فإنْ غلبَ عليه الرجاءُ فسد .

وقال غيرُه : أكملُ الأحوال : اعتدالُ الرجاء والخوف ، وغلبةُ الحبِّ . فالمحبةُ هي المركب ، والرجاءُ حادٍ ، والخوفُ سائق ، والله الموصل بمنه وكرمه)) [1] .

وقد بوّب الإمام البخاري في صحيحه بابًا فقال : ((باب الرجاء مع الخوف . قال الحافظ : أي : استحباب ذلك ، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي الأول إلى المكر ، وفي الثاني إلىالقنوط ، وكل منهما مذموم)) [2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحد ، فأيهما غلب هلك صاحبه ، ونص عليه الإمام أحمد ؛ لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس ، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله)) [3] .

٩ - ٢ : هل الخوف الجبِلّي كالخوف من الحيّة والعقرب يناقض التوكل والثقة بالله ؟:

((الخوف الطبيعي والجبلّي في الأصل مباح لقوله تعالى عن موسى : ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾ [4] ، وقوله - عز وجل - عنه أيضًا : ﴿ **رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ** ﴾ [5] ، فإن رأى نارًا ثم هرب منها ونجا بنفسه ؛ فهذا خوف مباح ، وقد يكون واجبًا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه ، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم بلا عذر مشروع فهو حرام)) [6] .

٩ - ٣ : أشعر بالخوف إذا أردت أن أُنكر منكرًا أو أفعل معروفًا كإلقاء كلمة أمام المصلين ؛ فما نصيحتكم لي ؟! :

الشيطان حريص على تخذيل المؤمن عن فعل ما أمره الله به ، وإلقاء الوساوس التي يقعده بها عن القيام بالخير والدعوة إليه ، كما جاء في الحديث : ((**إن الشيطان قعد**

(1) المدارج : ١ / ٥٧٠ .
(2) الفتح : ١١ / ٣٠٠ - ٣٠١ .
(3) الاختيارات ، البعلي ، ص ٧٩ .
(4) سورة القصص [٢١] .
(5) سورة القصص [٣٣] .
(6) القول المفيد ، ابن عثيمين : ٢ / ٢٠٥ ، بتصرف .

لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ ! فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك ؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّول ، (الطول : الحبل الطويل ، يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره ، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ، ويرعى ولا يذهب لوجهه) ، **فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : تجاهد ، فهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتُنكح المرأة ويقسم المال ؟ ! فعصاه فجاهد ، فمن فعل ذلك كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقصته دابته كان حقًّا على الله أن يدخله الجنّة))** [١] .

((وإن أردت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقف لك مخوفًا بسوء العاقبة ، ومحذّرًا باستهزاء الناس منك ، أو بقوله لك عليك بخاصة نفسك ودع عنك الناس فلن يستجيبوا لك .. وما أكثر من أوقعهم الشيطان في هذه المصيدة ! إلى غير ذلك من أنواع الطاعات .. فإذا وجدت شيئًا من الخوف وعدم الإقدام في أمر من أمور الخير فاعلم أن وراء ذلك الشيطان)) [٢] .

((والحاصل : أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب ، فإذا ألقى الشيطان في نفسك الخوف ؛ فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام على كلمة الحق ليس هو الذي يدني الأجل ، وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل ؛ فكم من داعية صدع بالحق ومات على فراشه ؟ ! وكم من جبان قتل في بيته ؟ ! .

وانظر إلى خالد بن الوليد ، كان شجاعًا مقدامًا ومات على فراشه ، وما دام الإنسان قائمًا بأمر الله ؛ فليثق بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وحزب الله هم الغالبون)) [٣] .

خامسًا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- المحافظة على ورد القرآن وأذكار الصباح والمساء .

٢- المكث في المسجد في جلسة ذكر وتفكر .

٣- زيارة المقبرة ومحاسبة النفس على تقصيرها .

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح ، وهو في صحيح الجامع برقم : ٣٣٩ .
(٢) الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان ، عبد الله الجار الله ، ص ٢٤ .
(٣) القول المفيد ، ابن عثيمين : ٢ / ٢٠٧ .

٤- قيام الليل والإكثار من الدعاء في السجود بالثبات والخشية .

٥- قراءة بعض الكتب في الرقائق [مثل : واحات الإيمان للبلالي ، والتوهم للحارث المحاسبي ، والمدارج لابن القيم ، ..] .

٦- حضور درس وعظي في مسجد .

٧- سماع شريط لمحاضر مؤثر في السلوك والرقائق .

٨- قراءة بعض التراجم [مثل : حلية الأولياء ، صفة الصفوة ، نزهة الفضلاء ..] .

٩- إلقاء كلمة وعظية عن الجنة والنار .

١٠-الإقدام على إنكار بعض المنكرات بعد استشارة بعض إخواننا الدعاة في أسلوب الإنكار وجدواه .

١١-تعويد النفس على البكاء عند الوقوع في ذنب والتوبة منه ، وكثرة الاستغفار ، والبكاء أو التباكي عند قراءة القرآن .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- الخوف من الله تعالى ، محمد الرملي ، دار ابن القيم ، ط١ .

٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي ، دار الفكر .

٣- معالم غائبة عن حياة المسلمين ، ربيع السعودي ، دار معاذ ، ط١ .

٤- طريق الدعوة في ظلال القرآن ، جمع وإعداد أحمد فايز ، ط٧ .

٥- القول المفيد على كتاب التوحيد ، الشيخ محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، ط١ .

٦- تحذير الداني والقاصي من عقوبات الذنوب والمعاصي ، جمع أحمد فريد ، مكتبة الصحابة .

٧- إسلامنا ، السيد سابق ، دار الكتاب العربي .

٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم ، دار ابن القيم ، ط١ .

٩- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، السَّفاريني ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

١٠-نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء .

١١-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، القاري ، المكتبة التجارية .

١٢-التبصرة ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

١٣-الداء والدواء ، ابن القيم ، مكتبة دار التراث ، ط٣ .
١٤-تكاليف القلب السليم ، محمد العلي ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، ط١ .
١٥-توجيهات نبوية على الطريق ، د . السيد محمد نوح ، دار الوفاء ، ط١ .
١٦-سلسلة المنهاج ، هاشم محمد ، مكتبة دار البيان ، ط٢ .
١٧-آفات على الطريق ، د . السيد محمد نوح ، دار الوفاء ، ط٢ .
١٨-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان آل شيخ ، المكتب الإسلامي ، ط١ .
١٩-موسوعة نضرة النعيم ، مجموعة من المتخصصين ، دار الوسيلة ، ط١ .
٢٠-موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) ، إشراف ومراجعة الشيخ صالح آل شيخ ، دار السلام .
٢١-طب القلوب لابن القيم ، جمع مادة الكتاب د . عجيل النشمي ، دار الدعوة ، ط١ .
٢٢-إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار المعرفة .
٢٣-الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان ، عبد الله الجارالله ، دار طيبة ، ط١ .
٢٤-المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي ، مركز صالح بن صالح الثقافي .
٢٥-الصفات اللازمة للدعاة إلى الله ، لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ، دار الدعوة ، ط١ .
٢٦-مقومات الداعية الناجح ، على بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ .
٢٧-بدائع الفوائد ، ابن القيم ، دار الكتاب العربي .
٢٨-مدارج السالكين ، ابن القيم ، دار الجيل .
٢٩-صحيح شعب الإيمان ، خالد العك ، المكتب الإسلامي ، ط١ .
٣٠-مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية .
٣١-المدهش ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ .
٣٢-موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي .
٣٣-جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مؤسسة الرسالة .
٣٤-الاختيارات الفقهية ، البعلي ، دار الكتب العلمية .
٣٥-صفات الداعية النفسية ، عبد الله علوان ، دار السلام .
٣٦-عقبات في طريق الدعاة .

٣٧-من أخبار المنتكسين ، صالح العصيمي ، دار ابن خزيمة ، ط١ .
٣٨-واحات الإيمان ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة .
٣٩-منهج التابعين في تزكية النفوس ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة .
٤٠-العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين ، محمد حسن عقيل موسى ، دار المجتمع .
٤١-حسن الخاتمة ، د . عبد الله المطلق .
٤٢-صفحات مضيئة من عبادة السلف ، إبراهيم العلي ، مكتبة المنار ، ط١ .
٤٣-تزكية النفس ، سعد بن محمد .
٤٤-الأعمال بالخواتيم ، سعد الحجري ، دار الوطن ، ط١ .
٤٥-تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان ، عادل السعيدان ، ط١ .
٤٦-الفتنة وموقف المسلم منها ، عبد الحميد السحيباني ، دار القاسم .
٤٧-حياة الصحابة ، الكاندهلوي ، بيت الأفكار الدولية .
٤٨-الرقة والبكاء ، ابن أبي الدنيا ، مكتبة العبيكان ، ط١ .
٤٩-صفحات من صبر العلماء ، عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط١ .
٥٠-صلاح الأمة في علو الهمة ، د . سعيد العناني ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .
٥١-تعالَ نبكي ، عبد الرحمن السنجري ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ .
٥٢-البكاؤون ، عبد المنعم الهاشمي ، دار ابن كثير ، ط١ .
٥٣-البكاء من خشية الله ، عبد الحميد السحيباني ، مكتبة الصفدي .
٥٤-السر المكنون في رقة القلوب ودمع العيون ، عبد الكريم الديوان ، دار المسلم ، ط١ .
٥٥-جامع العلوم والحكم ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ .
٥٦-الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري ، دار الجيل ، ط٢ .

بالإضافة إلى عشرات الكتب في التفسير والحديث والسير ومعاجم اللغة وفهارس الآيات ، والموضوعات .

دعوة

الدعــوة

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

● قال في معجم مقاييس اللغة : ((الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد ، وهو أن يُمَيِّلَ الشيءَ إليك بصوت وكلامٍ يكون منك)) (١) .

● وقال في اللسان : ((ودعا الرجلَ دعوًا ودعاءً : ناداهُ ، والاسم الدَّعْوَةُ . ودَعَوتُ فلانًا ، أي : صِحتُ به واستدعيتُه . وتداعى القوم : دعا بعضُهم بعضًا حتى يجتمعوا . والدُّعاةُ : قومٌ يدعون إلى بيعة هُدىً أو ضلالةٍ ، واحدُهُمْ داعٍ . ورَجُلٌ داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعةٍ أو دين ، أدخلت الهاءُ فيه للمبالغة . والنبيُّ ﷺ داعي الله تعالى ، وكذلك المؤذن)) (٢) .

وقد قال ﷺ : ((**من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ؛ لا ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**)) (٣) ، والذي يميز كلا الفريقين هو الدعوة فإن كانت حقًّا فهم دعاة هدى ، وإلا فهم دعاة ضلالة .

ب - اصطلاحًا :

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

((الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا)) (٤) .

وقال في موضوع آخر :

((وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب ، من باطن وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله الأمر به ؛ وكل ما أبغضه الله ورسوله ، من باطن وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ؛ ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يُفعل ما أحبه الله ويترك ما أبغضه الله ؛ سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة والظاهرة)) (٥) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠ .
(٢) لسان العرب ، ابن منظور : ٢ / ١٣٨٦ ، باختصار ، وانظر أيضًا المعجم الوجيز : ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٣) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب : من سن سنّة حسنة أو سيئة ، برقم : ٢٦٧٤ .
(٤) الفتاوى : ١٥ / ١٥٧ .
(٥) المرجع السابق : ١٥ / ١٦٤ .

● قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - :

((هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل)) [١] .

● قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - :

((الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) [٢] .

● قال الشيخ علي محفوظ - رحمه الله - :

((الدعوة إلى الله هي حثُّ الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ليفوز بسعادة العاجل والآجل)) [٣] .

● قال البيانوني - رحمه الله - :

((أرى أن تُعرّف الدعوة الإسلامية بأنها تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في حياتهم)) [٤] .

● قال الدكتور المغذوي :

((هي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة ، وفق الأسس والمنهج الصحيح ، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين ، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين)) .. وبالنظر إلى هذا التعريف نجد أنه يتضمن عدة أمور هامة في مجال الدعوة إلى الله ، وهي :

١- أن الدعوة تتطلب (توصيلها وإيصالها) إلى الناس ، وهذا الأمر يتطلب من الداعية الجهد والعمل في سبيل الذهاب إلى المدعوين وإبلاغهم دين الله تعالى ، كما قال سبحانه :
﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [٦] .

٢- أن الدعوة لا بد لها من دعاة مؤهلين يحملونها ، ويقومون بإيصالها إلى الناس ، وهؤلاء الدعاة هم حملة الدين ، وورثة الرسالة ، وحراس العقيدة ، وأمناء الشريعة ، وشهود الله تعالى على خلقه ، وهم المصابيح التي تنير للناس طرقاتها ، والشموع التي تهدي الحيارى في دروبها ، وحبال النجاة التي تنقذ الغرقى من هلكاتها .

فعلى هؤلاء الدعاة يقع عبء كبير ، وعملٌ جدّ جسيم ، ينبغي لهم أن يعوه ،

---

(١) جامع البيان ، الطبري : ١١ / ٥٣ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٥ .
(٣) هداية المرشدين ، ص ١٧ [انظر منهج الدعوة إلى الله للمغذوي ، ص ٩٦] .
(٤) المدخل إلى علم الدعوة : ١٧ .
(٥) سورة القصص [٥١] .
(٦) سورة المدثر [١ - ٢] .

ويتنبهوا له ، متحلين بالعلم والأخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، والمسالك العالية الرفيعة أثناء تأدية أعمالهم ، والقيام بواجب الدعوة .

ولذا امتدح الله - تبارك وتعالى - هؤلاء الدعاة لعملهم الفاضل المحمود بقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

٣- أن موضوع الدعوة هو (دين الإسلام) بما حوى من عقيدة ، وشريعة ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق ، ومبادئ ، ونظم ، وقواعد تكفل للإنسان سعادته في الحياة الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (٢) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

٤- أن الدعوة تتوجه إلى المدعوين ، وهم (الناس كافة) على اختلاف أنواعهم ، وتعدد أصنافهم ، وأجناسهم ، وألوانهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٤) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٥) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((وبعثت إلى الناس كافّة)) (٦) .

٥- أن الدعوة تقوم على أسس وأصول صحيحة من الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة ، وما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم - وما سار عليه سلف الأمة الصالح ، وفهموه ، وعملوا به ، ودعوا إليه .

٦- أن الدعوة إلى الإسلام لا بد أن تسير وفق منهج واضح بيّنٍ سليم ، وهو ما أمر الله تعالى به نبيه ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧) ، وهذه السبيل وهذا المنهج هو ما سار عليه صحابته - رضوان الله عليهم - من بعده ، وسلف الأمة الصالح .

٧- أن الداعية إلى الله - تعالى - حينما يدعو الناس لا بد أن يراعي في دعوته أصناف المدعوين وأنواعهم ، وما يحيط بهم من أحوال وظروف زمانية ومكانية ، وغير ذلك مما ينبغي على الداعية أن يضعه في اعتباره ؛ حتى تؤتي دعوته ثمرتها

(١) سورة فصلت [٣٣] .
(٢) سورة آل عمران [١٩] .
(٣) سورة آل عمران [٨٥] .
(٤) سورة الأعراف [١٥٨] .
(٥) سورة سبأ [٢٨] .
(٦) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ٥٥ ، برقم : ٤٣٨ ؛ ورواه مسلم ، كتاب المساجد ، رقم : ٥٢٣ .
(٧) سورة يوسف [١٠٨] .

وفائدتها المرجوّة منها بإذن الله تعالى)) (١) .

ج - الألفاظ المقاربة للمصطلح :

● **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :**

((قد جمع الله - سبحانه وتعالى - بين الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آية واحدة فقال : ﴿ وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) ، العطف يقتضي المغايرة . فالدعوة إلى الله أعم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتابع من توابعها .

قال الإمام الشوكاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ .. ﴾ الآية : ((قوله تعالى : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ من باب عطف الخاص على العام ، إظهارًا لشرفهما ، وأنهما الفردان الكاملان من الخير الذي أمر الله عباده بالدعاء إليه ، كما قيل في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة)) (٣) .

وقال السعدي - رحمه الله - عند تفسيره للآية : ((إن الدعوة إلى الخير هي الدعوة إلى الدين أصوله وفروعه وشرائعه ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً ، والنهي عن المنكر ما عُرِف قبحه شرعًا وعقلاً)) (٤) .

والخلاصة أن ((الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ، فإن أُقرن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ، ودلَّ الآخر على الباقي)) (٥) ، مثل : الإسلام ، والإيمان ، والبر ، والتقوى ، فعند الافتراق يتداخلان وعند الاقتران يتغايران . والله أعلم .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- أن يعرف المسلم حكم الدعوة إلى الله ، وأنها أصبحت ، في عصرنا الذي كثر فيه الجهل وعظمت فيه الفتن ، فريضة شرعية وضرورة حتمية على كل مسلم مكلَّف كلٌّ حسب طاقته وموقعه ، وعلمه ومنصبه .

٢- الحث على الدعوة إلى الله والتحريض عليها ، ببيان فضلها وما أعدَّه الله -

---

(١) منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل ، المغذوي : ٩٧ - ١٠٠

(٢) سورة آل عمران [١٠٤] .

(٣) فتح الباري : ١ / ٤٥٠ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي : ١ / ٤٠٦ .

(٥) منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ، د . الخلف : ٢ / ٥٩٨ .

عز وجل - للدعاة ؛ ليكون ذلك دافعًا لبذل الغالي والرخيص والنفيس في سبيلها .

٣- التحذير من التقاعس عن هذه الأمانة ، والتفريط في أداء هذه الرسالة بذكر نصوص الوعيد لمن أخلَّ بالدعوة وقعد عنها وقصَّر فيها بدون عذر شرعي .

٤- أن يعرف ما ينبغي على الداعية أن يتحلَّى به من العلم والأخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، والمسالك العالية الرفيعة ، والقدوة الحسنة ؛ ليحصل التأسي به والميل إليه واتباع ما يدعو إليه [كيف يكون مؤثرًا ؟] .

٥- أن يعرف أهدافه التي يريد الوصول إليها من خلال دعوته ، فيعدّ لكل هدف خطته ، ويتخذ الأسلوب المناسب والوسيلة اللائقة التي توصله إلى هدفه بأقصر طريق وأقل جهد .

٦- أن يراعي الضوابط التي وضعها العلماء لتغيير المنكر والأمر بالمعروف ، والتي قطب رحاها المصالح والمفاسد ؛ فعليها مدار أحكام الشريعة كلها .

٧- أن يعرف الإجابة على بعض الشبهات التي (قد يسبب له بها) تثبيطه عن الدعوة وتعويقه عن الحركة ، والتي يتذرع بها بعض الكسالى القاعدين ليكون على علم بها وحصانة منها .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١- ماذا نعني بالدعوة ؟ وماذا يترتب على هذا المفهوم ؟ .
٢- فضل الداعية .
٣- حكم الدعوة إلى الله .
٤- احذروا التقصير فيها .
٥- من مفاسد القعود عن الدعوة في المجتمع .
٦- ماذا نريد ؟
٧- كيف يكون الداعية مؤثرًا ؟
٨- ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٩- صور من اهتمام رسول الله ﷺ بالدعوة .
١٠-مفكرة داعية .
١١-مسائل .

رابعًا : العرض :

١- **ماذا نعني بالدعوة ؟** [راجع دلالة المصطلح] .

٢- فضل الداعية :

ما أعظم منزلة الدعاة عند الله ، وأعلى قدرهم ، وأحسن قولهم ؛ دعوا إلى سبيله ، وجاهدوا فيه ، وصبروا على ما أصابهم احتسابًا لثوابه ، وطمعًا في مرضاته .

والمؤمنون متفاوتون في تلك المنازل والدرجات حسب صدق نياتهم ومقدار بذلهم وتضحيتهم واحتسابهم ، وقد قال تعالى : ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١) ، والدعاة إلى الله من أعظم المجاهدين .

وإليك - أخي الكريم - طرفًا من فضلهم ، وشيئًا من شرفهم ؛ رجاء أن تحث الخطى لتلتحق بقافلتهم ، وتسير تحت رايتهم ، فإنها راية مباركة ، حملها الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم ، وورثها من بعدهم الأصفياء ، الذين نذروا أنفسهم لدلالة الخلق على خالقهم .

٢ - ١ : الدعاة ورثة الأنبياء :

((العلماء ورثة الأنبياء ، والعلماء دعاة إلى الله ، يحملون العلم الذي ورَّثه الأنبياء يهدون به من ضل ؛ فهم بأشرف المنازل ، إذ جعل الله أشرف مراتب الناس [بعد الأنبياء] مرتبة خلافتهم ونيابتهم في أممهم ، بأنهم يخلفونهم على منهاجهم وطريقهم ؛ من نصيحتهم للأمة ، وإرشادهم الضال ، وتعليمهم الجاهل ، ونصرهم المظلوم ، وأخذهم على يد الظالم ، وأمرهم بالمعروف وفعله ، ونهيهم عن المنكر وتركه ، والدعوة إلى الله بالحكمة للمستجيبين ، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين ، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين ؛ فهذه حال أتباع الرسل وورثة النبيين)) (٢) .

فأنت أخي الداعية منهم ما دمت طالبًا للعلم ، متسلحًا به ، داعٍ إليه ، عاملاً به .

٢ - ٢ : أفضل الأعمال وأحسن الأقوال :

((الداعية إلى الله يقوم بأفضل الأعمال ، ويقول أحسن الأقوال بشهادة الله - سبحانه وتعالى - حيث يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

---

(١) سورة النساء [٩٥] .
(٢) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم : ١ / ٧٨ ، وانظر أيضًا : منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ، د . الخلف : ٢ / ٧٠ .

الْمُسْلِمِينَ ﴾ [1] . فالدعوة إلى الله من أفضل الأعمال ، وهي من أفضل صور الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام . قال الإمام ابن القيم : « وتبليغ سننه إلى الأُمة ، أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا يقوم بها إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أُممهم » [2] ، وقد سمّى اللهُ - عز وجل - مقارعة أهل الكفر الحجة بالحجة ، وتبليغ القرآن ، والدعوة بالبرهان جهادًا ، حيث قال سبحانه وتعالى : **﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا * فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾**[3]. فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ؛ ولهذا فإن دعوة الشباب المسلم واحتضانه وتربيته وحفظه من تيارات الفساد ، والعمل على تبصيره بواقع أمته ومخططات أعدائه ، يُعدُّ من أفضل الجهاد [4] .

٢ - ٣ : له مثل أجور من تبعه :

قال النبي ﷺ : « **من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** »[5] ، فأخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الدال على الخير والهدى له مثل أجر مَنْ دلَّه واهتدى به ؛ ولهذا أشاد الرسول ﷺ بهذه الفضيلة فقال : «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ** »[6] .

٢ - ٤ : النجاة من الخسران :

قال الله تعالى : **﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾**[7] ، فأقسم الحق - عز وجل - بالعصر أن كل أحد في خسارة إلا من اتصف بهذه المراتب الأربع : « إحداها : معرفة الحق . الثانية : عمله به . الثالثة : تعليمه من لا يحسنه . الرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فالذين آمنوا ؛ وهم الذين عرفوا الحق ، وصدقوا به ، فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات ؛ وهم الذين عملوا بما علموه من الحق ، فهذه مرتبة أخرى . وتواصوا

---

(1) سورة فصلت [٣٣] .
(2) التفسير القيم : ٤١٣ ، نقلاً عن منهج ابن القيم في الدعوة ، للخلف ، ص ٧١ - ٧٣ .
(3) سورة الفرقان [٥١ - ٥٢] .
(4) انظر مصطلح « الجهاد » في الرائد ، وما نقلناه عن الشيخ السعدي - رحمه الله - ، وانظر أيضًا مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ١ / ٧٠ .
(5) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب : من سنّ سنّة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدىً أو ضلالة ، برقم : ٢٦٧٤ .
(6) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب : دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ، برقم : ٢٩٤٢ ، رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، برقم : ٢٤٠٦ .
(7) سورة العصر [١ - ٣] .

بالحق ؛ وصَّى به بعضهم بعضًا ، تعليمًا وإرشادًا ، فهذه مرتبة ثالثة . وتواصوا بالصبر ؛ صبروا على الحق ، ووصَّى بعضهم بعضًا بالصبر عليه والثبات ، فهذه مرتبة رابعة »[1] . والدعاة إلى الله - عز وجل - هم من أولى الناس استكمالاً لهذه المراتب وعملاً بها .

٢ - ٥ : الدعاةُ خير الناس بعد الرسل :

لقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾[2] ، « فوصفهم الله بالخيرية مشروط بوجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكان الدعاة خير الناس ؛ لأنهم أنفع الناس للناس ، فهم يخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن الله ، ويرشدونهم إلى الخير ، ويحذرونهم من الشر ، إضافة إلى ما يلقاه الداعية من المشاقة في سبيل الدعوة »[3].

٢ - ٦ : هم المفلحون :

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

قال السعدي - رحمه الله - : « فكل مَنْ دعا الناس إلى خير على وجه العموم ، أو الخصوص ، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة ، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة »[5].

٢ - ٧ : نضّر الله وجوهكم يا معاشر الدعاة :

دعوة دعا بها النبي ﷺ لمن سمع كلامه ووعاه وبلّغه . دعا له بالنضرة ، وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه . قال ﷺ : « **نضَّر اللهُ امرأً سمِع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى مَنْ لم يسمعها ، فرُبَّ حامل فقهٍ غيرُ فقيهٍ ، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه** »[6]، وفي رواية : « **نضَّر الله امرأً سمِعَ منا شيئًا ، فبلّغه كما سمعه ، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع** » . فالمراتب التي وردت في الحديث أربع : السماع ، والوعي ؛ وهو العقل ، والحفظ ، ثم التبليغ والدعوة .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه

---

(1) مفتاح دار السعادة : ١ / ٥٦ - ٥٧ « بتصرف » .
(2) سورة آل عمران [١١٠] .
(3) منهج ابن القيم في الدعوة ، د / الخلف : ١ / ٧٤ .
(4) سورة آل عمران [١٠٤].
(5) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ١١٢ .
(6) رواه الترمذي وغيره عن ابن مسعود ، وهو في صحيح الجامع برقم : [٦٧٦٦] .

الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن ، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يُكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ؛ ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة كما في قوله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[1] ، فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم . فالنعيم وطيب القلب يظهر في الوجه كما قال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾[2]))[3].

٢ - ٨ : وصلاته عليكم :

معاشر الدعاة ، ما أعظم شرفكم ! وما أرفع عند الله منزلتكم ! فالله وملائكته وأهل السماء والأرض يصلون عليكم لعظم أثركم في الناس ، تحيون بالوحيين الموتى وتفتحون بهما قلوبًا غُلفًا ؛ فأكرم بهذا الفضل ، وأنعم بهذا الأجر !

قال ﷺ : ((**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جُحرها ، وحتى الحوت ، ليصلّون على معلِّمي الناس الخير**))[4] ، ورواه البزار من حديث عائشة - رضي الله عنها - قال ﷺ : ((**معلمُ الخير يستغفر له كلُّ شيء ، حتى الحيتان في البحر**))[5] .

٢ - ٩ : ودليل على إيمانكم :

قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[6] . قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : ((فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين ، فدلَّ على أن أخصَّ أوصاف المؤمنين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها : الدعاء إلىالإسلام والقتال عليه))[7].

٣ - حكم الدعوة إلى الله :

((لما كانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات ، وهي عامة للبشرية جمعاء إلى أن تقوم الساعة ، ولا يقبل الله دينًا سوى الإسلام لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[8] ، من هنا لزم لها التبليغ ؛ كي تصل تعاليمها وشرائعها إلى الناس

(1) سورة الإنسان [١١] .
(2) سورة المطففين [٢٤] .
(3) مفتاح دار السعادة ، ١ / ٧١ - ٧٢ .
(4) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو في صحيح الترغيب ، للألباني برقم : ٧٨ ، وقال : صحيح .
(5) في صحيح الترغيب برقم : ٧٩ ، وقال : صحيح .
(6) سورة التوبة [٧١] .
(7) الجامع لأحكام القرآن : ج ٤ / ٤٧ .
(8) سورة آل عمران [٨٥] .

جميعًا .

ومـن أمعن النظر علـم أن الـدعوة إلـى الله حيـاة الأديـان ، وأنـه مـا قـام دين مـن الأديان ولا انتشـر مـذهب مـن المـذاهب إلا بالـدعوة ، ومـا تـداعت أركـان ملـة بعـد قيامهـا وتلاشت إلا بترك الدعوة »[1] .

وإليك بعض النصوص من الكتاب والسنة ، التـي تـدل علـى وجـوب تبليـغ دعـوة الإسلام إلى الناس جميعًا :

٣ ـ ١ : القرآن الكريم :

أ ـ قـال الله تعـالى : ﴿**وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2] .

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبًا علـى كل فرد مـن الأمـة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبـي هريـرة قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** »[3] . وفي روايةٍ «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » .

ب ـ قولــه تعـالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾[4].

قال ابن القيم ـ رحمـه الله ـ : « قـال الفراء وجماعـة : ﴿ **وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ معطـوف علـى الضمير فـي ﴿ **أَدْعُو** ﴾ ، يعنـي أنـا ومـن اتبعنـي يـدعو إلـى الله كمـا أدعـو ، وهـذا قـول الكلبـي ، قال : حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليـه ، ويُذكر بـالقرآن والموعظـة »[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ، في تفسير هذه الآية : « فالدعوة إلى الله واجبة علـى مَنْ اتبعه ، وهم أمتـه ، يـدعون إلـى الله كمـا دعـا إلـى الله » .. إلـى أن قال : « وهذا الـواجب واجـب علـى مجمـوع الأمـة ؛ وهـو الـذي يسميه العلمـاء فرض

---

(1) منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى ، د . الخلف : ١ / ٤٣ .
(2) سورة آل عمران [١٠٤] .
(3) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمـان يزيـد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، برقم : ٤٩ .
(4) سورة يوسف [١٠٨] .
(5) التفسير القيم ، ابن القيم : ٣١٨ .

كفاية ، إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين ، فالأمة كلُّها مخاطبة بفعل ذلك ؛ ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين)) (١) .

جـ - قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٢) .

د - قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) .

٣ - ٢ : الأدلة من السنة :

أ - قوله ﷺ : ((**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ..**)) الحديث ، وقد مرَّ بنا قريبًا . قال الإمام النووي - يرحمه الله - : ((وأما قوله ﷺ : ((**فليغيره**)) فهو أمرُ إيجاب بإجماع الأُمة ، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وهو أيضًا من النصيحة التي هي الدين)) (٤) .

وقد استدلَّ به ابنُ كثير على وجوب الدعوة إلى الله .. وتغيير المنكر بالقلب معناه : بغض المنكر بقلبه ، وإنكاره بقلبه على من تلَبّس به من أهل الفجور والعصيان ؛ وذلك بعدم الجلوس معهم ، وتمعر وجهه من منكرهم ، وعقد العزم على العمل على تغييره في المستقبل .

ب- قوله ﷺ : ((**بلغوا عني ولو آية**)) (٥) .

((فهذا أمر منه ﷺ لأمته بأن تبلغ عنه رسالته ، ولو كان ما يستطيع الواحد منهم القيام بتبليغه آية واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ؛ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به النبي ﷺ)) (٦) ؛ فلا يتقاعس أحد من الأمة عن الدعوة والبلاغ بحجة قلة بضاعته ، فإنه ينبغي أن يقوم بأداء واجب الدعوة بحسب طاقته وما عنده من العلم بالرسالة .

جـ- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم**

---

(١) الفتاوى : ١٥ / ١٦٥ .
(٢) سورة النحل [١٢٥] .
(٣) سورة القصص [٨٧] .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٢ / ٢٢ .
(٥) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب : ما ذُكر عن بني إسرائيل ، برقم : ٣٤٦١ .
(٦) الفتح : ٦ / ٤٩٨ .

بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)) (١) .

وسيأتي في المبحث الذي يليه - إن شاء الله - مزيد من الأدلة التي تبيِّنُ عقاب من تخاذل عن هذه المهمة وتقاعس عن هذه المسؤولية .

والذي نخلص إليه من هذه النصوص :

١- الدعوة إلى الله تعالى من فروض الكفايات ، أي : إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين ، والذي ينظر إلى واقع الأمة اليوم يرى أنَّ الذين يؤدون واجب الدعوة لا يحصل بهم الكفاية ؛ نظرًا لانتشار الجهل وكثرة الفساد ، وتمكن أهل العلمنة والانحلال والانحراف من الكثير من وسائل الإعلام والتوجيه ، وهذا يحتاج إلى تكاتف الأمة جميعًا لصد تيارات الفساد والإفساد . وعليه فهي الآن فرض عين على كل واحدٍ من الأمة حسب طاقته ، يجتهد في الدفاع عن الدين وحماية الأمة من كيد أعدائها (٢) .

قال العلامة ابن باز - رحمه الله - :

((فعند قلة الدعاة ، وعند كثرة المنكرات ، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم ، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته)) (٣) .

٢- يجب على الرجل أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير في بيته ، وذلك بقدر جهده واستطاعته ، فواجبه داخل بيته أكبر تأكدًا وأخص تعينًا عليه من خارجه لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾(٤) ، وقوله ﷺ : ((**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته**)) (٥) ، فيجب عليه أن يأمر أهله بالصلاة وسائر الواجبات ، وينهاهم عن المحرمات ، وسائر المنكرات .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : ((ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، برقم : [٥٠] .
(٢) انظر منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ، د . الخلف : ١ / ٥٠ ، وانظر أيضًا ((الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة)) للعلامة ابن باز ، ص ١٢ وما بعدها .
(٣) انظر حقائق وأغلاط حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إبراهيم السماري ، ص ١٥ .
(٤) سورة التحريم [٦] .
(٥) رواه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن ، برقم : ٨٩٣ .

تمكَّن منه بلا عذر ولا خوف ، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم بـه إلا هـو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو ، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف)) [1] .

٣- أما ولاة الأمور من حكام المسلمين ، ومن ولـي أمر الدعوة والعلماء ممن لهـم القدرة ، فإنها في حقهم فرض عين ، فيجب عليهم ما لا يجب على غيرهم من تبليغ الدعوة في جميع الأقطار حسب القدرة والمستطاع ، لا سيما في وقتنا الحاضر ؛ حيث إن وسائل تبليغ الدعوة قد تيسرت ، والمتمثلة في وسائل الإعلام الحديثة : كالإذاعة ، والتلفاز ، والصحف ، وغير ذلك .. ومن هنا يتبين لنا أن حكم الدعوة إلى الله تعالى بالنسبة لكونها فرض عين أو فرض كفاية أمر نسبي يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال)) [2] .

٤- الإنكار القلبي ، وكراهية المنكر وأصحابه ، فرض عين على الجميع باتفاق العلماء ، ولا يعذر أحد بتركه ؛ لأنه ممكن لكل أحدٍ . وكذلك هو فرض عين حسب الاستطاعة ، إذا لم يعلم بالمنكر غير شخص معين ؛ فهو مطالب بالإنكار وجوبًا لأن الكفاية لا تقوم إلا به ، وكذلك إذا لم يستطع الدعوة في محيط أو مجال إلا هو فهي متعينة عليه ، وكذلك المنكر إذ لم يستطع تغييره إلا هو[3] .

٤ - احذروا التقصير فيها :

لقد وردت نصوص كثيرة تحذر الأمة من التقصير في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالتقاعس عنها باب من الشر عريض ، وذلك مؤذنٌ بعذاب الدنيا والآخرة ، ومن هذه النصوص :

٤ - ١ : حلول اللعنة - والعياذ بالله - :

قال الله تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾[4] .

يخبر الله - سبحانه وتعالى - في هاتين الآيتين أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم - صلوات الله عليهم - بسبب عصيانهم لله ، وظلمهم للعباد ، ثم خصَّ من هذه المعاصي التي حلّت عليهم بسببها العقوبات - ترك الأمر بالمعروف

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ٢ / ٢٣ .
(2) بتصرف ، من بحث ((فضل الدعوة إلى الله وحكمها)) للعلامة ابن باز - رحمه الله - نقلاً عن كتاب منهج الدعوة لابن القيم ، للخلف : ١ / ٥١ .
(3) انظر ((حتى لا تغرق السفينة)) ، ص ٤٤ .
(4) سورة المائدة، [٧٨ - ٧٩] .

والنهي عن المنكر مع القدرة ، بل كانوا يخالطون أهل المعاصي ، ويجلسون معهم ، ويرضون بمنكرهم (١) .

٤ - ٢ ، ٣ : نزول العذاب وعدم إجابة الدعاء :

قال النبي ﷺ : ((**والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشِكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ، ثم لتدْعُنَّه فلا يستجيب لكم**)) (٢) ، ((والمعنى - والله أعلم - أن أحد الأمرين واقع ؛ إما الأمر والنهي منكم ، وإما إنزال العذاب من ربكم ، ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعِه عنكم)) (٣) .

٤ - ٤ : انتشار الفساد ثم عموم الهلاك :

روى البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال : ((**مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا** (اقترعوا) **على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**)) (٤) . ((مثَّل النبي ﷺ في هذا الحديث حال رقابة المجتمع للفرد ، ورقابة الفرد للمجتمع ، بحال جماعة ركبت في سفينة ، فأرادت طائفة منها أن تعبث بأمن السفينة وركابها ؛ فكل من في السفينة إذا تركوا هذه الطائفة العابثة تفعل ما تشاء هلك كل من في السفينة ، وإذا منعوها ، وأخذوا على يديها نجا كلّ من في السفينة ! .

أليس يدلّ هذا التمثيل النبوي على أن كل مسلم في هذا الوجود له وظيفة اجتماعية في الأخذ على يد العابثين المفسدين ، والوقوف في وجه المارقين الظالمين .. حتى تسلم لأمة الإسلام عقيدتها وأخلاقها ، ويتحقق لها كيانها وعزتها ؛ وأنها إذا تساهلت في ذلك أصابها الله بالذل والهوان والتمزق ؟ !)) (٥) .

والهلاك الذي يصيب المجتمع عند تركه لهذه الشعيرة عام حتى لو وجد فيه قلة صالحة لقوله ﷺ عندما سُئل : أَنَهلِكُ وفينا الصالحون ؟ **قال** : ((**نعم ، إذا كثُرَ الخبث**)) (٦) . والخبث : المعاصي عمومًا ، ومعنى الحديث : أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام ، وإن كان هناك صالحون [انظر شرح النووي على صحيح مسلم] ، وفي هذا

---

(١) وجوب تبليغ الدعوة ، عبد الله علوان ، ص ١٣ .
(٢) رواه الترمذي ، وأحمد ، وهو في صحيح الجامع برقم : ٧٠٧٠ ، وحسّنه الألباني .
(٣) مرقاة المصابيح : ٨ / ٨٦٦ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الشركة ، باب : هل يقرع في القسمة ، برقم : ٢٤٩٣ .
(٥) وجوب تبليغ الدعوة ، ص ١٧ - ١٨ .
(٦) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ ، برقم : ٣٣٤٦ . ورواه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : اقتراب الفتن ... ، برقم : ٢٨٨٠ .

المعنى قوله ﷺ : ((**أوحى الله – عز وجل – إلى جبريل – عليه السلام – أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها . قال : يا رب إن فيهم عبدك فلانًا لم يعصك طرفة عين ، قال : فقال : اقلبها عليه وعليهم ، فإن وجهه لم يتمعَّر فيَّ ساعة قط**)) . والتمعّر : هو تغير الوجه غضبًا لله - عز وجل - عند رؤية مَنْ يتجاوز حدوده ويخالف أمره .

وقوله ﷺ : ((**ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدرون على أن يغيّروا ، ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم اللهُ بعقاب**)) [١] ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة نسأل الله أن يعاملنا بعفوه ورحمته ، وأن يغفر لنا تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا .

٥- من مفاسد القعود عن الدعوة في المجتمع :

التفريط في الدعوة والقعود عنها ، والتكاسل في القيام بها ، يترتب عليه شرور عظيمة ، ومفاسد جسيمة ، يراها المتأمل في أحوال المجتمعات التي قلَّ فيها المصلحون وتقاعس فيها الصالحون ، ومن تلك المفاسد :

٥ ـ ١ : جرأة أهل الفجور والفسقة على ارتكاب المعاصي والإعلان عنها والمجاهرة بها ؛ فيزداد الشر ويستفحل ، وتنتشر الرذائل ، وتضمحل الفضائل ، ويعظم شأن الفجار ، وتقوى شوكتهم ، ويصعب - بعد ذلك - على أهل الخير مقاومتهم وكفّهم عن باطلهم وردعهم عن فجورهم . وهذا أمر مُشاهَد في عصرنا ومحسوس ، يعاني منه أهل الدعوة كثيرًا ، نسأل الله أن يعزَّ دينه ، ويُعلي كلمته .

٥ ـ ٢ : كثرة الجهل ورؤية الباطل حقـًّا :

قال السعدي - رحمه الله - : ((إنه بترك الإنكار للمنكر يندرس العلم ، ويكثر الجهل ، فإن المعصية - مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص ، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يُظنُّ أنها ليست بمعصية ، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة ، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرّم الله حلالاً ، وانقلاب الحقائق على النفوس ، ورؤية الباطل حقًّا ؟)) [٢] .

٥ ـ ٣ : الاغترار بالمعاصي وتزيينها للناس :

((إن بالسكوت على معصية العاصين ، ربما تزينت المعصية في صدور الناس واقتدى بعضهم ببعض ؛ فالإنسان مولعٌ بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه)) [٣] .

---

(١) رواه أبو داود ، قال الألباني في تخريج المشكاة (٣ / ١٤٢٢) : إسناده صحيح .
(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي : ٢٠٣ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي : ٢٠٣ .

٥ ـ ٤ : انتشار الظلم وتنافر القلوب والتباغض :

المعصية ظلم ، وبانتشارها وكثرتها ينتشر الظلم ويستفحل ؛ فتنتهك الأعراض ، وُتؤكل الأموال بالباطل ، ويُستهان بالحقوق ، وتُضيَّع الأمانات ، وتَكثُر الخيانات ، وتتدابر الوجوه ، وتتنافر القلوب ، وينتشر الحقد والحسد ، كما حصل لبني إسرائيل يوم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد جاء في الأثر : ((فلما فعلوا ذلك (أي تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومخالطتهم لأهل الفجور ومشاركتهم إياهم) ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)) (١) .

٦- ماذا نريد ؟ :

إن من أكبر أسباب نجاح الداعية في دعوته معرفته لأهدافه ، ووضوحها لديه ، مع مراعاته للأولويات ، وتقديمه للمهمات ؛ ولهذا فإن النبي ﷺ عندما بعث معاذًا إلى اليمن رتب له أهدافه ، ووضح له غاياته ، وراعى في ذلك التدرج من الأهم إلى المهم فأول ما أوصاه به : الدعوة إلى التوحيد ، ومرتكزها ، وأساسها : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ثم الدعوة إلى العبادة وإقامة بقية أركان الإسلام ؛ ثم أوصاه بمعاملة الناس بالحسنى ، وعدم أخذ أموالهم بالإكراه ودون طِيب نفس ورضًا منهم ؛ ثم أوصاه بالأخلاق الحميدة ، والمسالك والتصرفات العالية الرفيعة أثناء الدعوة ومخالطة الناس ؛ وذلك باحترامهم ، وعدم ظلمهم ، وتحقيق العدل والإخاء والمساواة بينهم (٢) .

وهذه الوصية قد رويت في الكثير من كتب السُّنَّة ، ومنها صحيح البخاري ، حيث أوردها بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : ((**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلةٍ ، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذُ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائِمَ أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**)) (٣) .

ومن هذا يتبين أن الداعية لا بد أن تكون له أهدافه الواضحة التي يسعى لتحقيقها وفق تخطيط دقيق يراعي فيه الأولويات ومقتضيات المرحلة أو الوسط الذي يدعو فيه .

---

(١) رواه أبو داود وغيره ، وقد ضعّفه الألباني ، انظر الضعيفة : ١١٠٥ .
(٢) منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمعاذ ، المغذوي : ١٢٩ ، بتصرف يسير .
(٣) ورواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، برقم : ٤٣٤٧ . ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، برقم : ٢٩ .

وإليك بعض الأهداف التي ينبغي أن توليها جُلَّ اهتمامك في دعوتك :

٦ - ١ : تقوية الإيمان في القلوب :

إحياء الإيمان في قلوب الناس ؛ وذلك بإيقاظ الغافل ، وتذكير الناس ، وتعليم الجاهل ، وتشجيع المتردد ، وحث المتكاسل .. وهذا يتضمن :

أ - تذكير الناس بربهم ، وتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وحقه عليهم ، وإحسانه إليهم ؛ فهو خالقهم ورازقهم ، وهو الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف .. ليزداد حبُّه في القلوب ؛ لأن المرء إذا أحب شيئًا بذل جهده للوصول إليه ، وصبر على ذلك .

ب - تعريف الناس بنبيهم محمد ﷺ بذكر معجزاته وتبصيرهم بأيامه ﷺ ؛ ليكون الإيمان به وبرسالته عقيدة راسخة ، لا عادة موروثة ؛ وذلك ليحصل الاقتداء به ﷺ .

جـ - تقوية عقيدة اليوم الآخر في القلوب ، بذكر الجنة والنار ، ورحلة الإنسان في الدارين ؛ ليتخذ الإنسان دنياه مزرعة لآخرته .

د - تنقية العقائد من لوثات الشرك والبدع ، وسد ذرائع الشرك بجميع أشكاله وصوره .

٦ - ٢ : التعريف بشرائع الإسلام :

نظرًا لكثرة الجهل ، وغفلة الناس عن أمور دينهم ، وقلة الدعاة إلى الله - عزوجل - كان لا بد من الاهتمام بالتعريف بشرائع الإسلام ، وفي مقدمتها أركان الإسلام ، وأعظم هذه الأركان بعد الشهادتين الصلاة . فيُذكَّر المسلمون بحكمها وحكم تاركها ، وثواب المحافظين عليها ، وكيفية أدائها والخشوع فيها ، ونحو ذلك ..

٦ - ٣ : بناء الشخصية المسلمة :

تربية الأفراد لتتكامل معالم الشخصية المسلمة فيهم في جميع جوانبها العقدية والفكرية والسلوكية ، وذلك يتضمن :

أ - إعداد الأفراد في محاضن تربوية ذات منهج يكفل تأسيس جوانب الشخصية المسلمة .

ب - اكتشاف مهارات الأفراد وتنميتها ، والتعرف على مواهبهم واستثمارها ، وغرس حب التضحية والبذل لنصرة هذا الدين في نفوسهم .

جـ - ترسيخ مبدأ الجماعية وحب التعاون على البر والتقوى ، ((**إنما يأكل الذئب القاصية**)) .

د - معالجة الآفات السلوكية ، وتزكية النفوس من الأمراض التي تعيق الفرد عن أداء مهمته وإكمال مسيرته في الدعوة إلى الله [١] .

٦ - ٤ : بناء المجتمع المسلم الذي يعيش للإسلام ؛ يحمل دعوته ، وتسوده مبادئه ويتعامل بأخلاقه وقيمه ، وتحكمه شريعته . وهذا يتضمن بالإضافة لما ما سبق من الأهداف :

أ - نشر الدعوة بين أفراده ، وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ تأسيسًا للفضائل ودعمها ، واجتنابًا للرذائل ومحاربتها ، فإن ذلك من أكبر أسباب النجاح في إقامة مجتمع فاضل ، وذلك يتطلب إقامة المؤسسات الدعوية الحكومية وغير الحكومية التي تعنى بذلك .

ب- مناصحة ولاة الأمر والتعاون معهم على البر وتكثير سبل الخير في المجتمع .

جـ- توجيه الإعلام لخدمة الأمة ، ومناصرة قضاياها ، والتعريف بعقيدة الأمة وقيمها ، ومبادئها وأخلاقها .

د - التشجيع على إقامة الأسرة المسلمة بتسهيل الزواج وعدم التكلُّف فيه .

٦ - ٥ : إعادة الخلافة الإسلامية التي تكالب أعداء الله في الشرق والغرب على إسقاطها وإلغائها ، حتى تمَّ لهم ذلك على يد الخائب كمال أتاتورك ؛ ومحاولة دمج الدويلات الإسلامية في كيان إسلامي واحد لتعود لها قوتها وهيبتها ، وتستعيد عزَّها وكرامتها ، وتقوم بالأمانة التي وكلت بها : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾[٢] .

٧- كيف يكون الدا عية مؤثرًا ؟ :

لا يكفي أن يقوم الداعية بالدعوة إلى الله بأي صورة كانت ، بل لا بد من أن يلتزم ما أوصاه الله به ، فقال سبحانه : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٣] . وإن من الحكمة في الدعوة أن يجعل المرء من نفسه شخصية مؤثرة في الناس ليستطيع تحريك النفوس ، وفتح القلوب ، ويأخذ بزمامها إلى دوحة الإسلام ورياض الإيمان ، يتفاعل الناس معه ، ويستجيبون له .

ومن العوامل التي تعين الداعية على التأثير في الناس :

---

(١) انظر القائد ، مبحث فن تربية الأفراد .
(٢) سورة آل عمران [١١٠] .
(٣) سورة النحل [١٢٥] .

٧ - ١ : التميز والتفوق الروحي :

إن التميز الإيماني من أعظم أسباب نجاح الداعية ؛ إذ ليس النجاح بفصاحة اللسان ، ولا قوة البرهان ، ولا كثرة الأعوان ؛ بل هو - مع ذلك وقبل ذلك - بتوفيق الله الذي يخص به أولياءه ، ولا شك ((أن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله لدفع الناس إلى سبيله ، لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق ، وارتباطهم به أوثق ، وشغلهم به أدوم ورقابتهم له أوضح)) (١) . ونحن نريد روحانية إيجابية ، لا انعزالية ترتكز على العبادات والأوراد بعيدًا عن التفاعل مع الحياة وما فيها من هموم ومعاناة ، نريد ((روحانية إيجابية تحفزه للتضحية ، وتستهدف الشهادة ، وتعمق الحاجة إلى رضا الله ؛ لتغدو هاجسًا يوميًّا ، يلاحق كل مواطن رضاه في عملية تدقيق ومعاناة ، تجعله يعيش مع عقيدته في أفكاره ومشاعره وفي علاقاته ومطامحه ؛ فتتحول في داخل ذاته إلى همٍّ يومي متحرك يراقب الأشياء من خلاله ، ويحدد موقفه منها على أساسه)) (٢) .

٧ - ٢ : الرصيد العلمي والزاد الثقافي :

((وهذا أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة التساؤلات ، وحلول المشكلات ، إضافة إلى ذلك هو العدَّة التي بها يُعلِّم الداعيةُ الناس أحكام الشرع ، ويبصرهم بحقائق الواقع ، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات ، ومتقنًا في العرض ، ومبدعًا في التوعية والتوجيه .

((وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلَّها وأفضلها فهي لا تحصل إلاَّ بالعلم الذي يدعو به وإليه ، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حدٍّ يصل إليه السعي)) (٣) .

والخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما لا علم للداعي به ، تترتب عليه آثار وخيمة ؛ لأن العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح ، ولا يكون عمله صالحًا إن لم يكن بعلم وفقه ، وكما قال عمر بن عبد العزيز : ((من عبَد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)) . قلت : وفي قصة قاتل المائة ، الذي دُلَّ على عابد جاهل فأفتاه على جهل ، ترتب عليه مفسدة عظيمة ، دليل على ضرورة وجود رصيد علمي وزاد ثقافي لدى الداعية ليدعو به إلى الله على بصيرة .

---

(١) الحركة الإسلامية : هموم وقضايا ، ص١٤ ، نقلاً عن مقومات الداعية الناجح ، ص ٤٣ .
(٢) مقومات الداعية الناجح ، د . بادحدح ، ص ٣٣ - ٣٤ . وانظر أيضًا كيف يدعو الداعية ، عبد الله علوان ، ص ٧٨ ، وله أيضًا : روحانية الداعية .
(٣) مقومات الداعية الناجح ، د . بادحدح ، ص ٤٥ ، للتوسع ، انظر نفس المرجع من ص ٤٥ - ٥٨ ، وانظر أيضًا ثقافة الداعية للقرضاوي ، وثقافة الداعية لعبد الله علوان - رحمه الله - ، العلاقة بين الفقه والدعوة ، لمفيد خالد أحمد عيد .

٧ - ٣ : السمو الأخلاقي [والقدوة الحسنة] :

((مما لا يختلف فيه اثنان أن الداعية إلى الله لا يثق الناس به ، ولا يأخذون عنه ولا يستجيبون لدعوته إذا كان معروفًا لديهم بالانحراف ، ومشتهرًا في المجتمع بالتزلف والنفاق ، وكان أيضًا ممن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .. فمهما دعا ووعظ وذكّر فلا يتجاوز قوله الآذان ، ومهما تفاصح وأزبد وأرعد فلا ينفذ كلامه إلى القلوب !

من أجل هذا كان إنكار القرآن الكريم على الذين تخالف أفعالهم أقوالهم عظيمًا ، والتنديد بهم مقرّعًا وعنيفًا . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[1]))[2].

والتزام الداعية بالأخلاق الفاضلة من أعظم أسباب كسب القلوب وتأثرها به وإلفها له وانسجامها معه ، وخاصة الرفق ، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، وقد قال الله - سبحانه - لرسوله ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[3] .

٧ - ٤ : قوة الإقنـاع :

((ومن أبرز العوامل التي توصل الداعية إلى قمة النجاح والتوفيق ، وتضفي على مستمعيه روح الهيمنة والتأثير - قوة إقناعه ، وظهور استدلاله ، ونصاعة حجته وبرهانه .. وهذا لا يتأتّى إلا أن يكون الداعية سريع البديهة ، قويّ الملاحظة ، شديد الحذر ، عظيم الإحساس بأحوال الحاضرين ، فضلاً عن شمول علمه ، وسعة ثقافته ، وجاذبية كلامه ومنطقه ، وسلاسة فصاحته وأسلوبه ، وملامح روحانيته وتقواه .

ولكن في الحقيقة لا تكفي قوة الحجة ، ولا سرعة البديهة ، ولا سلاسة الأسلوب ، ولا ملامح التقوى .. إذا لم يُعطِ الداعية كل إنسان على حسب ما يتناسب مع فهمه ، وما يتفق مع عقليته))[4]. كما قال عليٌّ ﷺ : ((حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسوله ؟ !))[5] .

وإليك - أخي الداعية - هذا الموقف من مواقف رسول الله ﷺ في إقناع الأفراد في الكفِّ عن الفساد :

---

(1) سورة الصف [٢ - ٣] .
(2) كيف يدعو الداعية ، ص ٨١ ، وانظر أيضًا القدوة علي طريق الدعوة ، مصطفى مشهور ، ص ١١٢ ، مقومات الداعية الناجح ، ص ٢٧ - ٢٩ ، السلوك وأثره في الدعوة إلى الله ، فضل إلهي .
(3) سورة آل عمران [١٥٩] .
(4) كيف يدعو الداعية ، ص ٨٤ .
(5) صحيح البخاري ، باب رقم : ٤٩ ، حديث رقم : ١٢٧ ، موقوفًا على عليّ ﷺ .

روى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة ﷺ أن غلامًا شابًّا أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله ، أتأذن لي بالزنى ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : ((**قرّبوه ، ادنُ**)) فدنا حتى جلس بين يديه .. فقال ﷺ : ((**أتحبّه لأمك ؟**)) ، قال : لا ، جعلني الله فداك . قال : ((**كذلك الناس لا يحبّونه لأمهاتهم**)) ، ثم قال : ((**أتحبه لابنتك ؟**)) ، قال : لا ، جعلني الله فداك . قال : ((**كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم**)) ، ثم قال : ((**أتحبّه لأختك ؟**)) ، قال : لا ، جعلني الله فداك . قال : ((**كذلك الناس لا يحبّونه لأخواتهم**)) .

وزاد الراوي ابن عوف : حتى ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداك ، والنبي ﷺ يقول : ((**كذلك الناس لا يحبّونه ..**)) ، ثم وضع الرسول يده على صدره وقال : ((**اللهم طهّر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه**)) ، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنى .

((وهكذا ترفَّق النبي - عليه الصلاة والسلام - بالشاب في البدء ، ثم أقنعه عقليًّا ووجدانيًّا بقبح الزنى وأثره على الأخلاق والمجتمع ، فبعد أن رأى ﷺ انجذاب الشاب إليه ، وإقباله عليه ، وقناعته العقلية بالذي حدّثه به ، دعا له بهذه الدعوات الكريمات ، ذات المعنى والمغزى ، فقام من بين يدي رسول الله ﷺ وليس شيء أبغض إليه من الزنى !)) [١] .

وفي الأمثلة أيضًا ما قصه الله علينا عن حوار إبراهيم مع قومه [سورة الأنبياء : ٦٢ - ٦٩ ، وقصته مع الملك نمرود في سورة البقرة] .

ومن الأمثلة :

((اجتمع سفير الدولة العثمانية في بلاد الإنكليز مع كبراء الدولة ، فقال أحد الكبراء للسفير : لماذا تصرون أن تبقى المرأة المسلمة في الشرق الإسلامي متخلفة ، معزولة عن الرجال ، محجوبة عن النور ؟ !

فقال له السفير العثماني : لأن نساءنا المسلمات في الشرق لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن ؛ فخجل الرجل ، ولم ينبس ببنت شفة ، وتمنى أن لم يغمز المسلمين بكلامه !)) [٢]

٧ - ٥ : الحماس والتفاعل :

---

(١) كيف يدعو الداعية ، ٨٧ .
(٢) المرجع السابق ، ٩٤ .

شتان بين داعيتين :

الأول : لا يعمـل إلا بـأجر ، ولا يتحـرَّك إلا بتوظيـف ، ولا ينطلـق فـي ميـادين الدعوة إلى الله إلا إذا تحصَّلت له غاية شخصية ، أو مصلحة مادية ، أو منفعة دنيوية .

الثاني : حين يتحرك للدعوة يتحرك من ذاته ، وحين ينطلق في سبيلها ينطلق من وحي صدقه وإخلاصـه ، وحين يعمل للإسلام لا يشترط الأجر ، ولا يبغي الجزاء ولا الشكور .

لا شك أن الثاني تـأثيره فـي النـاس أعظـم ، واهتمامـه للـدعوة أبلـغ ، وتفاعلـه مـع الجهاد الدعوي أسمى وأكبر .

قال عمر بن ذر لأبيه يومًا : يا أبتِ إذا تكلّمت أبكيت الناس ، وإذا تكلّم غيرك لم يُبكهم ؟ فقال ذر : يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة !

صدق ذر فيما قال .. نعم ليس الداعية الذي يتكلّم بلسـانه وهو متصـنع بـالكلام ، متشدق بالفصاحة ؛ ليسبي به قلوب الرجال ، كالداعية المهتم المخلص المكلوم القلب على الإسلام ، لا يتكلم إلا بنبضات قلبه ، ولا يتحدث إلا من أحاسيس حزنـه وأسـاه ؛ مستعرضًا فيما يقول أحوال المسلمين ، وأوضاع بلاد الإسلام .

((ولا يمكن للداعية أن يتفاعل مع الدعوة الإسلامية ، وينطلق فـي ميادينهـا عن حرارة وعزيمة وإخلاص إلا أن يتحقق بشيئين هامين :

١) إدراكه أبعاد المؤامرات على الإسلام وبلاد الإسلام .

٢) وضع قضية المسلمين الأولى في بؤرة وجدانه وشعوره)) (١) .

٧ - ٦ : التطوير والتجديد والتشويق في الأساليب والوسائل :

من عوامل التأثير في الناس حسن اختيار الأسلوب والوسيلة التي يوصل الداعية بهما الخير إلى الناس ، ولقد كان من سُنّة النبي ﷺ فـي الـدعوة التنويـع والتشـويق فـي عرض الحق الذي يدعو إليه ، فمرةً يعرضـه على شكل قصة (٢)، ومرة يعرضـه علـى شكل سؤال (٣)، وأخرى على شكل موعظة توجل منها القلوب وتـذرف منهـا العيـون ، ورابعة على شكل مثل كحديث السفينة الذي قـال فيـه ﷺ : ((**مثل القائم على حدود الله**

---

(١) كيف يدعو الداعية ، ٩٦ - ٩٨ .

(٢) كقصة الثلاثة الذين دخلوا الغار ، وقصة جريج العابد ، وقصة المقترض ، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى .

(٣) ومن الأمثلة : حديث ((**أتدرون مَنْ المفلس ؟**)) ، وحديث : ((**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مرات ؛ هل يبقى من درنه شيء ؟**)) .

والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على مَنْ فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجوْا جميعًا))[1].

٨ - ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أ - للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط وآداب لا بد من التزامها ؛ حتى يكون أمرنا بالمعروف معروفًا ، ونهينا عن المنكر غير منكر .. فمن الآداب بل الشروط :

(١) العلم والفقه : فلا يكون عمله صالحًا إن لم يكن بعلم وفقه ، كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ((مَنْ عَبَدَ الله بغير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح)) .

(٢) الرفق : كما قال النبي ﷺ : ((**ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه**)) [2] .

(٣) الصبر : فلابد أن يكون صبورًا على الأذى ، فإن لم يصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه ، قال الله - عز وجل - : ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[3][4].

ب - وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - درجات تغيير المنكر وهي بمثابة الضوابط لعملية التغيير ، فقال - رحمه الله - :

أربع درجات للإنكار : فإنكار المنكر أربع درجات : الأولى : أن يزول ويخلفه ضده . الثانية : أن يقل وإن لم يزل بجملته . الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله . الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه ؛ فالدرجتان الأُولَيان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة .

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله : كرمي النشّاب ، وسباق الخيل ، ونحو ذلك ؛ وإذا رأيت الفسَّاق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية ، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك ؛ فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك ؛

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الشركة ، باب : هل يقرع في القسمة برقم : ٢٤٩٣ .
(٢) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، برقم : ٢٥٩٤ .
(٣) سورة لقمان [١٧] .
(٤) انظر رسالة الحسبة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ٣٩ - ٤١ .

وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخِفْتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى ، وهذا باب واسع .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه - يقول : ((مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ؛ فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم)) [١] .

٩- صور من اهتمام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله :

لقد أوقف - بأبي هو وأمي - ﷺ حياته على الدعوة إلى الله ، فحياته هي الدعوة ، والدعوة هي حياته ﷺ .. شغلت عليه فكره ، حتى كاد يموت من شدة حرصه على دعوة الناس وهدايتهم ، فقال الله - عز وجل - له : ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾[٢]

[باخع : أي قاتل] . فقد كان حريصًا على هداية كل الناس ؛ ولهذا قال الله - عز وجل - فيه : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ** ﴾[٣].

وإليك بعضًا من صور اهتمامه ﷺ بالدعوة :

أ – ثباته ﷺ على دعوته ، وإنكاره على مَنْ ساومه على تركها :

ففي حديث عقيل بن أبي طالب أن أبا طالب أرسل عقيلاً إلى النبي ﷺ ، فلما حضر قال له عمه : ((إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم ؛ فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء ، فقال : **أترون هذه الشمس ؟** قالوا : نعم ، قال : **فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة** ، فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي فارجعوا)) [٤] .

ب – حثه أصحابه على الدعوة إلى الله وتشجيعه لهم :

---

(١) إعلام الموقعين : ٣ / ٤ - ٥ .
(٢) سورة الشعراء [٣] .
(٣) سورة التوبة [١٢٨] .
(٤) سيرة ابن إسحاق ، ص ١٥٥ ، بإسناد حسن . وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ١٥) : رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي ، ص ١١٤ - ١١٥ ، بعد ذكره قول الهيثمي ، قال : إن هذه القصة قد أخرجها مختصرة الطبراني في الأوسط والكبير من حديث عقيل بن أبي طالب ، ورواه الذهبي في السيرة ، ص ١٤٨ - ١٤٩ ، بنفس سند ابن إسحاق ، ثم قال : رواه البخاري في التاريخ عن أبي كريب عن يونس . وعند البيهقي في الدلائل (٢ / ١٨٦) من حديث عقيل ، وقال البيهقي : رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء ، عن يونس (٤ / ١ / ٥١) ، انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ١٦٧ ، حياة الصحابة ، ٣٣ .

- قال ﷺ لعليٍّ ﷺ في غزوة خيبر : ((**انْفُذْ على رِسْلِكَ حتىتنزل ساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ**)) (١) ، وحُمْرُ النَّعَمِ : هي الإبل الحمراء ، وتُعدُّ أنفسَ الأموال .

جـ - عن أنس ﷺ أن غلامًا من اليهود كان يخدم النبيَّ ﷺ فمرض ، فأتاهُ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : ((**أَسْلِمْ**)) فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال : ((أطع أبا القاسم)) ، فأسلم ، فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول : ((**الحمد الله الذي أنقذه بي من النار**)) (٢) .

د - استغلاله لمواسم تجمع الناس ، وسعيه ﷺ بالدعوة بينهم ، ومروره بالأسواق للدعوة .

فكان ﷺ يوافي الموسم ويدعو الحجيج في منازلهم بعكاظٍ ، ومَجَنَّةَ ، وذي المجاز ((وهي أسواق كانت في الجاهلية ، كانوا يجتمعون بها يلقون الخطب ، وينشدون الأشعار)) (٣) . روى أحمد عن رجل من بني مالك بن كنانة قال : رأيت رسولَ الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخلَّلُها يقول : ((**يا أيها الناس : قولوا : لا إله إلا اللهُ تفْلِحوا**)) . قال : ((وأبو جهلٍ يحثي عليه التراب ويقول : لا يُغوينّكم هذا عن دينكم)) (٤) .

هـ - سعيه بالدعوة في جميع أحواله في سفره وإقامته ، وحربه وسلْمه ، وصحته وسقمه ، ومن ذلك :

– **دعوته ﷺ في السفر** : قال ابن عمر - رضي الله عنهما - : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فأقبل أعرابيٌّ ، فلما دنا منه ، قال له رسول الله ﷺ : ((**أين تريد ؟**)) ، قال : إلى أهلي ، قال : ((**هل لك إلى خير ؟**)) ، قال : ما هو ؟ قال : ((**تشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبدُه ورسوله**)) . قال : هل مِنْ شاهد على ما تقول ؟ قال : ((**هذه الشجرة**)) . فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي ، فأقبلت تَخُدُّ الأرض خدًّا (أي : تشق الأرض شقًّا) ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا ، فشهدت أنه كما قال . قال : ثم إنها رجَعَت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت إليك وكنت معك (٥) .

---

(١) رواه البخاري ، وقد سبق تخريجه .
(٢) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه ، برقم : ١٣٥٦ .
(٣) انظر حياة الصحابة ، هامش ص ٥٠ .
(٤) رواه أحمد (٥ / ٣٧١ / ٣٧٦) . قال الهيثمي في المجمع (٦ / ٢١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، انظر حياة الصحابة للكاندهلوي ، ص ٥٩ .
(٥) أخرجه الحاكم ، وفي البداية والنهاية لابن كثير : ٦ / ١٢٥ ، أورد الحديث ثم قال : ((وهذا إسناد جيد ، ولم يخرجوه ، ولا رواه الإمام أحمد)) . قال الهيثمي في المجمع (٨ / ٢٩٢) : ((رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)) ،

- وعـن ابـن عبـاس - رضـي الله عنهمـا - قـال : ((ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا حتى دعاهم))(١).

- وقد كان من آخر كلماته ﷺ وهو في مرض موته : ((**الصلاة وما ملكت إيمانكم**)) ، يدعو أمته للاهتمام بالصلاة .

- ولقد سلك صحابته مسلك رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله ، فانتشروا في الأرض دعاةً مهتدين ، يبشرون وينذرون ؛ فنفع الله بهم ، ونشر دعوة الخير على أيديهم (٢) .

١٠- مفكرة داعية :

١٠ - ١ : واجب الدعوة إلى الله يؤدَّى في جميع الأوقات والأحوال :

- ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا** ﴾(٣) . ﴿ **ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾(٤) .

- ويوسف يوم أُدخل السجن ظل هاجس الدعوة في قلبه ، فراح يبلغ الدعوة إلى مَنْ معه في السجن متناسيًا هموم نفسه .

١٠ - ٢ : التكليف بالدعوة وليس بالاستجابة والهداية :

قال تعالى : ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** ﴾(٥) ، فالدعاة عليهم أن يبذلوا أسباب هداية التبليغ والبيان ، فهم مكلفون بها .. قال الإمام النووي : ((وقد قدمنا أن الذي عليه [أي : الداعية] الأمر والنهي [أي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] ، لا القبول))(٦).

١٠ - ٣ : لا تيأس من قلة الناصر والمستجيب :

ولك في أنبياء الله أسوة حسنة . قال رسول الله ﷺ : ((**عرضت عليَّ الأمم ، فرأيتُ**

ورواه أبو يعلى أيضًا والبزار . انظر حياة الصحابة ، الكاندهلوي ، هامش ص ٦١ .
(١) رواه الحاكم ، قال الهيثمي (٥ / ٣٠٤) : ((رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد ، ورجال أحدهما رجال الصحيح)) .
(٢) انظر حياة الصحابة ، ص ١٠٤ - ١٢٥ ، ١٣٧ .
(٣) سورة نوح [٥] .
(٤) سورة نوح [٩] .
(٥) سورة العنكبوت [١٨] .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : ٢ / ٢٣ ، وانظر للتوسع ، شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي ، ص ٣٠ - ٣٥ .

النبي ومعه الرهط ، والنبيّ ومعه الرجل والرجلان ، والنبيّ ليس معه أحد)) [1] . فانظر إلى هؤلاء الأخيار الأبرار من صفوة عباد الله ، يأتي يوم القيامة بعد جهاد طويل وليس معه أحد .

١٠ - ٤ : أجرك على الله :

لا تطلب من الناس مالاً ، ولا ثناءً وجزاءً ، ولا شكورًا ؛ إنما اطلب الأجر من ملك الملوك - سبحانه وتعالى - : ﴿**فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[2] [3] .

١٠ - ٥ : تبليغ الدعوة بالأعمال أبلغ من الأقوال :

((فليحذر الداعي من مخالفة أفعاله لأقواله ؛ فإن النفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ، ولا يوافق فعلُه قوله ؛ ولهذا قال شعيب - عليه السلام - : ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾[4] . وقد حذَّرنا الله من مخالفة أفعالنا لأقوالنا فقال - عز وجل - : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** ﴾[5])) [6] .

١٠ - ٦ : الاتصال بالناس من أجل عرض الدعوة عليهم من واجبات الدعاة ، ((فلا تلوموا الذين لم يحضروا إليكم ؛ ولكن لوموا أنفسكم إذ لم تتصلوا أنتم بهم)) [7] .

١٠ - ٧ : الشمولية من خصائص هذا الدين الذي تدعو إليه ، فلا تقصر تفكيرك على جانب من جوانبه دون سواه . فالتوازن مطلوب في كل شيء .

١٠ - ٨ : أنت قليل بنفسك كثير بإخوانك ، فاتصل بإخوانك الصالحين ، والدعاة العاملين المخلصين ، وتشاور معهم ، وتناصح وإياهم ، ولا تنفرد بعملك أو برأيك ((**فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**)) ، وقد قال موسى - عليه السلام - داعيًا ربه : ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي *كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا** *

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره ؛ ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب .
(٢) سورة يونس [٧٢] .
(٣) انظر أصول الدعوة ، ص ٣١٠ - ٣١٣ .
(٤) سورة هود [٨٨] .
(٥) سورة الصف [٢ - ٣] .
(٦) أصول الدعوة : ص ٤٦٩ .
(٧) كيف ندعو الناس ، عبد البديع صقر ، ١٢ - ١٤ .

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾(١) .

١٠ - ٩ : احذر التعميم في ألفاظك وكلماتك وأحكامك ؛ لأن التعميم غالبًا ما يكون خاطئًا ، فالشر المحض والخير المحض قليل ؛ ولهذا تحتاج إلى عبارات التخصيص والاستثناء أكثر من حاجتك إلى عبارات التعميم . وقد قال رسول الله ﷺ « **إذا قال الرجل : هلك الناس ، فهو أهلكُهم** » (٢) ، ومعناه : هو أشدهم هلاكًا ، وفي رواية بفتح الكاف : « **فهو أهلكَهم** » ، فمعناه : هو جعلهم هالكين ، لا أنهم هلكوا في الحقيقة ، واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم ، قالوا : فأما من قال ذلك تحزنًا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه » (٣) .

١١- مسائـل :

١١ - ١ : ما الرد على شبهة أولئك الذين لا ينكرون منكرًا ولا يدعون إلى معروف ، ويحتجون بقولـه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾(٤) ؟

لو تدبر أصحاب هذه الشبهة في الآية نفسها لما نطقوا بها . اشترط الله تعالى لعدم إصابة الضرر بسبب ضلال الآخرين - أن يكون الشخص مهتديًا ، حيث قال تعالى : ﴿ **لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ ، ولا يصير الشخص مهتديًا إلا إذا أدى ما أوجبه الله عليه . وممّا أوجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ فالذي لا يقوم بهذا لا يكون مهتديًا ؛ لأن فوات الشرط يستلزم فوات المشروط . وقد بيّن هذا بعض الصحابة والتابعين وكثير من المفسرين والعلماء القدامى والمتأخرين .

فعلى سبيل المثال نقل الإمام ابن جرير الطبري عن حذيفة ﷺ في تفسير هذه الآية أنه قال : « إذا أمرتم ونهيتم » (٥) .

كما نقل الإمام الطبري عن سعيد بن المسيب في تفسير الآية أنه قال : « إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت » (٦).

ويقول الإمام أبو بكر الجصاص في تفسير الآية : « ومن الاهتداء اتباع أمر الله في

(١) سورة طه [٢٩ - ٣٣] .
(٢) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن قول : هلك الناس ، برقم : ٢٦٢٣ .
(٣) من هامش صحيح مسلم بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي (٤ / ٢٠٢٤) .
(٤) سورة المائدة [١٠٥] .
(٥) تفسير الطبري : ١١ / ١٤٨ .
(٦) المصدر السابق .

أنفسنا وفي غيرنا ، فلا دلالة فيها إذًا على سقوط فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) [1] .

ويقول الإمام النووي : ((وأما قول الله - عز وجل - : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[2] فمعناه : أنكم إذا فعلتم ما كُلِّفتم به فلا يضركم تقصير غيركم . وإذا كان كذلك ، فمِمَّا كُلِّف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه ، فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول . والله أعلم [3])) [4] .

١١ - ٢ : هل للمقصر في بعض الواجبات عذر في ترك الدعوة لأنه مقصر ؟

ويجيب الإمام النووي - رحمه الله - على هذا السؤال فيقول : ((قال العلماء : ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ، ممتثلاً ما يأمر به ، مجتنبًا ما ينهى عنه ؛ بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به ، والنهي وإن كان متلبسًا بما ينهى عنه ، فإنه يجب عليه شيئان : أن يأمر نفسه وينهاها ، ويأمر غيره وينهاه ، فإذا أخل بأحدهما ؛ كيف يباح له الإخلال بالآخر ؟ !))[5] .

وليس الإنكار الوارد في قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[6] - ليس الإنكار على أمرهم بالبر ، بل على ترك إلزام أنفسهم بالبر الذي يدعون إليه . قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ((اعلم - وفقك الله - أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر ، لا بسبب الأمر بالبر)) [7] .

وقال الإمام البيضاوي - رحمه الله - : ((والآية ناعيةٌ على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوءَ صنيعه وخبث نفسه .. والمراد به حثُّ الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها لتقوم فيقيم غيره ، لا منعُ الفاسق عن الوعظ ، فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يُوجب الإخلال بالآخر)) [8].

((وقال الحسن البصري - رحمه الله - لمطرَف بن عبد الله : عِظ أصحابك ، فقال : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل . قال : يرحمك الله ! وأيّنا يفعل ما يقول [وهذا من

---

(1) أحكام القرآن : ٢ / ٤٨٦ .
(2) سورة المائدة [١٠٥]
(3) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٢٢ ، نقلاً عن شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي ، ص ١٣ - ١٥ .
(4) شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي ، ص ١٣ - ١٥ .
(5) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٢٣ .
(6) سورة البقرة [٤٤] .
(7) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١ / ٣٦٦ .
(8) تفسير البيضاوي : ١ / ٥٩ ، مختصرًا ، وانظر للتوسع السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ، د . فضل إلهي ، ص ١٩٦ - ٢٠ .

تواضع السلف واتهامهم لأنفسهم ﷺ] ، يود الشيطان أنه قد ظفر بهذا ، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .. وقال مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن : سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء !)) (١) .

١١ - ٣ : بعض الناس يعتقد أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هي من اختصاص العلماء فقط وأصحاب الولايات : كأهل الحسبة ، وليست لعموم الناس ؛ فما هو توجيهكم لهؤلاء ؟ :

الجواب : إن حديث الرسول ﷺ : ((**من رأى منكم منكرًا ..**)) يشمل جميع المسلمين ، فلم يستثن أحدًا منهم ، كلٌّ حسب طاقته وعلمه ؛ ولهذا قال الإمام النووي - رحمه الله - : ((قال العلماء : ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات ، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين . قال إمام الحرمين : والدليل عليه إجماع المسلمين ، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر من غير ولاية ، والله أعلم . ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه ، وذلك يختلف باختلاف الشيء ؛ فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة : كالصلاة ، والصيام ، والزنى ، والخمر ، ونحوها .. فكل المسلمين علماء بها ، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ، ولا لهم إنكاره ، بل ذلك للعلماء)) (٢) .

١١ - ٤ : هل يُنكر على أمر مختلف فيه ؟

إنما الإنكار على أمر مجمع عليه ، ((أما المختلف فيه فلا إنكار فيه ؛ لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب ، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم ، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا ، والإثم مرفوع عنه ، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق ؛ فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر)) (٣) .

١١ - ٥ : هل المرأة في الدعوة إلى الله كالرجل ؟

الأصل في النصوص الشرعية أنها تخاطب الرجال والنساء سواء ، والنصوص

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج ١ / ٣٦٧ - ٣٦٨ .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٢٣ .
(٣) المرجع السابق : ٢ / ٢٣ .

التي أمرت بالدعوة والاحتساب عامة تدخل فيها المرأة كالرجل ، إلا أن المرأة مأمورة بالتستر وعدم مخالطة الرجال والخضوع لهم بالقول والقرار في البيوت ونحوها من الآداب الإسلامية التي شرعت لحماية المرأة في الابتذال ، وهذا لا يسقط عنها وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله - حسب الاستطاعة - متى رأت المنكر ، وقد وصف الله المؤمنين والمؤمنات فقال : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ [1] الآية . قال ابن النحاس - رحمه الله - : « وفي ذكره تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنَاتُ** ﴾ هنا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على النساء كوجوبه على الرجال ؛ حيث وجدت الاستطاعة » [2] .

وقال عز وجل : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾[3] . قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » [4] ، وقال الجصاص - رحمه الله - : « فهذه الأمور كلّها مما أدَّب الله تعالى به نساء النبي ﷺ صيانةً لهن ، وسائر نساء المؤمنين مرادات بها » [5] .

وقد قال ﷺ : « **والمرأة راعية على أهل زوجها وولده ومسؤولة عن رعيتها** » [6] .

وعليه : فإن على المرأة المسلمة أن يكون لها دور في الدعوة إلى الله من بنات جنسها وفي بيت زوجها أو أهلها حسب استطاعتها [7].

وهناك بعض المجالات ، التي ينبغي أن تستثمرها المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله ، منها :

أ - تربية الأبناء .

ب - اللقاءات العائلية .

---

(1) سورة التوبة [٧١] .
(2) تنبيه الغافلين ، ص ٢٠ .
(3) سورة الأحزاب [٣٢].
(4) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٤ / ١٧٨ .
(5) أحكام القرآن : ٣ / ٣٦٠ .
(6) رواه البخاري ، كتاب الأحكامك ، باب قوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ برقم : ٧١٣٧ ، ورواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، برقم : ١٨٢٩ .
(7) انظر مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي .

جـ - الزيارات النسائية .
د - المدارس والجامعات .
هـ - دور الذِكر وتحفيظ القرآن .
و - الكتابة في بعض وسائل الإعلام .
ز - الإنكار على بعض وسائل الإعلام عبر الهاتف أو الرسائل ، وكذلك بقية المؤسسات والوزارات إذا سمعت عن منكر فيها يمكنها إنكاره .

ومن الأمثلة على قيام نساء السلف بالدعوة والاحتساب : أن نساءً من أهل حِمصَ أو من أهل الشام دَخلْنَ على عائشة - رضي الله عنها - فقالت : أنتن اللاتي يَدخلنَ نساؤكنَّ الحمّامات ؟ ! [تعني الحمامات العامة التي يدخلها الإنسان ليغتسل بها بالأجرة] سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**ما من امرأة تضعُ ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت السِّترَ بينها وبين ربِّها**)) (١)(٢) .

فانظر كيف استغلت عائشة - رضي الله عنها - فرصة مجيء النسوة من أهل الشام لتوجيههن وتعليمهن وتحذيرهن من بعض المنكرات التي سمعت عنها في تلك البلاد ، ثم انظر كيف كانت - رضي الله عنها - مُلمَّةً بقضايا أمتها على الرغم من أن وسائل الإعلام في ذلك الزمن ليست كزماننا هذا ، ومع هذا فإنها - رضي الله عنها - علمت بأن في الشام حمامات يَدْخُلْنَها النساء .

وهكذا ، ينبغي أن تكون المرأة المسلمة مُلمَّةً بشؤون أمتها وبنات جنسها . . وكذلك في استشهادها بحديث رسول الله ﷺ دلالة على أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والداعي إلى الخير ينبغي أن تكون دعوته على بصيرة وفقه بالكتاب والسنة فيما يدعو له أو يأمر به وينهى عنه .

خامسًا : تنبيهات حول الدرس :

١- هناك أمور تجاوزناها وقضايا اختصرناها ؛ لأن التوسع فيها ليس من أهداف الرائد .

٢- التوسع في عرض أهمية التعاون على البر والتقوى في الدعوة إلى الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وضرورة العمل الجماعي بحسب المرحلة التي يمرُّ بها الطالب ، وقد تكلمنا عنها في مصطلح الجماعية فلتراجع هناك .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود وابن ماجة والحاكم ، وقال : صحيح على شرطيهما ، فقد صححه الألباني في الترغيب برقم : ١٦٥ .
(٢) للاستزادة من الأمثلة يُراجع كتاب مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففيه أمثلة كثيرة .

٣- هناك صور للدعاة إلى الله - عز وجل - أوقفوا حياتهم للدعوة ؛ فهي في شغاف قلوبهم وسواد عيونهم ، رعوها حق رعايتها ، وقضوا وهم في قافلة الدعاة إلى الله .. يمكن الاستشهاد بسيرهم في ثنايا الحديث . لم نورد شيئًا منها خشية الإطالة ، ويمكن الرجوع إلى كتاب من أعلام الحركة الإسلامية لشيخنا عبد الله العقيل .

سادسًا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- التعرّف على شباب الحي (أو الفصل أو العمل ..) ، والذين نتلمّس فيهم الخير ، وربطهم بالشباب الصالح [كسب أنصار للدعوة] .
٢- إقامة حلقة تحفيظ للقرآن الكريم في مسجد الحي بعد التنسيق مع الإمام والإخوة الدعاة .
٣- إقامة الدروس والمحاضرات بالتعاون مع الجهات المختصة .
٤- حضور النشاطات الدعوية والتفاعل معها ، والإفادة منها ، والمشاركة فيها .
٥- الاهتمام بالارتقاء العلمي والثقافي والإيماني ؛ ليكون ذلك عونًا على الدعوة إلى الله - عز وجل - على بصيرة .
٦- التعاون مع رجال الحسبة ومساندتهم ، وإبلاغهم عن أوكار الرذيلة وأصحاب الفساد .
٧- إلقاء كلمة وعظية في المساجد بعد التنسيق مع الإمام أو الجهات المختصة .
٨- مناصحة الوالدين بالحكمة وبرفق لتطهير البيت من المنكرات (إن وجدت) .
٩- التعاون على مناصحة أصحاب محلات بيع الدخان والمجلات الساقطة ونحوها من المنكرات .
١٠- نشر الشريط والكتاب الإسلامي .
١١- القيام بخدمات عامة خيرية للمجتمع مع استثمارها لدعوتهم من خلالها إلى الإسلام .
١٢- مواصلة العلماء بأخبار المنكرات والقائمين بها ، وحثهم على إنكارها .

سابعًا : بعض مراجع البحث :

١- فقه الدعوة إلى الله ، د . علي عبد الحليم محمود ، دار الوفاء ، ط١ .
٢- حياة الصحابة ، محمد الكاندهلوي ، فريق بيت الأفكار الدولية .

٣- كيف ندعو إلى الإسلام ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ط٨ .
٤- كيف ندعو الناس ، عبد البديع صقر ، مكتبة وهبة ، ط٨ .
٥- كيف يدعو الداعية ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام ، ط١ .
٦- مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، ط١ .
٧- السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ، د . فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، ط١ .
٨- القدوة مبادئ ونماذج ، صالح بن حميد ، دار إشبيليا للنشر ، ط١ .
٩- تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، مكتبة الفلاح ، ط٦ .
١٠-كيف يكون الداعية شخصية محبوبة ، اللجنة الثقافية في مؤسسة الكلمة ، مؤسسة الكلمة ، ١٤١٣ .
١١-متطلبات الدعوة الإسلامية ومستلزماتها ، اللجنة الثقافية في مؤسسة الكلمة ، مؤسسة الكلمة ، ١٤١٣هـ .
١٢-أخلاقية الداعية ، عبد الله علوان ، دار السلام ، ط١ .
١٣-الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .
١٤-فن التعامل مع الناس ، عبد الله الخاطر ، المنتدى الإسلامي ، ط١ .
١٥-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خالد السبت ، المنتدى الإسلامي ، ط١ .
١٦-نصاب الاحتساب ، عمر السنامي ، دار الوطن ، ط١ .
١٧-طريق الدعوة الإسلامية ، جاسم مهلهل ، دار الدعوة ، ط١ .
١٨-معايير منهجية في الدعوة الإسلامية ، اللجنة الثقافية في مؤسسة الكلمة ، مؤسسة الكلمة .
١٩-هكذا فلندع إلى الإسلام ، محمد سعيد البوطي ، مؤسسة الرسالة .
٢٠-وجوب تبليغ الدعوة ، عبد الله علوان ، دار السلام ، ط١ .
٢١-الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، خالد الخياط ، دار المجتمع ، ط١ .
٢٢-منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن ، عبد الرحيم المغذوي ، دار إشبيليا .

٢٣-القدوة على طريق الدعوة ، مصطفى مشهور ، مكتبة دار البيان ، ط١ .
٢٤-حقائق وأغلاط حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إبراهيم السماري ، الهيئة العربية للكتاب ، ط١ .
٢٥-مقومات الداعية الناجح ، علي بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ .
٢٦-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، محمد علي مسعود ، دار الاعتصام .
٢٧-تذكرة دعاة الإسلام ، أبو الأعلى المودودي ، مطبوعات الجماعة الإسلامية ، ط٢ .
٢٨-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . صالح الفوزان ، دار ابن خزيمة .
٢٩-أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، مكتبة المنار .
٣٠-درجات تغيير المنكر ، د . عبد العزيز المسعود ، دار الوطن ، ط١ .
٣١- شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، ط١ .
٣٢-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المجتمع ، ط٣ .
٣٣-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . محمد أبو فارس ، دار الفرقان ، ط٣ .
٣٤-رسالة إلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، عبد الله الجارالله ، مكتبة الطرفين .
٣٥-منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى ، د . أحمد الخلف ، أضواء السلف ، ط١ .
٣٦-العلاقة بين الفقه والدعوة ، مفيد خالد عيد ، دار ابن حزم ، ط١ .
٣٧-مجموعة رسائل البنا ، حسن البنا .
٣٨-فقه الدعوة في إنكار المنكر ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، ط٤ .
٣٩-حتى لا تغرق السفينة ، سلمان العودة ، دار الوطن ، ط١ .
٤٠-من ركائز الدعوة ، مجدي الهلالي ، دار البشير .
٤١-مشكلات الدعوة والداعية ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ .
٤٢-قوارب النجاة في حياة الدعاة ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .
٤٣-ثقافة الداعية ، عبد الله علوان ، دار السلام ، ط١ .

٤٤-للدعاة فقط ، جاسم مهلهل ، دار الدعوة ، ط٢ .
٤٥-مختصر صحيح البخاري ، الزبيدي ، دار النفائس ، ط٣ .
٤٦ - من أعلام الحركة الإسلامية ، المستشار عبد الله العقيل ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤٥٠ .
٤٧ - الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ، د . صادق أمين .
٤٨ - مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، دار الفكر .

بالإضافة إلى عشرات الكتب في التفسير والحديث وشروحه ومعاجم اللغة ..

صبر

الصبــر

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

- « الصبر : حبس النفس عند الجزع » (١) .

- وقال في المعجم الوجيز : « الصبر : التجلُّدُ وحسن الاحتمال عنه . وصَبّرَهُ : دعاه إلى الصَّبْرِ وحبَّبَهُ إليه . وتصبّر : حمل نفسه على الصبر . والصّبار : الشديد الصبر » (٢) .

ب - اصطلاحًا :

- قال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - : « الصَّبْرُ : حَبْسُ النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيانِ حَبْسَهما عنه ، فالصبر لفظٌ عام ، ورُبّما خُولِفَ بينَ أسمائه بحسب اختلاف مواقعهِ ؛ فإن كان حَبْسُ النَّفْسِ لمصيبة سُمي صبرًا لا غير ، ويضادُّه الجزع ؛ وإن كان في محاربة سُمي شجاعة ، ويضادُّه الجُبْنُ ؛ وإن كان في نائبة مضْجرةٍ سُمّيَ رَحْبَ الصدر ، ويضاده الضجَرُ ؛ وإن كان في إمساك الكلام سُمّيَ كِتْمانًا » (٣) ، « وإن كان في كظم الغيظ والغضب سُمي حلمًا ، ويضاده التذمر ؛ وإن كان عن فضول العيش سُمّي زهدًا ، ويضاده الحرص ؛ وإن كان صبرًا على قدر يسير من الحظوظ سُمّيَ قناعة ويضاده الشره ، فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر » (٤) .

- وقال ذو النون المصري - رحمه الله - : « الصبر التباعد من المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة »(٥) .

ومن المعاصرين :

- قال عبد الرحمن الميداني : « الصبر قوةٌ خلقية من قوى الإرادة ، تمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب والمشقات والآلام ، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع ، والسأم والملل ، والعجلة والرعونة ، والغضب والطيش ، والخوف والطمع ، والأهواء والشهوات والغرائز » (٦) .

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور : ٤ / ٢٣٩٢ ، مختار الصحاح ، الرازي ، ٣٥٥ .
(٢) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية .
(٣) مفردات القرآن ، ص ٤٧٤ .
(٤) انظر الإحياء ، الغزالي : ٤ / ٦٧ .
(٥) المدارج : ٢ / ١٨٠ ، وانظر بقية التعاريف التي نقلها الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن بعض أرباب السلوك - رحمهم الله - .
(٦) الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن الميداني : ٢ / ٣٠٥ .

• أما عبد الله ناصح علوان فيعرّفها فيقول : ((الصبر قوة نفسية إيجابية فعالة .. تدفع المتحلي به إلى مقاومة كل أسباب الخَوَرِ والضعف والاستكانة والاستسلام .. وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات ، وأمام المحن والمكاره والأحداث إلى أن يأذن الله له بالنصر ، أو يلقى الله - عز وجل - وهو عنه راضٍ)) .

قلت : ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن مفهوم الصبر ومقتضياته أشمل وأكبر من مفهوم كثير من عوام الناس للصبر وأنه مقصور على عدم الجزع عند المصيبة .

- فالثبات على الطاعات ومجاهدة النفس على أدائها على أحسن وجه وأكمل صورة يُعدُّ صبرًا .
- والثبات على دين الله عمومًا مهما كثرت الفتن والابتلاءات وعظمت المحن والمغريات يُعد صبرًا .
- وكفُّ النفس عن المنكرات وفطمها عن الشهوات المحرمة يُعد صبرًا .
- وحمل النفس على المعالي ، والارتقاء بها إلى الكمال يُعد صبرًا ؛ لأنك حبستها عن الركون والدعة والراحة والكسل .

ج - الألفاظ المقاربة للمصطلح :

لما كان الصبر هو أساس شجرة الأخلاق الإيمانية ، فإن المصطلحات التي لها تعلُّق به كثيرة وإن كان لا يقوم مقامه في المعنى الكلي الذي تضمنه غيره .

فمن فروع خلق الصبر وثماره : الحلم ، والأناة ، وكظم الغيظ ، والعفو ، والشجاعة .. إلخ . كما ذكر ذلك الراغب في مفرداته والغزالي في إحيائه [1] .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- تعزيز صفة الصبر في قلوب الدعاة ببيان أسبابه المعينة عليه ، والتحذير من معوقاته الموهنة له .

٢- التأسي بأهل الصبر والعزائم ، وأصحاب الثبات والشكائم ، الذين صبروا على ما أصابهم في سبيل الله ، حتى قال قائلهم وقد ضربه قومه فأدموه : ((**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)) ، وقد قال الله لرسوله ﷺ : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [2].

٣- توسيع مفهوم الصبر لدى الداعية ، وأنه شامل للطاعات بصبره عليها ،

---

(1) انظر أيضًا : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ٢١٨ .
(2) الأحقاف [٣٥] .

والمحظورات بصبره عنها ، كما أنه صبر على الابتلاءات بثباته واحتسابه فيها .

٤- بيان أهمية الصبر في الدعوة إلى الله ، وأنه مستلزم من مستلزماتها ، لا يمكن للداعية أن يستغني عنه ، وإلا كان مصيره اليأس ، وعاقبته القعود .

٥- التأكيد على الصبر والمصابرة في بعض المجالات التي يشق على النفس الصبر عندها ، ومنها :

أ - الصبر على المحافظة على الفرائض ، وفي مقدمتها الصلاة .

ب - الصبر على الدعوة بالثبات عليها ، وتحمل تبعاتها ، والقيام بمسؤولياتها ، وعدم اليأس وإن طال الطريق وقلَّ المستجيب .

جـ - الصبر عن المحظورات :

- عن دواعي الشهوة المحرمة [بالاستعفاف] .
- عن المال الحرام [بالقناعة والورع] .
- ونحوها ...

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١- هل الصبر هو عدم الجزع عند المصائب فقط ؟ أم أن له معنىً أشمل ومفهومًا أوسع من هذا ؟
٢- أهمية الصبر في شخصية المسلم .
٣- فضل الصبر والصابرين .
٤- هل يجب التحلي بالصبر ؟
٥- مجالات الصبر .
٦- من آثار الصبر في الشخصية المسلمة .
٧- كيف نعين أنفسنا على الصبر ؟
٨- الحذر من الآفات العائقة عن الصبر .
٩- أحاديث عن الصبر .
١٠- صور من الصبر .
١١- مسائل متفرقة :

- هل الإحساس بالألم عند وقوع المصيبة والبكاء ودمع العين يتنافى مع الصبر ؟

- هل الشكوى تنافي الصبر ؟
- ماذا يقول المصاب عند المصيبة ؟

رابعًا : العرض :

١- هل الصبر يعني عدم الجزع عند المصيبة فحسب ؟ (انظر دلالة المصطلح) .

٢- أهميته في شخصية المسلم :

٢ - ١ : الصبر نور يستنير به الداعية في حوالك الأزمات ، ومدلهم الكربات ، يعصمه من التخبط مهما ترادفت الضوائق ، ويحفظه من القنوط واليأس مهما كثرت العوائق ؛ ولهذا قال ﷺ : ((**والصبر ضياء**)) (١) ، ضياء يشع في النفس فلا تضجر عند وقوع المكاره ، ولا تيأس عند تأخر النتائج ، ولا تركن عندما تستثقل الأعباء ، ولا تجزع عند وقوع البلاء .. وكم من الدعاة ممن قلَّ صبرهم على ألواء الدعوة كانوا شمعة فانطفأت ، وجذوة من الحماس والبذل فخمدت ! .

٢ - ٢ : الصبر إيمان يربط القلب بخالقه ، فلا يدعه يتقلب ويتذبذب ؛ سواءً أحاطت به سراء ، أو نزلت به ضراء .. فلا السراء تطغيه ، ولا الضراء تجزعه وتطيش به فترديه ، قال ﷺ : ((**عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كلَّهُ خيرٌ ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن ؛ إن أصابتْهُ سراءُ شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابتْهُ ضرَّاء صبر ، فكان خيرًا له**)) (٢) .

وقد روي عنه - عليه أفضل الصلاة والسلام - أنه سُئل عن الإيمان فقال : ((**الصَّبرُ والسماحة**)) ، وقال ﷺ : ((**الصبر نصف الإيمان**)) .

٢ - ٣ : ليس من عداد الدعاة الصادقين من يطيش إذا الصعاب لاقته ، ويجزع إذا الآلام مسّتْه ، بل إن هذه الصفات لا تجعل صاحبها حتى في عداد المصلين الخاشعين .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** *

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب : فضل الوضوء ، برقم : ٢٢٣ .

(٢) رواه الإمام البخاري في التاريخ الكبير : ٦ / ٥٣٠ ، ورواه ابن سعد في الطبقات : ٥ / ٤٥٦ ، وانظر كتاب ((من روى عن أبيه عن جده)) لابن قطلوبغا ، ص (٣٥٢ - ٣٥٥) . قال محقق المدارج في هامش صفحة ٢ / ١٨٣ ، بعد أن ذكر ما سطّرناه : وللحديث شواهد حسَّناه بها ، منها حديث عمرو بن عنبسة عند أحمد (٤ / ٣٨٥) ، وحديث عبادة بن الصامت عنده أيضًا (٥ / ٣١٨) . قال تخريج الإحياء (٤ / ٦١) : أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق ، وابن حبان في الضعفاء ، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف . ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد ابن عمير عن أبيه عن جده . أ . هـ .

﴿ إلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴾[1] .

٢ - ٤ : وورد التواصي بالصبر في القرآن الكريم في موضعين : أحدهما في سورة العصر : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[2] ، والثاني : في سورة البلد : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[3] . وهذا يدل على أهميته في حياة الدعاة العاملين ، وضرورة التذكير به ، والتأكيد عليه ، والتناصح فيه بين المؤمنين .

٢ - ٥ : أمر الله - عز وجل - به أنبياءه ورسله ، وامتدحهم بالاتصاف به ، كقوله تعالى في عبده ورسوله أيوب - عليه السلام - : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[4]، وقد أمر الله - عز وجل - رسولنا ﷺ بالصبر في قرابة عشرين موضعًا في كتاب الله كقوله - عز وجل - لنبيه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[5] .

وهذا يدل على أهميته في حياة المسلم عامة وللداعية خاصة .

٢ - ٦ : الصبر من مقومات شخصية الداعية الأساسية التي تنهض بأعباء الدعوة ، وتقوم على أداء تكاليفها دون كللٍ أو مللٍ ، ولا قعود أو كسل .. ماضية كالسيل الهادر ، راسخة كالجبال الشُّم .

قال ابن القيم[6] - رحمه الله - : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : ((بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين)) ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[7] ، فالصبر صفة أساسية للداعية في دعوة الناس وإمامتهم في الدين ؛ ولهذا قال المتنبي :

لولا المشقَّةُ سَادَ الناسُ كُلُّهمُ ... الجودُ يفقر والإقدام قتالُ

٢ - ٧ : الصبر على التكاليف مهما ثقلت ، والمسؤوليات مهما عظمت ، والواجبات مهما كثرت سُنَّة من سنن الأنبياء ، وخصلة من خصال الربانيين الأتقياء الذين يبذلون ويجاهدون ، وعلى ما أصابهم يصبرون ، وبدعاء ربهم يلهجون : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[8] ، ويقولون : ﴿

(1) سورة المعارج [١٩ - ٢٢] .
(2) سورة العصر [٣] .
(3) سورة البلد [١٧] .
(4) سورة ص [٤٤] .
(5) سورة الأحقاف [٣٥] .
(6) المدارج : ٢ / ١٧٧ .
(7) سورة السجدة [٢٤] .
(8) سورة آل عمران [١٤٧] .

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(١) .

٢ - ٨ : المؤمن الذي يكابر لأداء الحياة ، ويتجلد لشدائدها وكدوراتها ، ويخالط الناس داعيًا ومصلحًا ، ومعلمًا ومربيًا ، صابرًا محتسبًا على ما يناله من أذاهم وسوء معاملتهم
((أرفعُ عند الله درجات من المنهزم القابع بعيدًا ، لا يخشى شيئًا ، ولا يخشاه شيء)) (٢).

قال ﷺ : ((**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**)) (٣) .

٢ - ٩ : الصبر مطية للارتقاء بالنفس نحو كمالها ، ومعالجة آفاتها وأمراضها ، فلن يصل المرء إلى المجد الذي يأمله ، والنجاح الذي ينشده إلا بالصبر .

٢ - ١٠ : وفي الجملة فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر .

٣- فضل الصبر والصابرين :

الصبر خصلةٌ رفيعة ، وخلّةٌ شريفة ، وصفة إيمانية مُنيفةٌ ، جمع الله - عز وجل - للصابرين من الأجور والخيرات ما لم يجمعها لغيرهم ، واستقصاء النصوص الشرعية في فضل الصبر والصابرين يطول ؛ ولهذا سنذكر بعضها :

٣ - ١ : الله - جل جلاله - موصوف بالصبر :

وحسبك بصفة قد اتصف بها ملك الملوك - سبحانه وتعالى - لا إله إلا هو تقدست أسماؤه وعظمت صفاته وأفعاله . قال رسول الله ﷺ : ((**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ؛ يدَّعون له الولد ، ثم يعافيهم ويرزقهم**)) (٤) ، أما الصبور فلم يرد في ثبوته دليل (٥) .

٣ - ٢ : كثرة ذكره في القرآن الكريم والإشادة به :

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا

---

(١) سورة الأعراف [١٢٦] .
(٢) انظر خُلق المسلم ، الغزالي ، ص ٢٢٧ .
(٣) رواه الترمذي ، وابن ماجة ، وقد حسَّنه ابن حجر في الفتح (١٠ / ٥١٢) . وهو في الصحيحة للألباني برقم : ٩٣٩ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات : ٥٨) ، برقم : ٧٣٧٨ ، ورواه مسلم .
(٥) انظر صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة ، علوي السقان : ١٥٨ .

.

٣ - ٣ : الأمر به [1] :

والله - عز وجل - لا يأمر إلا بما هو خير وعدل وإحسان ، قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ﴾[2] .

٣ - ٤ : النهي عن ضده :

قال الله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[4] ، فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا ﴾[5] ، فإن الوهن من عدم الصبر .

٣ - ٥ : الثناء على أهله ، كقوله تعالى : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾[6]، وقوله : ﴿ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[7] ، وهو كثير في القرآن .

٣ - ٦ : إيجابه سبحانه محبته لهم كقوله تعالى : ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[8] .

٣ - ٧ : إيجاب معيته لهم ؛ وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم ، وتأييدهم ، وليست معية عامة ، وهي معية العلم والإحاطة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[9] ، وقوله : ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[10] .

٣ - ٨ : إخباره بأن الصبر خير لأصحابه كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ ﴾[11]، وقوله : ﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[12] .

---

(1) الفقرات من ٣ - ٣ إلى ٣ - ١٨ هي للإمام ابن القيم - رحمه الله - في المدارج : ٢ / ١٧٤ - ١٧٨ ، باختصار وتصرف يسير في بعض المواضع .
(2) سورة النحل [١٢٧] .
(3) سورة الأحقاف [٣٥] .
(4) سورة محمد [٣٣] .
(5) سورة آل عمران [١٣٩] .
(6) سورة آل عمران [١٧] .
(7) سورة البقرة [١٧٧] .
(8) سورة آل عمران [١٤٦] .
(9) سورة الأنفال [٤٦] .
(10) سورة البقرة [٢٤٩] .
(11) سورة النحل [١٢٦] .
(12) سورة النساء [٢٥] .

٣ - ٩ : إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

٣ - ١٠ : إيجابه - سبحانه - الجزاء لهم بغير حساب كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢) .

٣ - ١١ : إطلاق البشرى لأهل الصبر كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(٣) .

٣ - ١٢ : ضمان النصر والمدد لهم كقوله تعالى : ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(٤) ، ومنه قول النبي ﷺ : ((واعلم أن النصر مع الصبر))(٥) .

٣ - ١٣ : الإخبار منه - تعالى - بأن أهل الصبر هم أهل العزائم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾(٦) .

٣ - ١٤ : الإخبار أنه ما يُلقَّى الأعمالَ الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر ، كقوله تعالى : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾(٧) ، وقوله : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(٨) .

٣ - ١٥ : الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر ، كقوله تعالى لموسى : ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٩) ، وقوله في أهل سبأ : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(١٠) .

٣ - ١٦ : الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب ، والنجاة من المكروه المرهوب

---

(١) سورة النحل [٩٦] .
(٢) سورة الزمر [١٠] .
(٣) سورة البقرة [١٥٥] .
(٤) سورة آل عمران [١٢٥] .
(٥) رواه أحمد (١ / ٣٠٧) ، برقم : ٢٨٠٤ ، وقد صحح أحمد شاكر - رحمه الله - إسناده وقال : ((هذا حديث رواه أحمد عن شيخه عبد الله بن يزيد المقرئ بثلاثة أسانيد ، أحدها صحيح ، والآخران منقطعان)) ، انظر المسند بتحقيق أحمد شاكر (٤ / ٢٨٨) .
(٦) سورة الشورى [٤٣] .
(٧) سورة القصص [٨٠] .
(٨) سورة فصلت [٣٥] .
(٩) سورة إبراهيم [٥] .
(١٠) سورة سبأ [١٩] .

، ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (1) .

٣ - ١٧ : أنه يورث صاحبه درجة الإمامة . سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(2) .

٣ - ١٨ : اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان ، كما قرنه١ الله - سبحانه - باليقين وبالإيمان ، وبالتقوى والتوكل ، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة . أ.هـ (3)، كقوله تعالى : ﴿ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾(4) ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(5) . فقد قرن في الأولى بين الصبر والتقوى ، وفي الثانية بين الصبر والشكر ، وقرن بين الصبر والتوكل ، كقوله : ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(6) ، وإنما جمع بين الصبر والتوكل ؛ لأن نجاح الإنسان في تحقيق مراده يتوقف على أمرين : أمر من جانبه ، وفي وسعه ، من جهود تبذل وأثقال تحمل ، وصعاب تذلل ، وهذه كلها تحتاج إلى صبر .

والأمر الآخر : ما لا يملكه ، وليس في وسعه ، مما يضمره الغيب ، وتخبئه الأقدار ، من أحداث كونية ، وظروف خارجية ، ومفاجآت غير متوقعة ولا محسوبة ، ورياح تُجري السفن بما لا تشتهي . فهذه لا يملك إزاءها إلا التوكل على الله ، والالتجاء إليه ، والثقة بتدبيره : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(7)، عزيز : « لا يذل من التجأ إليه ، حكيم : لا يضع من وثق بتدبيره » (8) .

٣ - ١٩ : حمايتهم من كيد الأعداء ومخططاتهم :

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(9) .

٣ - ٢٠ : أنه من أكبر أسباب المغفرة :

(1) سورة الرعد [٢٣-٢٤] .
(2) سورة السجدة [٢٤] .
(3) المدارج (١٧٤ - ١٧٧) .
(4) سورة آل عمران [١٢٥] .
(5) سورة ابراهيم [٥] .
(6) سورة العنكبوت [٥٨ - ٥٩] .
(7) سورة الأنفال [٤٩] .
(8) الصبر في القرآن ، القرضاوي : ٦١ - ٦٢ .
(9) سورة آل عمران [١٢٠] .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

٣ - ٢١ : محك تمييز ، وموضع تمحيص ، ودليل صدق :

به يتميز المؤمن الصادق من المتخاذل اليائس ؛ فالصبر دليل على صدق صاحبه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[3] .

٤- هل يجب التحلي بالصبر ؟ :

أولاً : لا بد من أن نعرف أن القرآن الكريم قد دعا إلى التزام الصبر بأساليب عدة ، منها :

- الأمر به : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾[4] .
- النهي عن ضده : كقوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[5] ، فالعجلة ضد الصبر .
- رتب عليه خيري الدنيا والآخرة من الفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما كان كذلك ، كان الالتزام به متعينًا .
- ولهذا ذهب الإمام ابن القيم إلى وجوبه فقال : ((وهو واجب بإجماع الأمة))[6]، وقال ابن حزم - رحمه الله - : ((الصبر واجب ، والبكاء مباح ، ما لم يكن نَوْحٌ ، فإن النَّوح حرام))[7] ، يعني عند فقد عزيز وموت حبيب .
- ومن العلماء من ذهب إلى التفصيل ، فحكم الصبر عندهم بحسب الأمر المصبور عليه أو المصبور عنه . قال الإمام الغزالي - رحمه الله - : ((واعلم أن الصبر أيضًا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ومستحب ومكروه

---

(1) سورة النحل [١١٠] .
(2) سورة البقرة [١٧٧] .
(3) سورة محمد [٣١] .
(4) سورة آل عمران [٢٠٠] .
(5) سورة الأحقاف [٣٥] .
(6) المدارج : ٢ / ١٧٤ .
(7) المحلى ، ابن حزم : ٥ / ١٤٦ .

ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، والصبر على المكاره مستحب [كالصبر على برودة الماء حال وضوئه لصلاة نفل] ، والصبر على الأذى المحظور محظور [محرم] ، كمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله ، فهذا الصبر محرم ›› [1] .

وإلى ترجيح هذا القول ذهب القرضاوي حيث قال : ‹‹ إن حكم الصبر إنما يكون بحسب المصبور عنه أو المصبور عليه ، فالصبر عن المحرمات واجب ، وتتأكد درجة وجوبه بمقدار عظم المحرم .

أما الصبر عن المكروه ، أو عمًّا هو خلاف الأفضل والأمثل ، فلا يصل درجة الواجب ، وإنما هو مستحب ، أو خير من مقابله ، مثال ذلك أن مقابلة السيئة بمثلها مشروعة في الإسلام ، وأفضل منها العفو والصفح . ومن هنا لا يكون الصبر عن مقابلة السيئة بمثلها واجبًا ، بل أمرًا مندوبًا إليه ، مرغوبًا فيه [أي : مستحبًا] ، وفي ذلك جاء قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[2] ›› [3] .

‹‹ ومثل ذلك يقال فيما يصبر عليه من الطاعات ، فالصبر على الواجبات منها واجب وعلى المستحبات مستحب . فالصبر على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها واجب مؤكد ، وفريضة لازمة ؛ أما الصبر على قيام الليل فهو مستحب ، وهكذا .. ›› [4] .

٥- مجالات الصبر :

لما كان الصبرُ صفةً أساسية من صفات الشخصية الإسلامية ، كان له أثر كبير وشأن عظيم في مجالات كثيرة في حياة المسلم يحدد مواقفه وأفعاله وينظّم سلوكياته وتصرفاته ، وقبل أن نذكر بعض هذه المجالات ، لا بد أن نشير إلى أن مجملها يرجع إلى ثلاثة مجالات أو أنواع :

أ- الصبر عن المخالفات :

سواء كانت محرمات أو مكروهات . ويتضمن ذلك البعد عنها ، وسد الذرائع التي تقود إليها .

---

(1) الإحياء : ٤ / ٦٩ بتصرف يسير ، وما بين المعكوفتين ليست من كلام الغزالي .
(2) سورة النحل [١٢٦] .
(3) الصبر في القرآن : ص ٣٣ - ٣٤ .
(4) المرجع السابق : ص ٣٥ .

ب – الصبر على الطاعات :

سواء كانت فرائض أو واجبات أو مستحبات . ويتضمن ذلك :

- دوام المحافظة عليها (الثبات عليها) .
- رعايتها بالمتابعة والإخلاص .

جـ - الصبر على المكروهات (الابتلاءات) .

وذلك بالصبر على الأقدار والتسليم لله - عز وجل - والرضا بحكمه وقضائه .

هذا ، وقد ذكر القرضاوي جملة من هذه المجالات نلخصها بالتالي :

٥ - ١ : الصبر على بلاء الدنيا :

فهناك الصبر على بلاء الدنيا ، ونكبات الأيام . وهذا ما لا يخلو منه بَرٌّ ولا فاجر ، ولا مؤمن ولا كافر ، ولا سيد ولا مسود ؛ لأنه راجع إلى طبيعة الحياة ، وطبيعة الإنسان ، وما رأينا أحدًا يسلم من آلام النفس ، وأسقام البدن ، وفقدان الأحبة ، وخسران المال ، وإيذاء الناس ، ومتاعب العيش ، ومفاجآت الدهر .

وهذا ما أقسم الله على وقوعه حين قال : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[1] .

وهذا ما أوصى به رسول الله ﷺ تلك المرأة التي جاءت إليه ليدعو لها أن يشفيها الله من مرض الصرع الذي يعاودها فيصرعها وتتكشف ثيابها . فعن عطاء بن أبي رباح قال :

((قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما - : ألا أُريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أُصرع وإني أتكشَّف ، فادعُ الله تعالى لي . قال ﷺ : ((**إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**)) . فقالت : أصبر . فقالت : إني أتكشف ، فادع الله ألا أتكشف ؛ فدعا لها))[2] .

---

(1) سورة البقرة [١٥٥ - ١٥٧] .
(2) رواه البخاري ، كتاب المرضى ، باب : فضل من يصرع من الريح ، برقم : ٥٦٥٢ . ورواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه .

٥ ـ ٢ : الصبر عن مشتهيات النفس :

الصبر عما تشتهيه النفس ، ويميل إليه الطبع ، من متاع الدنيا وزينتها وشهواتها ، التي يسوق إليها الهوى ، ويزينها الشيطان . وله صور كثيرة في الواقع ، منها :

٥ – ٢ – ١ : الصبر عن الاستجابة لمتاع الدنيا وزينتها إذا أقبلت على الإنسان ، وهذا هو الابتلاء بالسراء ، والصبر فيه أشد على النفس من الابتلاء بالضراء ؛ ولهذا لمَّا فتحت أبواب الدنيا على الصحابة - رضي الله عنهم - قال بعضهم : ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر .

ومعنى الصبر على الابتلاء بالسراء ، كما يقول الغزالي : « ألا يركن إليها ، ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده ، وعسى أن يسترجع على القرب ، وألا يرسل نفسه في الفرح بها ، ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب ، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق ، وفي بدنه ببذل المعونة ، وفي لسانه بالصدق ، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه »[1] ، وقد حذّرنا الله من فتنة الأموال والأولاد والأزواج .. كقوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2] وقوله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[3] .

٥ – ٢ – ٢ : الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين ، والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين ، وبخاصة الطغاة المغرورين منهم . فإن ما بأيديهم إنما ظاهره نعمة وباطنه نقمة . يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾[4] ، وفي هذا خاطب الله رسوله بقوله : ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[5] .

فالمؤمن حقًّا هو الذي يعتز بما آتاه الله من نعمة الهداية إلى الإيمان ، والتوفيق إلى الطاعة ويعلم أن المال ظِلٌّ زائل ، وعارية مستردة ، ولا يبالي بمظاهر الأبهة والزينة التي يتمتع بها أصحاب الثروة والسلطان . وهذا ما وصف به القرآن أهل البصيرة من قوم موسى - عليه السلام - الذين خرج عليهم قارون في زينته ، وفخامة موكبه ؛ فقال الذين يريدون الحياة الدنيا في تمنٍ وتحسُّر : ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ

---

(١) الإحياء ، ١ / ٧٠ .
(٢) سورة الأنفال [٢٨] .
(٣) سورة المنافقون [٩] .
(٤) سورة المؤمنون [٥٥ - ٥٦] .
(٥) سورة طه [١٣١] .

إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1] .

أما موقف أهل العلم والإيمان وذوي البصيرة والصبر ، فهو ما ذكره القرآن : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾[2] .

٥ – ٢ – ٣ : الصبر عن الاستجابة للشهوة الجنسية :

وذلك فيما حرّم الله - عز وجل - ، فالصبر هنا حتم لازم ، والاستعفاف فرض قاطع ، كما قال تعالى : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾[3] .

وخير من يمثل هذا النوع من الصبر في القرآن هو يوسف الصديق - عليه السلام - ، الذي راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت : هيت لك ، قال : معاذ الله .

٥ – ٢ – ٤ : الصبر عن الاستجابة لداعي الغضب ، ومقابلة السيئة بمثلها أو بأكثر منها بأن يكيل للمعتدي الصاع صاعين ، ويرد له اللطمة لطمتين ، والشتمة شتمتين . وهذا هو الذي جاء فيه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ ﴾[4] ، ولهذه الآية سبب نزول .

قال أُبي بن كعب ﷺ : لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستةٌ منهم حمزة ، فمثّلوا بهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنربين [5] عليهم ؛ فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله - عز وجل - : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ ﴾[6] ، فقال رجل : لا قريش بعد اليوم . فقال رسول الله ﷺ : ((**كفّوا عن القوم إلا أربعة**)) [7] .

وقد قال رسول الله لأولئك الذين آذوه وأخرجوه ، واستهزؤوا به ، وكذبوه وقاتلوه :

---

[1] سورة القصص [٧٩] .
[2] سورة القصص [٨٠] .
[3] سورة النور [٣٣] .
[4] سورة النحل [١٢٦] .
[5] أي : لنزيدنّ في التمثيل بهم .
[6] سورة النحل [١٢٦] .
[7] رواه الترمذي ، والإمام أحمد (٥ / ١٣٥) ، وابن حبان في الموارد (٤١١) ، والحاكم (٢ / ٣٥٩ ، ٤٤٦) ، وقال في الموضعين صحيح الإسناد وأقره الذهبي . (انظر الصحيح المسند من أسباب النزول ، للوادعي : ص ١٢٦ - ١٢٧) .

((**لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم**)) [١] ، وعُرف هؤلاء في كتب التاريخ بالطلقاء . وقد قال رسول الله ﷺ عندما نزلت الآية ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ** ﴾ : ((**نصبر ولا نعاقب**)) [٢] ، فاختار العفو والصبر تفضلاً واحتسابًا .

٥ - ٣ : الصبر على طاعة الله :

فالعبد محتاج إلى الصبر للقيام بواجب العبودية ، وقد قال الله - عز وجل - لرسوله ﷺ : ﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾[٣] ، وصيغة اصطبر تدل على المبالغة في حمل النفس على الصبر ؛ لأن الطريق إلى طاعة الله مليئة بالمعوقات من داخل النفس وخارجها .

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال :

أ - صبر قبل أداء الطاعة : وذلك بتصحيح النية والإخلاص ، والصبر عن شوائب الرياء ؛ ولهذا قدّم الله الصبر على العمل فقال - عز وجل - : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾[٤] .

ب - صبر حالة العمل : كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ؛ ليتحقق بشرط المتابعة بعد تحققه بشرط الإخلاص . كما أنه يصبر عن دواعي الفتور إلى أن يتم العمل ؛ حتى لا ينقطع أثناءه ، ولعله المراد بقوله تعالى : ﴿ **نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا** ﴾[٥] ، أي : صبروا إلى تمام العمل .

جـ- بعد الفراغ من العمل ؛ إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب ، وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** ﴾[٦] ، وقال : ﴿ **لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى** ﴾[٧] ؛ فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله .

---

(١) رواه أبو عبيدة في الأموال ، ص ١٤٣ ، بإسناد حسن لكنه مرسل ، ابن هشام (٤ / ٧٧ - ٧٨) ، ابن سعد (١ / ١٤١ - ١٤٢) بإسناد فيه جهالة ، كنز العمال (١٠ / ٣٨٩) ، قال صاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (٥٦٩) بعد أن أورد مواضع وروده في كتب الحديث والسيرة : والحديث يتقوّى بهذه الطرق . أ . هـ .
(٢) صحيح الترمذي ، للألباني : ٣ / ٦٧ ، برقم : ٣٣٤٩ .
(٣) سورة مريم [٦٥] .
(٤) سورة هود [١١] .
(٥) سورة العنكبوت [٥٨ - ٥٩] .
(٦) سورة محمد [٣٣] .
(٧) سورة البقرة [٢٦٤] .

٥ ـ ٤ : الصبر على مشاق الدعوة إلى الله :

وهو صبر الداعية على مسؤوليات الدعوة وواجباتها ، وآلامها ومتاعبها ، ومشاقها وتضحياتها . ولقد أدرك لقمان الحكيم أهمية الصبر في الدعوة إلى الله ، وحاجة الداعية إليه وضرورته له فقال عقب وصيته لابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[١]، ومشاق الدعوة إلى الله تتمثل في صور شتى ، ذُكرت في الكتاب والسُّنَّة ، منها :

٥ – ٤ – أ : الصبر على إعراض المدعو وقلة الاستجابة :

فيصبر على ذلك ، ويحاول أن ينوع في أساليب الدعوة ، ويجدد الوسائل ، ولا ييأس من كلمة الخير ، تفعل فعلها ويظهر أثرها ولو بعد حين . وللداعية في أنبياء الله وأصفيائه قدوة حسنة ، فهذا نوح يقول مناجيًا ربه : ﴿ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[٢] ، فلقي نوح ـ عليه السلام ـ على طول مكثه في قومه داعيًا بالليل والنهار سرًّا وعلانية من الإعراض ما لم يلقه نبي بعده ، ومع هذا الجهاد الطويل قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[٣] .

وقد ذكر النبي ﷺ أن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرهط ، ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان ، ويأتي النبي وليس معه أحد [٤] . فهؤلاء أنبياء الله وأحباؤه ، اصطفاهم واجتباهم وصنعهم على عينه ، ومع هذا كلِّه فإن الاستجابة لهم كانت قليلة ؛ فصبروا ، واحتسبوا - صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين - .

٥ – ٤ – ب : الصبر على أذى الناس بالقول والفعل :

فليس أشد على نفس الرجل المخلص في دعوته ، البريء من الهوى ، المحب الخير للناس من أن يمحض لهم النصح ؛ فيتهموه بما ليس فيه ، وأن يدعوهم إلى سبيل ربه بالحكمة ؛ فيردوه بالقوة ، ويعظهم بالحسنى ؛ فيستقبلوه بالسوء ، ويجادلهم بالتي هي أحسن ؛ فيقاوموه بالتي هي أخشن ، ويدلهم على الخير ؛ فيقذفوه بالشر ،

(١) سورة لقمان [١٧] .
(٢) سورة نوح [٥ – ٧] .
(٣) سورة هود [٤٠] .
(٤) أصل الحديث في صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره ، برقم : ٥٧٠٥ . ورواه أيضًا الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب .

ويصدع فيهم بكلمة الحق ؛ فلا يسمع منهم إلا كلمة الباطل .

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد ؛ فكثيرًا ما يمتد الطغيان إلى الأموال فينهبها ، وإلى الأبدان فيعذبها ، وإلى الحريات فيسلبها ، والحرمات فينتهكها ، بل إلى الأنفس فيقتلها ؛ حتى الأرض التي نبتوا فيها ، وشبوا عليها ، ونشؤوا في أحضانها هم وآباؤهم وأجدادهم يخرجون منها إخراجًا .

وهذا ما أقسم القرآن على وقوعه للداعين إلى الله ، حيث خاطب بذلك المؤمنين ؛ ليوطنوا أنفسهم على الصبر الطويل فقال : ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾[1] .

ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه بمثل قوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً** ﴾[2] .

والأنبياء جميعًا يمثلون هذا النوع من الصبر ؛ ولهذا حكى الله على لسانهم هذا القول ردًّا على أقوامهم : ﴿ **وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾[3] .

وعزى الله خاتم رسله بما حدث لإخوانه من قبله فقال : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ** ﴾[4] .

ومن أتباع الرسل ذكر لنا القرآن هنا مثلاً رائعًا يتجلى في سحرة فرعون ، حين وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ؛ فأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون . وعندها قال لهم فرعون : ﴿ **آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[5] .

فماذا كان موقف السحرة إزاء هذا الوعيد الهادر من ملك جبار يقول للناس : ((أنا ربكم الأعلى)) ؟ !

لقد وقفوا بإيمانهم الجديد كالجبال الشم ؛ متحدين جبروت فرعون ، مستعدين لكل

---

(١) سورة آل عمران [١٨٦] .
(٢) سورة المزمل [١٠] .
(٣) سورة إبراهيم [١٢] .
(٤) سورة الأنعام [٣٤] .
(٥) سورة الأعراف [١٢٣ - ١٢٤] .

ما يرغى به ويزبد ؛ سائلين الله تعالى أن يفرغ عليهم صبرًا ، يتحملون به العذاب راضين ، ويستقبلون به المكاره مطمئنين .

ومن هنا : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(١) .

جـ - الصبر على طول الطريق ، وتأخر النصر ؛ فقد جعل الله العاقبة للمتقين ، وكتب النصر لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين ، ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها ، ولا تشرق شمسه إلا بعد ليل طويل حالك من الشدائد والمحن المتعاقبة ، تزيغ لهولها الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ويظن الناس بالله الظنون ، هنالك يُبتلى المؤمنون ويُزلزلون زلزالاً شديدًا ، كما صور القرآن الحالة النفسية للمسلمين في غزوة الأحزاب .

وكم أكد القرآن هذه الحقيقة في أكثر من موضع ، وبأكثر من أسلوب ؛ فهو يخاطب المؤمنين فيقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾(٢) .

يقولون : متى نصر الله ؟ استبطاءً له ، واستعجالاً لمجيئه ، فيجيء معه الغوث للملهوف ، والفرج للمكروب .

ويقول جلَّ شأنه : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾(٣) .

٥ ـ ٥ : الصبر حين البأس :

ومجال آخر يذكره القرآن للصبر هو الصبر حين البأس ، أي : الصبر في الحرب عند لقاء الأعداء ؛ حيث يصبح الفرار كبيرة موبقة ، ويصبح الثبات فريضة لازمة . فالصبر هنا شرط أساسي للنصر ، وعنصر ضروري للغلبة على العدو ، وقديمًا قالوا : « الشجاعة صبر ساعة » . ومن هنا أثنى القرآن على الصابرين في آية البر ، فقال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾(٤) (والْبَأْسَاءِ : أي الفقر ، وَالضَّرَّاءِ : أي المرض وَحِينَ الْبَأْسِ : أي الحرب) .

(١) سورة الأعراف [١٢٥ - ١٢٦] .
(٢) سورة البقرة [٢١٤] .
(٣) سورة يوسف [١١٠] .
(٤) سورة البقرة [١٧٧] .

٥ ـ ٦ : الصبر على مخالطة الناس بالحسنى :

وهو حمل النفس على معاشرة الناس بأخلاق الإسلام والصبر على أذاهم والعلاقات التي تربط المرء بالناس متفاوتة :

أ ـ فالعلاقات الزوجية لا تستقيم ولا تستقر إلا بأن يكون الزوجان واقعيين ، يصبر كل منهما على صاحبه ، ويحتمل منه بعض ما لا يروقه ، بل بعض ما يؤذيه . فكل إنسان فيه ما يمدح وما يذم ، ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها ؟

وقد أمر القرآن الرجال بالصبر ، وإن أحس أحدهم بالنفرة والكراهية في نفسه لزوجته ، مقدِّمًا العقل على العاطفة ، والانقياد للأخلاق على اتباع الهوى . والله ـ عز وجل ـ يوصي الأزواج بحسن معاملة النساء فيقول سبحانه : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[1] .

وفي الحديث ما يؤكد هذا المعنى ؛ إذ يقول ﷺ : « **لا يفرك (يبغض) مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقًا رضي منها آخر** »[2] .

ب ـ ومنها : صبر الآباء على الأبناء ، والأبناء على الآباء ، والأقارب مع أقاربهم ، والجيران مع جيرانهم ، فقد قال علماؤنا : « إن حق الجار ليس هو مجرد كفِّ الأذى عنه ، بل احتمال الأذى منه ، والصبر عليه » .

جـ ـ ومنها : صبر التلميذ على أستاذه ، والطالب على شيخه ، والتزامه بما عقد معه من شرط ، وإن حجز عنه بعض المعلومات أو الحقائق لحكمة يراها ، وفي القرآن قصة موسى والعبد الصالح الذي لقيه موسى مع فتاه (انظر سورة الكهف : ٦٥ ـ ٧٦)[3] .

د ـ ومنها : صبر الداعية على إخوانه ؛ ذلك لأنه لا يتعامل مع ملائكة معصومين ، بل مع بشر يصيبون ويخطئون ؛ فيغفر لهم خطأهم ، ويعفو عن إساءتهم ، ويتذكر فضلهم وإحسانهم ، وبذلهم وتضحيتهم ؛ فمن ذا الذي ما ساء قط ؟! ومن له الحسنى فقط ؟! .

ولهذا أوصى الله ـ عز وجل ـ بالصبر عليهم ومعهم في قوله : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾[4]؛ ولهذا قرن التواصي بالصبر بالتواصي بالحق في سورة العصر .

---

(1) سورة النساء [١٩] .
(2) رواه مسلم ، كتاب الرضاع ، باب : الوصية بالنساء ، (١٤٦٩) .
(3) انتهى ملخصًا مع تصرف من كتاب الصبر في القرآن الكريم ، للقرضاوي ، (٤١ ـ ٥٨) .
(4) سورة الكهف [٢٨] .

٥ - ٧ : الصبر على طلب العلم :

وقد ذكرنا ما لقي موسى كليم الله - عليه السلام - من المشاق في رحلته لطلب العلم حتى قال ما ورد في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾[1].. وقد جَهَدَ السلف أنفسهم ، وتكبدوا المصاعب ، وعانوا كثيرًا من الضوائق في سبيل طلب العلم وتحصيله وبثه بين الناس .

وإليك بعض هذه اللقطات من حياتهم ، تدلُّ على صبرهم ومصابرتهم في هذا الميدان :

٤ – ٧ – أ : قال الإمام البخاري في « صحيحه » في كتاب العلم ، باب الخروج في طلب العلم :

« ورحل جابر بن عبد الله مَسِيرةَ شهرٍ إلى عبد الله بن أُنيس في حديث واحد » ، أي : يريد جابر أن يسأل أُنيسا عن حديثٍ واحدٍ سمعه من رسول الله ﷺ .

« وقد رحل التابعي الجليل مسروق بن الأجدع في حَرْف ، أي : من أجل كلمة واحدة »[2].

٥ – ٧ – ب : قال ابن المديني : « قيل للشعبي : من أين لك هذا العلم كلُّه ؟ قال : بنَفْي الاعتماد (أي : ترك الاعتماد على غيري) ، والسير في البلاد ، وصبرٍ كصبر الحمار ، وبكور كبكور الغراب »[3] .

٥ – ٧ – جـ : وقد ارتحل بَقِيُّ بن مَخْلَد القرطبي إلى مصر والشام والحجاز وبغداد على قدميه ؛ امتدت رحلته الأولى أربعة عشر عامًا ، والثانية عشرين عامًا ! فلله درُّه وصبرُه وشوقه للعلم ، ولله بذْله حياتَهُ في تحصيله وجمعه ! »[4] .

٥ – ٧ – د : وقد ضحوا في سبيل طلب العلم بالكثير من حظوظ أنفسهم .

- فهذا الإمام البخاري يقوم في ليلة عشرين مرةً يوقد فيها السراج ليسجِّل فائدة خطرت له ، مضحيًا بمتعة النوم والراحة .
- والحافظ أبو نصر السِّجْزي عرضت عليه امرأة ألف دينار ليتزوجهَا ولِتخدِمَهُ ، فأبى وقال : خرجت من سِجِسْتان بنيَّةِ طلب العلم ، ومتى تزوَّجت سَقَط عني هذا الاسم ، وَما أُوثر على ثواب طلب العلم شيئًا .

---

(1) سورة الكهف [٦٢] .
(2) صفحات من صبر العلماء ، أبو غدة ، ص ٤٩ ؛ وقد حكاها عن الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله : ١ / ٩٤ .
(3) المرجع السابق : ٥١ .
(4) انظر المرجع السابق : ٦٠ .

- وأبو زُرْعة الرازي (توفي سنة ٢٦٤) يبيع بعض ملابسه ليشتري بثمنها ورقًا يكتب فيه كتب الشافعي [١] .
- الإمام شعبة ، شيخ الإسلام ، وإمام أئمة الحديث الأعلام في الحفظ والدراية والتثبت ، قال : « من طلب الحديث أفلس ، بِعْتُ طستَ أمي بسبعة دنانير » [٢] ، من أجل أن يستعين بها على طلب العلم .

٦ - من آثار الصبر في الشخصية المسلمة :

تظهر في شخصية المسلم الصابر آثار تميزه عن غيره في أقواله وأفعاله وسلوكه ومواقفه وهي تتفاوت في قوة بروزها وجلاء صورتها بحسب ما لديه من صبر ومصابرة ، ومن تلك الآثار التي تكشف عن صبره :

٦ - ١ : الرفــق :

وهو خلق من أخلاق الصابرين ينشأ عن حبس النفس عن العنف والقسوة في غير موضعها ولا يستطيعه إلا الصابرون . وقد رغَّب فيه الإسلام وحث عليه ودعا إليه ، وجعل من قلَّ حظه منه من المحرومين من خير كثير ، فقال ﷺ : « **من يحرم الرفق يحرم الخير كله** »[٣].

وذلك لأن :

- الرفق في الأمور من شأنه أن يصلح ويعطي أفضل النتائج وأجود الثمرات ؛ بخلاف العنف فمن شأنه أن يفسد ويعطي نتائج سيئة .
- والعنف في معالجة الآلة يكسرها ، وفي مقارعة الخطوب يحطم الطاقات ويدمر القوى ويَحْرِم من الظفر بالنتائج المطلوبة .
- والرفق بالناس من شأنه إصلاحُ نفوسهم والتأثير فيها ، واستعطافها إلى المطلوب منها ، ويلين عريكتها ، وإن كانت جافة قاسية ؛ بخلاف العنف فإنه يولِّد لديها صلابة التحدي والعناد ، وعدم الاستجابة للمطلوب منها ، وإن كان حقًّا وخيرًا ، وإن كانت لينة العريكة في فطرتها .
- والعنف في معاملة الناس يورث العداوات والأحقاد ، ورغبات الانتقام متى سنحت الفرصة لتنفيذه .
- أما الرفق في معاملة الناس فهو يؤلف قلوبهم ، ويمتلك موداتهم ، ويطوعهم ،

---

(١) انظر روائع من صبر العلماء ، واحتسابهم وبذلهم وجهادهم في طلب العلم في كتاب صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - .
(٢) صبر العلماء : ص ٢٣١ .
(٣) رواه مسلم ، كتاب البرو والصلة والآداب ، باب : فضل الرفق ، برقم : ٢٥٦٥ .

لا سيما رفق الراعي برعيته في إدارة شؤونهم ، وتسيير أمورهم وفرض الطاعة عليهم [1] .

٦ - ٢ : الحلـم :

((الحلم هو الأناة ، والتثبت في الأمر ، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب ، وكظم للغيظ ، وعفوٍ عن السيئة . وكلها شديدة على النفس ، تحتاج إلى صبر ليتصرف المرء وفق مقتضى الحكمة ، فالصابر الحليم يجتنب :

أ - العجلة الرعناء في تصريف الأمور ، وفي القيام بالأعمال ، وفي الحكم على الأشياء قبل أوانها ، والسرعة في العقاب دون إمهال تقتضيه الحكمة التربوية .

ب- الطيش كلما ثارت في النفس ثائرة ، وكلما تَحرك في النفس دافع من الدوافع لتحقيق مطلب من المطالب .

جـ- سرعة الغضب حينما يصطدم بما يثير غضبه أو يخالف هواه))[2] .

٦ - ٣ : الدأب والمثابرة [3] :

فالصابر إذا بدأ عملاً دأب فيه وثابر عليه حتى يصل إلى مبتغاه ، يجهد نفسه في إكماله ويحملها على تحسينه ، فلا يَقْعُدُ به مللٌ ولا يصرفه عنه كسل . فالصابر المثابر ليس من خلقه :

أ - التذبذب في الأعمال ، يبدأ عملاً اليوم فينقطع عنه غدًا ؛ لأنه لم يتوافق مع هواه .

ب- السآمة من الواجبات ، والملل من المسؤوليات ، فيحمله ذلك على التقصير فيما أُوكل إليه ، والتفريط فيما استؤمن عليه .

فالصابر إذا أُوكل إليه عمل فيه طاعة واظب عليه حتى ينجزه ، وقد قال الله تعالى :

﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾[4]، وقال رسوله الله ﷺ : ((**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**)) [5]؛ فليس من خلق المسلم الطفرات العاطفية نحو عملٍ ((ما)) ، ثم الانقطاع عنه بعد ذلك بالكلية .

---

(1) الأخلاق الإسلامية : ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ ، بتصرف .
(2) الأخلاق الإسلامية (٢ / ٣٣٧ - ٣٣٨) ، بتصرف واختصار ؛ وانظر أيضًا (٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦) .
(3) انظر للتوسع : المرجع السابق ، ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٧ .
(4) سورة طه [١٣٢] .
(5) رواه البخاري .

٧ ـ كيف نعين أنفسنا على الصبر ؟

الصبر شديد على النفس ، يحتاج إلى مجاهدةٍ لأهوائها ورغباتها ؛ ولكن حلاوة نتائجه ، وعظم ثوابه وحسن عواقبه ، تجعل اللبيب العاقل يبذل في تحصيله وتقويته وتعزيزه في نفسه كل وسيلة مشروعة تعين عليه ، ومن ذلك :

٧ ـ ١ : المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا [1] :

أقرب ما يعين الإنسان على الصبر ـ وخاصة على النوائب والشدائد ـ أن يعرف حقيقة الدنيا التي يعيش فيها ؛ فهي ليست جنة نعيم ، ولا دار خلود ، إنما هي ابتلاء وتكليف ، خُلق الإنسان فيها ليُصقل ويُبتلى ليُعَدَّ لحياة الخلود في الدار الباقية . ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يفاجأ بكوارثها ؛ لأن ذلك من طبيعتها .

والقرآن يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشقة ، حين يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[2] ، كما يشير إلى طبيعة الحياة ودوام تغيرها ، وأنها لا تثبت على حال ؛ فيوم لك ، ويوم عليك : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[3] .

ومن طبيعة هذه الدنيا أنها اختلطت لذائذها بآلامها ، ومحابها بمكارهها ؛ فهيهات أن ترى لذةً لا يشوبها ألم ، أو صحة لا يكدرها سقم ، أو سرورًا لا ينغصه حزن ، أو راحة لا يخالطها تعب ، أو اجتماعًا لا يعقبه افتراق ، أو أمانًا لا يلحقه خوف .

• قيل لعليّ رضي الله عنه : صف لنا الدنيا : فقال : « ماذا أصف لك من دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء ! » .

• وقد قيل في وصف الدنيا :

صفوًا من الآلام والأكدارِ   جُبلت على كَدَرٍ وأنت تُريدُها

متطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ   ومكلّفُ الأيام ضد طباعها

٧ ـ ٢ : التأسي بأهل المصائب :

إن مما يعين كثيرًا على الصبر ، لا سيما عند حلول الشدائد ، التأسي بأهل المصائب ، فإن ذلك يطفِئ نار مصيبته ؛ فإن المرء لو فتش العالم لم يرَ فيهم إلا مبتلىً : إما بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، وإن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل ؛ إن

---

(1) هذا المبحث ملخصًا من كتاب الصبر في القرآن ، للقرضاوي .
(2) سورة البلد [٤] .
(3) سورة آل عمران [١٤٠] .

أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا ، وإن سرّت يومًا أساءت دهرًا .

قال ابن القيم - رحمه الله - : والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة :

أحدها : شهود جزائها وثوابها [أي : جزاء وثواب المصيبة] .

الثاني : شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها .

الثالث : شهود القدر السابق الجاري بها ، وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يخلق فلابد منها ، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً .

الرابع : شهوده حق الله عليه في تلك البلوى ، وواجبه منها الصبر .

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾(١) ، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع المصيبة . قال علي بن أبي طالب : « ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة » .

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها ، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي به سيده ومولاه ، فإن لم يستطع الرضا نزل إلى الصبر .

السابع : أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ، ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته ، الرحيم به ؛ فليصبر على تجرعه ، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه ، فيذهب نفعه باطلاً .

الثامن : أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء الشفاء والعافية : ﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ** ﴾(٢) .

التاسع : أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله ؛ وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه ، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا ؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه ، وإن نكص على عقبيه طرد وصفع قفاه

(١) سورة الشورى [٣٠] .
(٢) سورة البقرة [٢١٦] .

.

العاشر : أن يعلم أن الله يحب أن يربي عبده على السراء والضراء ، والنعمة والبلاء ، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال . فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال ، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته)) أ . هـ (١) .

٧ - ٣ : معرفة الإنسان نفسه :

أن يعرف الإنسان أنه مِلْك لله تعالى أولاً وآخرًا ، فالله هو الذي وهبه السمع والبصر والفؤاد وأسبغ عليه نعمه ظاهرةً وباطنة : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(٢). فإذا نزل بالمرء نازل سلبه شيئًا مما عنده ، فإنما استرد صاحبُ الملك بعض ما وهب ، ولا ينبغي للمُودع أو المستعير أن يسخط على المالك إذا استرد يومًا من الدهر وديعته أو عاريته .

قال لبيد : **ولا بُدَّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ**

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعُ ولا بُدَّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ

ومن ثَمَّ كان من هدي الصابرين إذا أصابتهم مصيبة أن يتذكروا هذا الأصل فيقولوا : ﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(٣) ، وهذه الكلمة تتضمن أصلين عظيمين ، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته :

أحدهما : أن العبد وأهله وماله مِلْك لله - عز وجل - ، وقد جُعل عند العبد عارية .

وثانيهما : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره .

● **وفي قصة أم سليم مع زوجها أبي طلحة عبرة :**

حين مات ابن لهما ، وكان أبو طلحة خارج البيت ، فقامت الأم إلى الصبي

---

(١) طريق الهجرتين (٤٥٧ – ٤٥٨) ملخصًا .
(٢) سورة النحل [٥٣] .
(٣) سورة البقرة [١٥٦] .

فغسلته ، وكفنته وحنطته (طيبته بالحنوط) ، وسجت عليه ثوبًا ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ فقالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ! (تعني بالموت) ، وظن هو أنه استراح بالنوم لمجيء العافية ، ثم تعرضت له فأصاب منها ، فلما أراد أن يخرج قالت له : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا أهل بيت عارية ، فطلبوا عاريتهم ؛ ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، إن العارية مؤداة إلى أهلها . فقالت : إن الله أعارنا فلانًا (وسمت ابنها) ، ثم أخذه منا . فاسترجع ، فصلى مع النبي ﷺ فأخبره بما كان منهما . فقال رسول الله ﷺ : « **لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما** » ، فقال رجل من الأنصار : فرأيت لهما (أي من ابنهما عبد الله) تسعة أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن [1] .

والشاهد في القصة ما جاء على لسان أم سليم - رضي الله عنها - أن الأولاد عارية من الله يمنحها لعباده حين يشاء ، ويستردها متى شاء . ولا ريب أن الإيمان بهذه الحقيقة يعين على الصبر ، ويهون على المصاب أَلَمَ المصيبة ، ما دام صاحب الوديعة أو العارية قد استرجعها . إنه صاحب الفضل حين يمنح ، وصاحب الحق حين يسترد ما منح ، وخصوصًا أنه في هذه وتلك لا يصدر إلا عن حكمة .

٧ - ٤ : اليقين بحسن الجزاء عند الله :

فإن مما يحث الإنسان على عمل ما ، ويثبته عليه ، ويزيده رغبة فيه ، وحرصًا عليه ، أن يطمئن إلى أنه مجزي عليه جزاء مرضيًّا ، ومن هنا وضعت الدول والمؤسسات المكافآت التشجيعية ، والجوائز التقديرية للمحسنين والمتفوقين .

والقرآن يشير إلى أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى ، وذلك حين يرجعون إليه ، ويقفون بين يديه ؛ فيعوضهم عن صبرهم أكرم العوض ، ويمنحهم أعظم الأجر ، وأجزل المثوبة ، حتى ورد « أن أهل العافية يتمنون يوم القيامة لو أن أجسامهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا ، لما يرون من عظم ثواب أهل البلاء » .

ولا نجد في القرآن شيئًا ضخم جزاؤه ، وعظم أجره ، مثل الصبر : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[2] .

قال بعض المفسرين : يُغرفُ لهم غرفًا ، ويصب عليهم صبًّا .

فإذا تذكر المرء أن أجره عند الله لن يضيع ، وتذكر حسن الجزاء ، دفعه ذلك إلى حسنِ الصبر والسلوان .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب : من لم يُظهر حُزنَه عند المصيبة ، برقم : ١٣٠١ . ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، برقم : ٢١٤٤ .
(٢) سورة الزمر [١٠] .

وقد جاء عن عمر ﷺ قوله : ما أُصبت ببلاء إلا كان لله عليَّ فيه أربع نعم :

- أنه لم يكن في ديني .
- وأنه لم يكن أكبر منه .
- وأني لم أُحرم الرضا به .
- وأني أرجو ثواب الله عليه .

فكان رجاء ثواب الله على البلاء - في نظر عمر ﷺ - أحد الأسباب الملطفة له ، بل نقله من دائرة المصائب التي يُصبر عليها ، إلى دائرة النعم التي يُشكر عليها .

وقيل : إن إحدى الصالحات عثرت فانقطع إصبعُها ، فحمدت الله وضحكت ، فقيل لها : أتضحكين وقد قطعت أصبعك ؟ فقالت : إن لذة الثواب أنستني ألم المصاب .

٧ - ٥ : اليقين بالفرج :

ومما يعين الإنسان على الصبر : اليقين بأن نصر الله قريب ، وأن فرجه آتٍ لا ريب فيه ، وأن بعد الضيق سعة ، وأن بعد العسر يسرًا ، وأن ما وعد الله به المؤمنين من النصر ، وما وعد به المبتلين من العوض والإخلاف ، لا بد أن يتحقق . وهذا كله مما يعزز الثقة بالله ، وأمله فيه ، فيبدد ظلمة اليأس والقنوط ، ويذهب الهم والغموم ، فتشرق النفس بالأمل .

- إن الذي أعان يعقوب - عليه السلام - على صبره ، أمله في الله وأنه - سبحانه - لن يضيع صبره وعمله ؛ ولهذا قال بعد أخذ ولده الثاني واحتجازه بمصر : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾(١) . فهو لم ييأس من فرج الله - عزَّوجلَّ - في أن يجمعه بهم جميعًا مرةً أُخرى ، بل يوصي بنيه بعدم اليأس فيقول : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٢).

- وقد وعد الله عز وجل الصابرين - ووعده حق لا ريب فيه - بجملة من الأمور ، منها :

١ - الوعد بالسعة بعد الضيق ، وبالعافية بعد البلاء ، وبالرخاء بعد الشدة ، وباليسر بعد العسر .

---

(١) سورة يوسف [٨٣] .
(٢) سورة يوسف [٨٧] .

في هذا يقول الله - عز وجل - : ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[1] ، بل يقول في سورة الشرح : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[2] ، فلم يجعل اليسر بعد العسر أو عقبه بل معه ، وذلك لينبه على أمرين :

الأول : قرب تحقق اليسر بعد العسر حتى كأنه معه ومتصل به ، وفي هذا قال بعض السلف : لو دخل العسر جحرًا لتبعه اليسر .

الثاني : أن مع العسر بالفعل يسرًا ، لا ريب فيه ، قد يكون ظاهرًا ملموسًا ، وقد يكون خفيًّا مكنونًا ، وذلك ما نسميه ((اللطف)) ، ففي كل قدر لطف ، وفي كل بلاء نعمة . وفيه يقول ابن عطاء الله السكندري :

من ظن انفكاك لطفه عن قدره ، فذلك لقصور نظره : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[3] .

٢ - وعده بحسن العاقبة لأهل الصبر والتقوى ، مهما ازدحمت طريقهم بالأشواك ، وضرجت بالدماء ؛ فالعبرة بالعواقب ، والمدار على الخواتيم .

وفي هذا يحكي القرآن على لسان موسى ناصحًا قومه ، بعد أن هددهم فرعون بما هددهم من التقتيل ، والتعذيب ، والتنكيل : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

وقصص الرسل مع أقوامهم ، التي حفل بها القرآن ، تؤكد هذا القانون الإلهي : أن العاقبة لأهل الصبر والتقوى .

قد تكون الأيام دولاً ، والحرب سجالاً ، ولكن النتيجة في صالح أهل الإيمان ، بل قد تشتد المحن ، وتتفاقم الفتن ، وتقبل الشدائد كأمواج البحر ، وتأخذ بخناق المؤمنين ، وتزيغ الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ويظن الناس بالله الظنون [5] ، ويُبتلى المؤمنون ويُزلزلون زلزالاً شديدًا ، وفي هذه اللحظات يكون نصر الله أقرب ما يكون على سُنَّة الله في الطبيعة ؛ حيث نرى الرعود القاصفة ، والبروق الخاطفة ، بشير الغيث والرحمة ، ونرى أحلك سويعات الليل ظلمة وسوادًا هي التي تسبق بزوغ الفجر ؛ ولهذا قيل :

---

(1) سورة الطلاق [٧] .
(2) سورة الشرح [٥ - ٦] .
(3) سورة يوسف [١٠٠] .
(4) سورة الأعراف [١٢٨] .
(5) كما حدث للمسلمين في غزوة الأحزاب ، ووصفه الله في كتابه في سورة الأحزاب .

اشـــــتدي أزمـــــة تنفرجـــــي قـــــد آذن ليلـــــك بالـــــبلج

وقال الآخر :

وَلَــرُبَّ نَازِلــةٍ يضــيقُ بهــا الفــتى ذَرْعًــا ، وعنــد الله مِنْهــا المَخْــرجُ

ضــاقتْ فَلَّمــا اســتحكمت حَلقَاتهُــا فُرجــتْ ، وكُنــتُ أظُنُّهــا لا تُفــرَجُ

والقرآن الكريم يتحدث عن هذه السُّنَّة الإلهية مع رسل الله فيقول : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾(١) .

وقد يخيل لبعض الناس حين يرون الظالمين والطغاة يرفلون في حلل العافية أن قدر الله قد غفل عنهم ، وحاشا لله ، فإنه يمهل ولا يهمل . وفي الحديث الصحيح : ((**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**)) ، ثم تلا : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٢) .

٣ - الوعد بحسن العوض عما فات ، والإخلاف عما فقد ، فإن الله لا يضيع عنده أجر عامل ولا مثوبة محسن . كيف وقد وعد وعدًا مؤكدًا أنه لا يضيع أجر المحسنين ، وهذا يشمل الدنيا والآخرة جميعًا ؛ فهو في الدنيا يعوضهم ويخلف عليهم خيرًا مما حُرموا ، ويُمَكِّن لهم بعد أن غُلبوا ، وهو في الآخرة يؤتيهم أجورهم بغير حساب .

يقول - سبحانه وتعالى - واعدًا المهاجرين في سبيله بحسن العوض عما حرموا من الوطن والعشيرة : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخرة أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣) .

وفي قصة نبي الله أيوب - عليه السلام - نرى كيف صبر على ما أصابه من ضر في نفسه وأهله ، فانتهى به الصبر إلى أجمل العواقب ، وكشف الله عنه ضره ، ووهب له أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عنده ، وذكرى للعابدين ، وعبرة لأولى الألباب .

وهذا يؤكد لنا أن الصبر المر ، لا يُجتنَى من ورائه إلا أحلى الثمرات في الدنيا ، قبل الآخرة .

---

(١) سورة يوسف [١١٠] .
(٢) سورة هود [١٠٢] .
(٣) سورة النحل [٤١ - ٤٢] .

ومن هنا جاء خطاب الله تعالى لرسوله في سورة هود ، إذ يقول : ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١) ، فثمرة الصبر لا تضيع في الأولى ولا الآخرة .

ويتحدث القرآن على لسان يوسف حين كشف لإخوته عن نفسه فقالوا : ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) .

ومن الوقائع الثابتة التي تدل على أن الله يعوض الصابرين خيرًا مما فقدوا ، ما رواه مسلم في صحيحه عن أم سلمة ، أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم ائجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيرًا منها ، إلا آجره الله في مصيبته ، وأخلف له خيرًا منها**)) قالت : فلما توفي أبو سلمة ، قلت كما أمرني رسول الله ﷺ ، فأخلف الله لي خيرًا منه : رسول الله ﷺ))(٣).

٧ - ٦ : الاستعانة بالله :

ومما يعين المبتلي على الصبر أن يستعين بالله تعالى ، ويلجأ إلى حماه ، فيشعر بمعيته سبحانه ، وأنه في حمايته ورعايته . ومن كان في حمى ربه فلن يضام .

وفي هذا يقول تعالى في خطاب المؤمنين : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٤) .

ومن كان بمعية الله مصحوبًا ، وكان بعين الله ملحوظًا ، فهو أهل لأن يتحمل المتاعب ويصبر على المكاره .

وإذا العنايةُ لاحظتك عُيُونُها ... نم ، فالمخاوف كلُّهنَّ أمانُ !

واصطدْ بها العنْقاءَ ، فهْي حبائل ... واقتد بها الجوْزَاءَ ، فهي عنانُ !

ولما هدد فرعون موسى - عليه السلام - وقومه ، أن يقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، مستخدمًا سيف القهر والجبروت ، قال موسى لقومه : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا ﴾(٥) .

ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى ، والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله في آيات كثيرة مر بنا بعضها ، مثل قوله تعالى : ﴿

(١) سورة هود [١١٥] .
(٢) سورة يوسف [٩٠] .
(٣) رواه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة ، برقم : ٩١٨ .
(٤) سورة الأنفال [٤٦] .
(٥) سورة الأعراف [١٢٨] .

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١) ، وقوله على ألسنة الرسل : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٢) .

٧ - ٧ : الاقتداء بأهل الصبر والعزائم :

ومما يعين على الصبر : التأمل في سير الصابرين ، وما لاقوه من صنوف البلاء ، وألوان الشدائد ، وبخاصة أصحاب الدعوات ، وحملة الرسالات ، من أنبياء الله ورسله ، المصطفين الأخيار ، الذين جعل الله من حياتهم وجهادهم دروسًا بليغة لمن بعدهم ، ليتخذوا منها أسوة ، ويتعزوا بها عما يصيبهم من متاعب الحياة وأذى الناس .

ومن هنا حرص القرآن ، المكي خاصة ، على ذكر قصص الأنبياء ، بل تكرار الكثير منها في العديد من سوره ، تسليةً للنبي ﷺ - والمؤمنين معه - وتثبيتًا لقلبه في مواجهة أعداء دعوته وما أكثرهم وأعتاهم .

وفي هذا المعنى نقرأ خواتيم سورة هود ، وقد قص الله عليه فيها قصص عدد من إخوانه المرسلين : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) .

وعلى منهج القرآن سار النبي ﷺ في توجيه أصحابه ؛ إذ ضرب لهم الأمثلة بما أصاب المؤمنين من قبلهم من ألوان البلاء ، وكيف غلبوه بالصبر ؛ ليكون في ذلك لهم عزاء وسلوى ، وأسوة .

فعندما ذهب خباب بن الأرت ، يشكو إليه ضراوة ما يلقى ، من أذى وفتنة في دينه هو وإخوانه من المستضعفين ، وقال : يا رسول الله ، ألا تستنصر لنا ؟ ! ألا تدعوالله لنا ؟ فقال ﷺ : ((**قدْ كان من قبلكم يؤخذ الرَّجل فيحفر له في الأرض ، فَيُجْعَل فيها ، ثُمَّ يُؤْتَى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد – ما دُونَ لحمه وعظمه – ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الرَّاكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخافُ إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**)) . وفي رواية : ((وهو متوسد بردةً وقد لقينا من المشركين شدة)) (٤) .

٧ - ٨ : الإيمان بقدر الله وقضائه :

---

(١) سورة النحل [٤٢] .
(٢) سورة إبراهيم [١٢] .
(٣) سورة هود [١٢٠] .
(٤) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، برقم : ٣٦١٢ ، وانظر أيضًا ، حديث رقم : ٣٨٥٢ .

ومما يعين المرء على الصبر إيمانه بأن قدر الله نافذ لا محالة ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه - ((**جفت الأقلام ، وطويت الصحف**)) .

وهذا له أثره في نفس الإنسان ؛ حيث يخفف عنها لوعة الأسى على ما فاتها ، والحزن على ما أصابها .

وفي هذا يقول القرآن : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾(١) .

وإذا كانت مقادير الله نافذة ، رضي الإنسان أم سخط ، صبر أم جزع ، فإن العاقل ينبغي أن يصبر ويرضى ، حتى لا يحرم المثوبة ، وإلا فإنه سينتهي رغمًا عنه إلى صبر الاضطرار ، الذي ليس له قيمة خلقية ولا دينية ((**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)) .

ولقد عزى أمير المؤمنين عليٌّ - كرم الله وجهه - رجلاً في ابن له مات ، فقال : يا أبا فلان ، إنك إن صبرت نفذت فيك المقادير ، ولك الأجر ، وإن جزعت نفذت فيك المقادير ، وعليك الوزر .

وقال الأشعث بن قيس : إن أنت صبرت إيمانًا واحتسابًا ، وإلا سلوت سلو البهائم !

وقال حكيم : العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام .

ومما يندرج في هذا المعنى أن يعلم أن الجزع والهلع والضيق والتبرم لا ترد ما فات ، ولا تحيي ما مات ، ولا تغير من قوانين الله في كونه ، وسننه في خلقه : ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً** ﴾(٢) .

وإن التسليم بالواقع هو مقتضى العقل والدين معًا ، وإلا فليفعل ما يشاء من إظهار الكآبة والهلع ، والمبالغة في التوجع والتشكي ؛ فهل يغير هذا من الواقع شيئًا ؟ وهل يبدِّل سنن الله في الكون ؟ بالقطع لا ؛ وإنما يزيد النفس كمدًا وغمًّا(٣) .

٧ - ٩ : الدعاء :

وهو من صور الاستعانة بالله - عز وجل - وإنما أفردناه وخصصناه لأهميته في تثبيت العبد وتصبيره وذهاب همه وغمه ؛ ولهذا قال الله - عز وجل - يخبرنا عن جند طالوت يوم برزوا لجند جالوت وأحسّوا بعظم الابتلاء وكثرة الأعداد ، فسألوا

---

(١) سورة الحديد [٢٢ - ٢٣] .
(٢) سورة فاطر [٤٣] .
(٣) انتهى باختصار من كتاب الصبر في القرآن الكريم ، للقرضاوي ، ص ٩١ - ١٠٩ .

الله - عز وجل - أن يصبرهم ويثبت أقدامهم : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

٨ - الحذر من الآفات العائقة عن الصبر [١] :

ولابد للإنسان عامة ، وللمؤمنين خاصة ، ولحملة الدعوات على وجه أخص ، إذا أرادوا أن يعتصموا بالصبر ، أن يحذروا من الآفات النفسية التي تعوقه وتعترض طريقه ، ومن هذه الآفات :

٨ - ١ : الاستعجال :

فإذا أبطأ على الإنسان ما يريد نفد صبره ، وضاق صدره ، ناسيًا أن لله في خلقه سننًا لا تتبدل ، وأن لكل شيء أجلاً مسمّى .. ولكل ثمرة أوان تنضج فيه ، فيحسن عندئذٍ قطافها ، والاستعجال لا ينضجها قبل وقتها ؛ فهو لا يملك ذلك ، وهي لا تملكه ، ولا الشجرة التي تحملها إنها خاضعة للسنن الكونية التي تحكمها ، وتجري عليها بحساب ومقدار ؛ ولهذا خاطب الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[٢]، أي : لا تستعجل للكفار العذاب ، فإن لهم يومًا موعودًا .

٨ - ٢ : الغضب :

فقد يستفز الغضب صاحب الدعوة ، إذا ما رأى إعراض المدعوين عنه ، ونفورهم من دعوته ، فيدفعه الغضب إلى ما لا يليق به من اليأس منهم ، أو النأي عنهم ، مع أن الواجب على الداعية أن يصبر على من يدعوهم ، ويعاود عرض دعوته عليهم مرةً بعد مرةً ؛ عسى أن يتفتح له قلبُ واحدٍ يومًا ، تشرق عليه أنوار الهداية ، فيكون خيرًا له مما طلعت عليه الشمس وغربت . وفي هذا يقول الله لرسوله ولكل داعية : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣].

فالداعية ينبغي أن يحذر من الاستجابة إلى داعي الغضب ، الذي قاد يونس إلى ما قصَّه الله علينا ، وجرَّ عليه من البلاء ما جر ؛ وإنما عليه أن يصبر لحكم ربه ، ويثبت على دعوته ، ويتحمل أعباء تبليغها .

٨ - ٣ : **شدة الحزن والضيق مما يمكرون** ؛ فليس أشد على نفس المرء المخلص لدعوته

---

(١) باختصار من : الصبر في القرآن الكريم ، ص ١٠٩ – ١١٣ .
(٢) سورة الأحقاف [٣٥] .
(٣) سورة القلم [٤٨ - ٥٠] ، وانظر أيضًا قصته في سورة الأنبياء في قوله تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ﴾.

من الإعراض عنه ، والاستعصاء عليه ، فضلاً عن المكر به والإيذاء له ، والافتراء عليه .. ولكن مع هذا كله ينبغي للداعية أن يصبر ويحتسب ويستشعر معية الله ونصرته له . قال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(١) .

٨ - ٤ : اليأس :

فهو من أعظم عوائق الصبر ، فإن اليأس لا صبر له ؛ لأن الذي يدفع الزارع إلى معاناة مشقة الزرع وسقيه وتعهده هو أمله في الحصاد ، فإذا غلب اليأس على قلبه ، وأطفأ شعاع أمله لم يبق له صبر على استمرار العمل في أرضه وزرعه . وهكذا كل عامل في ميدان عمله ، وصاحب الدعوة والرسالة كذلك .

ولهذا حرص القرآن على أن يدفع الوهم عن أنفس المؤمنين ، فبذر الأمل في صدورهم ، فقال - عز وجل - : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾(٢). فالأمل بالله - عزوجل - أكبر عونٍ على الصبر ، كما أن اليأس من أعظم المعوقات عن الصبر (٣) .

٩ - أحاديث في الصبر :

٩ - ١ : الصبر على الدعوة :

أ - عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ضَرَبه قومُه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : ((**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)) (٤) .

وفيه صبر الأنبياء وتحملهم الأذى في سبيل تبليغ دعوتهم للناس ، وللدعاة فيهم أُسوة حسنة .

ب- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : لما كان يوم حنين أثَرَ رسولُ الله ﷺ ناسًا في القسمة ، فأعطى الأقرعَ بنَ حابسٍ مائةً من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصنٍ مثل ذلك ، وأعطى ناسًا من أشراف العرب ، وآثرَهم يومئذٍ في

(١) سورة النحل [١٢٧] .
(٢) سورة آل عمران [١٣٩ - ١٤٠] .
(٣) انتهى باختصار مع التصرف من كتاب : الصبر في القرآن الكريم ، ١٠٩ - ١١٣ .
(٤) متفق عليه ؛ رواه البخاري في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ؛ ورواه مسلم ، كتاب الجهاد ، باب غزوة أحد .

القسمة . فقال رجلٌ : والله إن هذه قسمةٌ ما عُدِل فيها ، وما أُريد فيها وجهُ الله . فقلت : واللهِ لأُخبرن رسول الله ﷺ ، فأتيته فأخبرته بما قال ، فتغير وجهه حتى كان كالصِّرف ، ثمَّ قال : ((**فمَنْ يعدِلُ إذا لم يَعدِلِ اللهُ ورسولهُ ؟**)) ، ثم قال : ((**يرحم الله موسى ، قد أُوذي بأكثرَ من هذا فصبر**)) . فقلت : لا جَرَم لا أرفع إليه بعدَها حديثًا [1] .

وفيه التأسي بمن صبر على الأذى والابتلاءات في ذات الله ، فإن في ذلك عونًا على الصبر والثبات ؛ ولهذا قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾[2].

جـ- قال رسول الله ﷺ : ((**يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموه فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**)) [3] .

٩ - ٢ : الصبر على تربية البنات :

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسولُ الله ﷺ : ((**من ابتلي بشيءٍ من البنات فصبر عليهنَّ ، كنَّ له حِجابًا من النار**)) [4] . قال الترمذي : حديث حسن .

٩ - ٣ : الصبر على فقد حبيبٍ من ولد وصديق ونحوهما :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ((**ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبهُ إلا أدخلته الجنة**)) [5] ، وصفيه : حبيبه ؛ لأنه يصافيه وده ويخلصه محبته ، ((**ثم احتسبه**)) بأن يدخره عند الله تعالى ، وذلك ينبئ عن الصبر والتسليم [6] .

٩ - ٤ : الصبر على الأذى في الجسد من مرض ونحوه :

- وفيه حديث المرأة السوداء التي تصرع ، وقد مرّ بنا [رواه البخاري ، كتاب المرضى باب ٦ ، برقم : ٥٦٥٢] .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا**

---

(1) متفق عليه ؛ رواه البخاري ، كتاب الدعوات والأدب ، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه ؛ ورواه مسلم في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .
(2) سورة الأنعام [٩٠] .
(3) ورواه مسلم ، كتاب الجهاد ، باب كراهة تمني لقاء العدو ، والأمر بالصبر عند اللقاء .
(4) رواه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات ، برقم : ١٩١٦ .
(5) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله .
(6) نزهة المتقين ، ١ / ٦٧ .

همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ ، حتى الشوكة يُشاكها ، إلا كفَّر اللهُ بها من خطاياه)) (١) .

- وعنه ﷺ أنه قال : ((**إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضتُه منهما الجنة**)) (٢) ، يريد عينيه .

٩ - ٥ : الصبر على الدين والثبات عليه عند الفتن :

- عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((**يأتي على الناس زمان الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر**)) (٣) .

٩ - ٦ : الصبر على الكفاف والفقر :

- ذَكَرَ عمرُ رضي الله عنه ما أصابَ الناسُ من الدنيا ، فقال : ((لقد رأيت رسول الله ﷺ يَظلُّ اليوم يلْتَوِي ، ما يجدُ دقلاً (التمر الرديء) يملأ به بطنه)) (٤) .

- وجاء ثلاثةُ نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأنا عنده ، فقالوا : يا أبا محمد ، إنا والله ما نقدر على شيء ؛ لا نفقة ، ولا دابَّة ، ولا متاع . فقال لهم : ما شئتم . إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسَّرَ اللهُ لكم ، وإن شيئم ذكرنا أمركم للسلطان ، وإن شئتم صبرتم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**)) (٥) .

قالوا : فإنَّا نصبرُ ، لا نسأل شيئًا .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، سأله رجلٌ ، فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأةٌ تأوي إليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكنٌ تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فإنَّ لي خادمًا . قال : فأنت من المُلُوك (٦) .

٩ - ٧ : الصبر عن فضول الكلام :

لقوله ﷺ : ((**أمسك عليك لسانك**)) (٧) .

---

(١) متفق عليه ، رواه البخاري كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض ، ورواه مسلم ، في البر والصلة ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه .
(٢) رواه البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، برقم : ٥٦٥٣ .
(٣) رواه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ٦٢ ، برقم : ٢٣٧٥ ، وقد صحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم : ١٨٤٤ ، وفي الصحيحة برقم : ٩٥٧ .
(٤) رواه مسلم ، كتاب الزهد ، برقم : ٢٩٧٨ .
(٥) رواه مسلم ، كتاب الزهد ، برقم : ٢٩٧٩ .
(٦) رواه مسلم ، كتاب الزهد ، برقم : ٢٩٧٩ .
(٧) رواه الترمذي ، وحسّنه الألباني في الصحيح برقم : ٨٩٠ ، وهو هناك بلفظ ((**أملك عليك لسانك**)) .

٩ - ٨ : الصبر عن النظرات المحرمة :

قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ، وفي الأثر « **النظرة سهم من سهام إبليس** » [1] ، وقد قال ﷺ عندما سُئل عن نظر الفجأة : « **اصرف بصرك** » .

١٠ - صور من الصبـر :

١٠ - ١ : صبر إبرهيم وإسماعيل - عليهما السلام - :

« يكلّف الله إبراهيم في رؤيا منامية أن يذبح ولده إسماعيل ، فيتجه بصبر عجيب لطاعة أمر ربه ، فيقول لابنه إسماعيل : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ [2] ، أي : أمرني ربي بذبحك في رؤيا مناميّة ، ورؤيا الأنبياء حقّ تثبت بها الأحكام التكليفية .

فيقول الابن البار بأبيه ، المطيع لربه : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [3] .

وأسلما أمرهما إلى الله صابرين ، وشرعا في تنفيذ التكليف ؛ ذابحٌ ومذبوح ، فلما علم الله طاعتهما وصدق إسلامهما وتسليمهما ، أنزل لهما كبش الفداء ، وتوقف أمر ذبح الوالد لولده ، وتم الذبح للكبْش .

وفي عرض القرآن لهذه القصة إشادةٌ بفضيلة خلق الصبر على تنفيذ أمر الرب ، مهما كان قاسيًا ومكروهًا لدى النفس ؛ وتوجيهٌ لإعداد الأنفس للصبر على المكاره والمصائب المرتقبة ، والإقدام عليها بشجاعة وبطولة ؛ وتقديم لنموذج فريد من روائع قصص الأبطال الصابرين » [4] .

يقول الله تعالى في معرض ذكر قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ

---

(١) هذا الأثر ، روي مرفوعًا من طريق حذيفة ﷺ ، وإسناده ضعيف (انظر المرأة المسلمة لحسن البنا ، ص١٨) .
(٢) سورة الصافات [١٠٢] .
(٣) سورة الصافات [١٠٢] .
(٤) الأخلاق الإسلامية : ٢ / ٣١٤ - ٣١٥ .

فِي الآَخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

١٠ - ٢ : صبر أيوب - عليه السلام - :

((ومن روائع أمثلة الصبر ، صبرُ أيوب - عليه السلام - فقد قدم مثالاً يقتدى به ، من أمثلة الصبر على المصائب والمكاره التي يبتلي الله بها عباده .

كان أيوب - عليه السلام - عبدًا صالحًا ، امتحنه الله بالغنى ؛ فبسط له الرزق الكثير ، ورزقه أهلاً وبنين ، فكان من الشاكرين .

وقد ذكر المؤرخون أنه كان أميرًا غنيًّا محسنًا ، ثم امتحنه الله بالمصائب ؛ ففقد المال والأهل والولد ، ونشبت به الأمراض المضنية المضجرة ، فكان من الصابرين ، وتلقى كل ذلك بالحمد والثناء على ربه ، وبالتسليم والرضا ، فكان في حالتي السراء والضراء مثالاً رائعًا لعباد الله الصالحين ؛ إذ كان شاكرًا أيام النعمة ، ثم كان صابرًا أيام المصائب المتوالية ؛ وكانت له امرأة مؤمنة اسمها ((رحمة)) من أحفاد يوسف - عليه السلام - ورافقت هذه المرأة حياة نعمته وصحته ، وزمن بؤسه وبلائه ، فكانت في الحالتين مع زوجها شاكرة فصابرة))(٢).

قال الله تعالى : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ** ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ*وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾(٤).

بنُصْب : أي : بمشقّة وتعب ، والمراد من النصب والعذاب : ما نزل به من بلاء المرض .

١٠ - ٣ : صبر يوسف - عليه السلام - :

قال رسول الله ﷺ : ((**إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**)) (٥) .

قال الغزالي : ((فهو نبي تربَّى في حجور أنبياء ، وتحدر من شجرة عريقة ،

---

(١) سورة الصافات [٩٨ - ١١٠] .
(٢) الأخلاق الإسلامية ٢ / ٣١٦ - ٣١٧ .
(٣) سورة الأنبياء [٨٣ – ٨٤] .
(٤) سورة ص [٤١ – ٤٤] .
(٥) صحيح الجامع ، رقم : ٤٦١٠ .

وهو كريم على الله بالاجتباء والرسالة .. فانظر إلى هذا الكريم كيف قضى مراحل حياته الأولى وهو يخرج من ضائقة ليدخل في أختها . فَقَدَ أُمَّه وهو طفل ، ثم تآمر عليه إخوته فاختطفوه من أحضان أبيه ورموا به في البئر ؛ ليلقى في غيابتها مصيره المجهول .

واستنقذه السيارة ليمتلكوه عبدًا ، ثم يبيعوه في سوق الرقيق بثمن بخس دراهم معدودة .

وابتاعه ملك مصر ، فما إن آواه في القصر حتى تعرض للدسائس الماكرة ، فاتُّهم - وهو العفيف المحصن - بأنه يبغي السوء ، ومع ظهور براءته فقد طُرح في السجن مع الأشقياء ، لا أيامًا أو شهورًا ، بل بضع سنين ! .

ولو أن شخصًا آخر نظر إلى ماضيه فوجده مثقلاً بالآلام على هذا النحو لضاق بالأرض وتنكر للسماء ، بيد أن يوسف الصِّدِّيق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن يُذَكِّرُ بالله من جهلوه ، ويبصر بفضله من جحدوه .

قال تعالى : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وذلك شأن أولي الفضل من الناس ، لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم ، ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبة حلت بهم)) [2] .

وقد قال ﷺ : ((**عجبتُ لصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له ؛ حيث أرسلَ إليه ليُستفتى في الرؤيا ، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج . وعجبتُ لصبره وكرمه والله يغفر له ؛ أُتي ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ، ولو كنت أنا لبادرتُ الباب ؛ ولولا الكلمةُ لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله – عز وجل -**)) [3] .

١١ - مسائل متفرقـة :

١١ - ١ : هل الإحساس بالألم عند وقوع المصيبة ، والبكاء ودمع العين يتنافى مع الصبر ؟

الجواب : الصبر لا يتنافى مع التألم للمصاب ، وكذلك لا يتناقض مع البكاء ؛

---

(1) سورة يوسف [٣٩ - ٤٠] .
(2) خلق المسلم ، الغزالي : ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(3) حديث صحيح ، في صحيح الجامع للألباني ، برقم : ٣٩٨٤ .

وإنما يتنافى مع الاسترسال معه إلى حد التسخط والتبرم بالقضاء . قال ابن حزم - رحمه الله - : ((والبكاء مباح ما لم يكن نَوْحٌ ، فإن النَّوح حرام ، والصياح ، وخمش الوجوه وضربها ، وضرب الصدر ، ونتف الشعر ، كل ذلك حرام ، وكذلك الكلام المكروه الذي هو تسخط لأقدار الله تعالى)) (1) .

وقد دخل رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه (أي في سكرات الموت) ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ : وأنت يا رسول الله ﷺ ؟ ! فقال ﷺ : ((**إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**)) (2) .

وعندما عاد رسولُ الله ﷺ سعدَ بن عبادة وكان مريضًا ، بكى ﷺ ، فلما رأى أصحابه بكاءه بكوا . فقال : ((**ألا تسمعون ؟ إن الله لا يُعذِّبُ بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذِّب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم**)) (3) ، أي : إن قال سوءًا عُذِّب به ، وإن قال خيرًا رُحم به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة مستحب ، وذلك لا ينافي الرضا)) (4) ، بخلاف البكاء عليه جزَعًا وتسخطًا وتبرمًا بالقضاء .

١١ - ٢ : هل شكوى الإنسان إلى الناس ما يجد من الألم والمصيبة تنافي الصبر ؟

للمصاب أن يشكو إلى الناس ما يجد من الألم ، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله غير ساخطٍ أو جزع . قال سفيان بن عيينة : وكذلك من شكا إلى الناس ، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعًا . قالت عائشة - رضي الله عنها - : وارأساه ، فقال رسول الله ﷺ : ((**ذاكِ لو كان وأنا حيٌّ** (أي : لو متِ وأنا حيٌّ) ، **فأستغفر لك وأدعو لك**)) . فقالت عائشة - رضي الله عنها - : واثكْلياه (5) ، والله إني لأظنُّك تحبُّ موتي ، ولو كان ذلك لظللتَ آخِرَ يومِك مُعرِّسًا ببعض أزواجك . فقال النبي ﷺ : ((**بل أنا وارأساه**))

---

(1) المحلى ، ابن حزم : ٥ / ١٤٧ .
(2) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قوله ﷺ ((**إنا بك لمحزنون**)) ، برقم : ١٣٠٣ .
(3) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب البكاء عند المريض ، برقم : ١٣٠٤ .
(4) الفتاوى : ١٠ / ٤٧ .
(5) واثكْلياه : هي كلمة تجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة ، وليس المراد حقيقتها هنا .

[1] ، أي : دَعِي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي .

والخلاصة : أن « مجرد التشكي ليس مذمومًا حتى يحصل التسخط للمقدور ، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربَّه ، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر ، والله أعلم » [2] ، ولا شك أن اشتغال المصاب بذكر الله وحمده والثناء عليه خير له من الشكوى ، وإن كانت ليست على سبيل التضجر .

١١ - ٣ : ماذا يقول المصاب عند المصيبة ؟

يُسَنُّ للمصاب بمصيبة أن يقول ما أخبرنا الله به في كتابه عن عباده المؤمنين المهتدين : ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[3] ، وكذلك يدعو بما ورد في السُّنة من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها** » [4] .

خامسًا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- حفظ حديث أم سلمة في الدعاء عند المصيبة .

٢- عدم الإكثار من الشكوى من معوقات العمل الدعوي ، واستبدالها باقتراحاتٍ مفيدة لتجاوزها وعلاجها .

٣- تحمل أخطاء الصالحين ، وإقالة عثراتهم ، والتودد لهم ، والموازنة بين حسناتهم وسيئاتهم ، وحبس النفس عليهم كما قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ الآية .

٤- الإكثار من قول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » عند وقوع ما تكرهه النفس أو فوات ما تحبه .

٥- تعزية المصاب من الدعاة ، وتذكيره بالله وما أعدّه الله للصابرين ، ومحاولة مساعدته والتخفيف عنه .

٦- محاسبة النفس على تقصيرها في واجباتها ومسؤولياتها ، ومجاهدتها للعمل على سد الخلل ، وتلافي التقصير ، واستدراك النقص .

---

(1) رواه البخاري ، كتاب المرضى ، باب : ما رُخِّص للمريض أن يقول : إني وجع .. ، برقم : ٥٦٦٦ . انظر الفتح : ١٠ / ١٢٥ .
(2) الفتح : ١٠ / ١٢٤ .
(3) سورة البقرة [١٥٦] .
(4) رواه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب : ما يقال عند المصيبة ، برقم : ٩١٨ .

٧- القراءة في كتب السير للاطلاع على أحوال سلفنا الصالح ، ومن الكتب المقترحة كتاب صفحات من صبر العلماء ، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- الصبر في القرآن الكريم ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ .

٢- مدارج السالكين ، ابن القيم ، دار الجيل .

٣- الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم .

٤- خلق المسلم ، الغزالي ، الاتحاد الإسلامي العالمي .

٥- الصبر ، صالح الخزيم ، مكتبة الإيمان .

٦- إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار المعرفة .

٧- وبشر الصابرين ، زياد أبو غنيمة ، دار الفرقان .

٨- صفات الداعية النفسية ، عبد الله علوان ، دار السلام ، ط١ .

٩- صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة ، علوي السقاف ، دار الهجرة ، ط١ .

١٠- موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي .

١١- موسوعة نضرة النعيم ، مجموعة من الباحثين ، دار الرسالة ، ط١ .

١٢- حياة الصحابة ، الكاندهلوي ، بيت الأفكار الدولية .

١٣- طريق الدعوة في ظلال القرآن ، إعداد أحمد فايز .

١٤- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ، عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط٣ .

١٥- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، دار القلم ، ط٢ .

١٦- الكتب الستة ، إشراف ومراجعة : الشيخ صالح آل شيخ ، دار السلام ، ط١ .

١٧- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، مصطفى الخن وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١٥ .

١٨- المنهاج ، هاشم محمد علي ، دار السالم ، ط١ .

١٩- مختصر منهاج القاصدين ، المقدسي ، المكتب الإسلامي .

٢٠- عدة الصابرين ، ابن القيم .

٢١- فصول في الإمرة والأمير ، سعيد حوى .
٢٢- طريق الهجرتين ، ابن القيم ، دار ابن القيم ، ط١ .
٢٣- تكاليف القلب السليم ، محمد صفوت العلي ، مكتبة الصحابة الإسلامية .
٢٤- الزهد ، وكيع الجراح ، مكتبة الدار ، ط١ .
٢٥- المصفى من صفات الدعاة ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة .
٢٦- الاستيعاب في حياة الدعاة ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة .
٢٧- الصبر الجميل ، سليم الهلالي ، دار ابن القيم ، ط١ .
٢٨- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ .
٢٩- المحلى ، ابن حزم ، دار الآفاق الجديدة .
٣٠- مرشد الدعاة ، محمد الخطيب .
٣١- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، ط٢ .
٣٢- الصبر ، مكتبة دار الصحابة .
٣٣- أين نحن من أخلاق السلف ، عبد العزيز الجليل وبهاء الدين عقيل ، دار طيبة ، ط٢ .
٣٤- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، السعدي ، مكتبة دار الأقصى ، ط١ .
٣٥- التربية الذاتية ، هاشم علي أحمد ، دار الأهدل ، ط١ .
٣٦- ثوابت للمسلم المعاصر ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار الإسراء .
٣٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ابن مفلح المقدسي ، مؤسسة قرطبة .
٣٨- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، الأصفهاني ، دار الكتب العلمية .
بالإضافة إلى عشرات المراجع في التفسير والحديث واللغة .. إلخ .

طاعة

الطاعة

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

الطاعة : الانقياد والموافقة – يقال : هو طوع يدك ، أو إرادتك : منقاد لك ، وفرس طوع العنان : سلس المقادة – المطواع : من يسرع إلى الطاعة[1] .

ب - اصطلاحًا :

● قال المناوي - يرحمه الله - : الطاعة هي : كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله .

● وقال ابن علان : هي الامتثال ظاهرًا ، والرضا باطنًا لحكم الله ورسوله ، وما يقوله من دعا إلى ذلك [2] .

● **طاعة الله** :

هي أصل كل طاعة ، وهي التي يترتب عليها ما سواها ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

● **والطاعة في الدعوة** :

طاعة الداعية لإخوانه الدعاة ومشايخه الثقات بالمعروف لما فيه خير في دينه ودعوته ، ودنياه وآخرته . وهي طاعة نابعة من ذات الداعية وإيمانه بضرورة طاعته لإخوانه في نصرة الدعوة ونشرها .. وهذا المفهوم للطاعة هو الذي سيكون محل بحثنا في هذا المصطلح ، وأما طاعة الله ورسوله فسنعرضها - إن شاء الله - في مصطلح العبادة .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- التأصيل الشرعي لطاعة الداعية لإخوانه في ميادين الدعوة .

٢- التأكيد على أهمية الطاعة في الدعوة إلى الله - عز وجل - وكونها ركنًا من أركانها ؛ إذ بدونها تعم الفوضى ، ويتشتت الجمع ،

---

(١) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ص٣٩٧ .
(٢) موسوعة نضرة النعيم : ٧ / ٢٦٧٣ .

وتضعف القوة .

٣- التعرف على ضوابط الطاعة في الدعوة ، وحدودها الشرعية ، وأنها طاعة متبصرة بنور الوحي ، مسترشدة بقواعد الاجتهاد .

٤- التحذير من بعض مظاهر ضعف الطاعة ، وبيان عواقبها على الدعوة والداعية .

٥- عرض صور تطبيقية للطاعة عند سلفنا الصالح لمسؤوليهم في سفرهم وسراياهم ومحاضن تربيتهم .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١- ماذا نعني بالطاعة في مجال الدعوة ؟
٢- أهمية الطاعة في التربية والدعوة .
٣- مشروعيتها .
٤- شروط الطاعة وآدابها .
٥- من آثار ضعف الطاعة على العمل الدعوي .
٦- نماذج من الطاعة .
٧- موهنات الطاعة .
٨- كن مطيعًا بالمعروف .
٩- مسائل في الطاعة .
١٠- صور من الإخلال بالطاعة .

رابعًا : العرض :

١ - ماذا نعني بالطاعة في مجال الدعوة ؟ (راجع دلالة المصطلح).

٢ - أهمية الطاعة في التربية والدعوة :

طاعة الداعية لإخوانه ، وامتثاله لتوجيهاتهم ، وتنفيذه لأوامرهم بالمعروف صفة حميدة ، ومنقبة مجيدة ، بل هي ركن من أركان العمل الدعوي ، وركيزة من ركائزه التي لها الأثر البالغ في قوته وتكامله ، ووحدته ومتانته ، ويمكن أن نشير إلى بعض جوانب أهميتها :

٢ - ١ : شرط النجاح في التربية والدعوة :

طاعة التلميذ لشيخه ، والطالب لمربيه ، والداعية لإخوانه من أكبر أسباب النجاح في التربية والدعوة والتعلم والتعليم ؛ ولهذا اشترط الخضر - عليه السلام - على موسى – عليه السلام – طاعته ، وقد تعهد موسى - عليه السلام - للخضر بأن يكون صابرًا مطيعًا ، لا يعصي له أمرًا . قال الله تعالى

:
﴿ قَـالَ سَـتَجِدُنِي إِن شَـاءَ اللهُ صَـابِرًا وَلاَ أَعْصِـي لَـكَ أَمْـرًا ﴾(١) ، وعنـدما لـم يتحقـق الشـرط بعد ثلاثـة اعتـذارات حصـل الفـراق وانقطـع عـن موسـى - عليـه السـلام - مصدر من مصادر التعلم الذي تجشم المشاق لأجله .

٢ - ٢ : تنظيم الجهود وتحقيق التكامل :

الطاعـة مـن أهـم أسـباب تنظـيم الجهـود والطاقـات ، والمواهـب والملكـات ، وتوزيـع الواجبـات وتحديـد المسـؤوليات ، والتـي هـي عمـاد النجـاح فـي أي عمـل ، ولـك أن تتصـور لـو أن جيشًـا كثيـرًا عـدده قـد انطلـق كـل فـرد فيـه يريـد أن يخطـط لنفسـه ويقاتـل وحـده ، ويضـع نفسـه حيث شـاء ؛ كيـف سـتكون نهايـة هـذا الجـيش العرمـرم ؟ فالداعيـة بطاعتـه لإخوانـه يقـف عنـد الثغـر الـذي يتناسـب مـع مواهبه وقدراته ، فيتحقق بذلك التكامل بين الدعاة .

٢ - ٣ : توحيد الصف ومتانته :

الطاعـة مـن أهـم مقومـات توحيـد الصـف ، وجمـع الشـمل ومتانتـه ؛ حتـى يكـون كالبنيـان المرصـوص ، فـالجميع متعـاونون فـي حمـل الأمانـة ، وكـل فـرد منفذ لما هو مكلف بـه ، قـائم بمـا أوكـل إليـه ، فتنبذ الخلافـات التـي تفـرق القلـوب وتصـدع البنـاء . وقـد سـئل عبـد الله بـن مسـعود : لمـاذا تابعـت عثمـان فـي إتمـام الصلاة في مِنىً وأنت ترى غير ذلك . فقال ﷺ : ((الخلاف شر))(٢) .

٢ - ٤ : وقاية من فتنة الأهواء ومواطن الزلل :

طـاعـة الداعيـة لإخوانـه الـدعاة ومشـايخه الثقـات بـالمعروف ، ولـو كـان فيمـا يخـالف رأيـه واجتهـاده ، حمايـة لـه مـن اتباعـه لهـواه ، ووقايـة لـه مـن مـواطن الزلـل التـي قـد يسـتزله الشـيطان إليهـا ، ((**فـإن الشـيطان مـع الواحـد وهـو مـن الاثنين أبعد**))(٣) .

٢ - ٥ العون على الطريق :

التعاهـد علـى الطاعـة بـين الداعيـة وإخوانـه عـون لـه علـى علـو همتـه ، وأداء واجبـه تجـاه ربـه ونفسـه وأمتـه ، والارتقـاء فـي مـدارج الكمـال والوصـول بـالنفس إلـى أفضـل الخصـال ، ألـم تـر إلـى الـذين بـايعوا رسـول الله ﷺ علـى ألا يسـألوا النـاس شـيئاً ، كيـف كـان ذلـك دافعـاً لهـم للاسـتغناء عـن سـؤال النـاس

---

(١) سورة الكهف [٦٩] .
(٢) كنز العمال : ٤ / ٢٤٢ .
(٣) رواه الترمذي ، كتاب الفتن .

والعفة عن أموالهم ، فكان أحدهم ربما سقط سوطه وهو فوق دابته فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه ، وأولئك الذين بايعوا على الجهاد حتى الموت كيف كان ذلك دافعا لهم على الإقدام والاقتحام ، ولو أطاع التلميذ أستاذه في حفظ مقدار من كتاب الله كل يوم فاستجاب وحرص على طاعته وتنفيذ أوامره ، هل سيكون كذلك لو ترك الأمر لنفسه في فتوره وتكاسله وانشغاله وتشاغله ؟

٢ - ٦ طريق للتمكين والنصر :

الفرقة والمعصية عنوان الفشل والهزيمة ، ولهذا نهى الله عنها وحذر منها فقال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ ﴾[1] . ولقد أخذ الأئمة الخلفاء يؤكدون على أهمية الطاعة للأمر بالمعروف وأنها من أكبر أسباب العز والتمكين ، قال عمر رضي الله عنه : « عليكم بالسمع والطاعة ، فإن الله قضى لهما بالعزة .. وإياكم والمعصية والتفرق ، فإن الله قضى لهما بالذل »[2] . وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الطاعة سببا للعز والنصر ، حيث عاتب أصحابه في خطبة له ، عندما غلب عدو له على اليمن ، قائلاً : « والله ما أرى هؤلاء القوم إلا سيغلبون على ما في أيديكم ، وما ذلك بحق في أيديهم ، ولكن بطاعتهم واستقامتهم لصاحبهم ومعصيتكم لي ، وتناصرهم وتخاذلكم .. »[3] .

٣ - مشروعيتها :

٣ - ١ : الأصل في مشروعيتها قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[4] .

ولكن من المقصود بأولي الأمر منا ؟

كل من كان متبوعاً فهو من أولي الأمر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : و ﴿ **وَأُولِي الأمْرِ** ﴾ أصحاب الأمر وذووه ، وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم ، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة ، وأهل العلم والكلام .

فلهذا كان « **أولو الأمرِ** » صنفين : العلماء ، والأمراء ؛ فإذا صلحوا صلح

---

(١) سورة النساء [٥٩] .
(٢) ابن الجوزى ، مناقب عمر ، ص١٨٥ ، نقلاً عن القيادة التربوية ، ص٣٨٠ .
(٣) المسعودى ، مروج الذهب : ٣ / ٢٨ ، نقلاً عن القيادة التربوية ، ص٣٨٠ .
(٤) سورة النساء [٥٩] .

الناس، وإذا فسدوا فسد الناس . كما قال أبو بكر الصديق ﷺ للأحمسية لما سألته :

((ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح ؟)) . قال : ((ما استقامت لكم أئمتكم)) .

ويدخل فيهم : الملوك والمشايخ ، وأهل الديوان ، وكل من كان متبوعا : فهو من أولي الأمر .

وعلى كل واحد من هؤلاء : أن يأمر بما أمر الله به ، وينهى عما نهى الله عنه ، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته : أن يطيعه في طاعة الله ولا يطيعه في معصية الله . كما قال أبو بكر الصديق ﷺ حين تولى أمر المسلمين وخطبهم ، فقال في خطبته : ((أيها الناس ، القوي فيكم ضعيف عندي ، حتى آخذ منه الحق . والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى آخذ له الحق ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم))(١) .

٣ - ٢ : وفي السنة ، أمر رسول الله ﷺ أمته بتولية ولاة الأمور عليهم في الأمر العارض المؤقت ، فضلاً عن غيره مما هو أكبر منه فقال ﷺ : ((**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم**))(٢) . وأمير السفر كغيره واجب الطاعة ما دام يأمر بالمعروف ، وإلا لما كان لإمارته فائدة . ولهذا قال عمر ﷺ : ((لا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة))(٣) .

والحديث السابق رواه أبو داود من طريق نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا ، قال نافع : فقلنا لأبي سلمة : ((فأنت أميرنا)) ، وجاء في شرحه : ((أنه إذا كان جماعة وأقلها ثلاثة فليؤمّروا أحدهم ، أي فليجعلوا أحدهم أميراً عليهم))(٤).

ويقول ﷺ : ((**لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا أحدهم**))(٥) .

فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يُولّى أحدهم ، كان هذا تنبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك .

ويقول ابن تيمية في كتاب السياسة الشرعية :

((يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا

---

(١) الحسبة ، ابن تيمية ، (ص٧٠ ، ٧١) . وانظر أيضًا : الإدارة في الإسلام ، الدكتور أحمد إبراهيم أبو سنة ، ص٦١ .
(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٨) ، وحسنه الألباني في المشكاة (٣٩١١) .
(٣) الدارمي : ١ / ٧٩ .
(٤) عون المعبود ، شرح سنن أبي داود : ج ٧ / ٢٦٧ .
(٥) السنن الإلهية ، لعبد الكريم زيدان : ص١٥٥ – ١٥٧ .

قيام للدين إلا بها . فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس)) . ويذكر الحديثين السابقين ، ثم يعلق عليهما فيقول :

((فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ، تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع))[1] .

وقد قال ﷺ لمعاذ وأبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما - عندما بعثهما إلى اليمن : ((**يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا**))[2] .

٣ - ٣ : العقل :

فالعقل السليم يوجب الطاعة على الأفراد لمسؤولهم ، والاتباع لأميرهم ؛ إذ بدونها تعمّ الفوضى ، ويتشتت الجمع ، وتهدر الجهود ، ولك أن تتصور لو أن التلاميذ قد رفضوا طاعة معلمهم ، والمعلمين أبَوا طاعة مديرهم ، والأبناء عقوا والدهم ، والزوجة رفضت قوامة زوجها وطاعتها له ، والمأموم تكبر على إمامه في الصلاة فسابقه أو تأخر عنه ، وصاحب السيارة رفض أن ينصاع لقوانين المرور وتنظيم السير .. إن الأمر سيتحول إلى فوضى لا تطاق ، ومفسدة واسعة النطاق .. فكيف بأصحاب الدعوة الذين يريدون إيقاظ الأمة ومجاهدة الأعداء ، وتحكيم شريعة السماء ؛ هل سيحققون أهدافهم فرادى لا طاعة لأحد منهم للآخر ؟ !

٤ - شروط الطاعة وآدابها :

قد جعل الإسلام للطاعة قيودًا ، ووضع لها شروطًا لتؤتي ثمارها ، وتحقق أهدافها ومنها :

٤ - ١ : أن تكون بالمعروف :

ولقد توافرت النصوص على التأكيد على هذا الشرط ، فلا طاعة لأحد في معصية الله ، وقد أمر الله بطاعة الوالدين وقرنها بالأمر بعبادته وحده ، وعدم الإشراك به لعظم أمرها ، ومع هذا فلا طاعة لهما في معصية الله . قال الله تعالى :
﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا** ﴾[3] فلا طاعة لمن لم يطع الله في أمره ونهيه . وقال ﷺ : ((**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب**

---

[1] الفتاوى : ٢٨ / ٣٩٠ ، وانظر الممرات : ٣ / ٤٠ - ٤١ ، وللتوسع انظر أصول العمل الجامعي ، ص٤٤ – ٤٦ .
[2] رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب ، رقم : ٣٠٣٨ .
[3] سورة العنكبوت [٨] .

وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[1] .

٤ ـ ٢ الوعي والفهم :

لابـد أن تكـون الطاعـة مبصـرة للأمـر والنهـي ، مـن حيـث حكمـه الشـرعي وموقعـه مـن الحـل والحرمـة ، وكـذلك المـراد بـالأمر أو النهـي وإدراك أبعـاده وغايتـه . أمـا معرفـة الحكـم الشـرعي فهـو ضـروري لحمايـة جنـاب شـرط الطاعـة الأكبـر وهـو الطاعـة بـالمعروف ، وأمـا فهـم المـراد بـالأمر أو النهـي فلكـي تتحقـق الغايـة مـن الأمـر أو النهـي وتحصـل الثمـرة ونـدرأ الاخـتلاف أيضًـا ، كمـا حصـل للصـحابة عنـدما اختلفـوا فـي فهمهـم لأمـر الرسـول ﷺ لهـم فـي قولـه : ((**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**)) ؛ هـل المـراد بـه السـرعة فـي التحـرك والمسـير أم المـراد بـه ظـاهر اللفظ ، وهو ألا يصلي أحد العصر إلا عندما يصل إلـى حيث أشـار ولـو غابـت الشـمس ؟ ! ولهـذا فـإن عليًّـا رضي الله عنه لمـا أشـكل عليـه أمـر رسـول الله ﷺ لـه يـوم خيبـر ، فقـال علـي : يـا رسـول الله ، أقـاتلهم حتـى يكونـوا مثلنـا ؟ فقـال : ((**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**))[2] ، فاتضـحت لـه الغايـة مـن الأمـر والخطـوات المطلوبـة لتنفيـذه وتحقيـق الهـدف . ولأهميـة الإنصـات للأمـر وفهمـه قـرن السـمع بالطاعـة فـي نصـوص الأمـر بطاعة الأمير ؛ للتأكيد على معنى الإنصات والفهم والاستيعاب .

٤ ـ ٣ : الإخلاص والتجرد :

ينبعـث الداعيـة فـي طاعتـه لأميـره أو إخوانـه مـن حبـه لله ـ عـز وجـل ـ وإخلاصـه لـه ، وحرصـه علـى دعوتـه ، واهتمامـه بوحـدة المسـلمين وتكـاتفهم ، فهـو متجـرد فـي طاعتـه مـن الأهـواء النفسـية والمصـالح الشخصـية ؛ ولهـذا فـإن طاعتـه لإخوانـه لا يسـقطها كرهـه لمـا أُمـر بـه مـا دام قـد أُمـر بطاعـة الله بمعـروف . وقـد قـال ﷺ : ((**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**))[3] . قـال العلمـاء : ((معنـاه تجـب طاعـة ولاة الأمـور فيمـا يشـق وتكرهـه النفـوس ، وغيـره ممـا لـيس بمعصـية))[4] ؛ ولهـذا ((لا يجـوز أن يكـون هـوى الـنفس ميزانًـا للطاعـة ، مـا أحبـه الفـرد سـارع إلـى طاعتـه ، ومـا كرهـه تباطـأ فـي طاعتـه أو عصـاه ، فهـذه

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية .
(2) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، برقم : ٤٢١٠ .
(3) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية .
(4) شرح صحيح مسلم للنووى : ج ١٢ / ٢٢٤ .

الطاعة الاستهوائية لا تكفي لبراءة ذمة الفرد من واجب الطاعة .. ولا بقاء لها لأنها مبنية على هوى النفس وهو لا بقاء له ولا استقرار)) [1].

٤ ـ ٤ : سرعة التلبية :

من أركان الطاعة : إنفاذ الأمر في وقته المحدد ؛ فالتأخر عنه بالتثاقل والتردد والتباطؤ والتلكؤ يفقد الأمر قيمته ويضيع ثمرته في أحيان كثيرة ؛ وكم من الفرص التي ضاعت في ميدان الدعوة كان السبب وراء ضياعها تثاقل داعية أو تباطؤه عما أمر به .

٤ ـ ٥ : تحري الدقة في التنفيذ :

وكما أن الالتزام بالوقت مهم في الطاعة ، فإن الدقة في التنفيذ هي الأخرى مطلوبة ولابد منها ؛ ولهذا فإن القاعدة الدعوية تقول : ((لا اجتهاد بعد اتفاق)) . فاجتهاد الداعية بعد اتفاقه مع إخوانه الدعاة ، مخالفًا لما اتفق معهم عليه لغير مسوّغ ظاهر ، يخل بالطاعة ، وهو اجتهاد في غير موضعه ؛ ولك أن تتأمل لو أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اجتهد بخلاف ما أمره الرسول ﷺ يوم بعثه يوم الأحزاب ليأتيه بخبر القوم . وقال ﷺ له : ((**اذهب فائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ**)) (معناه : لا تفزعهم علي) ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام (يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ، وهذا ببركة النبي ﷺ ودعائه له ؛ لأن الريح كانت باردة شديدة) ، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار (أي يدفئه ويدنيه منها) ، فوضعت سهماً في كبد القوس ، فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول ﷺ : ((**ولا تذعرهم علي**)) ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام . فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت ، قُرِرْتُ (أي : بردت) ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها . فلم أزل نائماً حتى أصبحت(أي طلع الفجر) ، فلما أصبحت قال :((**قم يا نومان**))(أي كثير النوم)) [2]. فانظر كيف التزم حذيفة بأمر الرسول ﷺ حين قال له : ((**ولا تزعرهم عليَّ**)) ، فألغى اجتهاداً بدا له – وهو قتل أبي سفيان ؛ لأنه مخالف لما أمر به . ولو قتله مراعاة للمصلحة القريبة لترتب على ذلك مفاسد عظيمة : كتأليب القوم ، وزيادة حنقهم ، وطلبهم للثأر

[1] الفرد والدولة ، عبد الكريم زيدان ، ص ٥٥ .
[2] رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب ، برقم : ١٧٨٨ .

لقائدهم ، وستطول فترة حصارهم للمسلمين ؛ ولعل هذا بعض ما عناه النبي ﷺ في قوله : ((ولا تـذعرهم عليَّ)) . وكثير من الاجتهادات الفردية التي يخالف فيها الداعية إخوانه لمصلحة يراها قريبة ، يترتب على اجتهاده المخالف من المفاسد العظيمة ما يعوق الدعوة لسنوات طويلة .

٥ - من آثار ضعف الطاعة على الدعوة والتربية :

٥-١ : التسيب في تنفيذ الأعمال ، والتقصير في أداء المسؤوليات ، والتفريط في الواجبات .

٥-٢ : كثرة الاختلافات وتعقد المشكلات .

٥-٣ : الفوضى في توزيع الجهود ، وهو ما يؤدي إلى إهدار الطاقات وعدم التكامل في العمل .

٥-٤ : ضعف القوة ، بسبب التنازع والتنافر .

٥-٥ : غلبة الأهواء ، وسيطرة المزاجية والعاطفية .

٥-٦ : الفشل والهزيمة : فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [١] . وقد كانت هزيمة أحد بسبب مخالفة الرماة لقول النبي ﷺ [٢] .

٦- نماذج من الطاعة :

هذه نماذج من طاعة السلف الصالح لقادتهم وأمرائهم ، ولو كان الأمر على خلاف ما يرونه أو ما تشتهيه أنفسهم ، وهي تعكس أيضًا إخلاصهم وتجردهم وابتغاءهم مرضاة الله - عز وجل - وإعزاز دينه ونشر دعوته .

٦ - ١ : طاعة مبصرة :

عن علي رضي الله عنه قال : ((بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه . فغضب . فقال : أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى . قال : فاجمعوا لي حطبًا . فجمعوا . فقال : أوقدوا نارًا ، فأوقدوا . فقال : ادخلوها . فهمُّوا . وجعل بعضهم يُمسك بعضًا ، ويقولون : فررنا إلى النبي ﷺ من النار . فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه . فبلغ النبي ﷺ فقال : ((**لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، والطاعة في المعروف**)) [٣] .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - مبينًا بعض فوائد الحديث : ((وفيه أن

---

(١) الأنفال [٤٦] .
(٢) الفتح : ٦ / ١٦٣ .
(٣) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : سرية عبد الله بن حذافة السهمي ، برقم : ٤٣٤٠ .

الأمـر المطلـق لا يعـم الأحـوال ؛ لأنــه ﷺ أمـرهم أن يطيعـوا الأميـر ، فحملـوا ذلـك علـى عمـوم الأحـوال ، حتـى فـي حـال الغضـب وفـي حـال الأمـر بالمعصـية ، فبـين لهـم ﷺ أن الأمـر بطاعتـه مقصـور علـى مـا كـان منـه فـي غيـر معصـية .. واسـتنبط الشـيخ أبـو محمـد ابـن أبـي جمـرة : أن الجمـع مـن هـذه الأمـة لا يجتمعـون علـى خطـأ لانقسـام السـرية قسـمين : مـنهم مـن هـان عليـه دخـول النـار فظنـه طاعـة ، ومـنهم مـن فهـم حقيقـة الأمـر وأنـه مقصـور علـى مـا لـيس بمعصـية ، فكان اختلافهم سببًا لرحمة الجميع))(١) .

٦ - ٢ : أدب الامتناع ولباقة الاستئذان :

كتـب أميـر المـؤمنين عمـر رضي الله عنه إلـى أبـي عبيـدة حـين سـمع بالطـاعون الـذي أخـذ النـاس بالشـام : ((إنـي قـد بـدت لـي حاجـة إليـك فـلا غنـى بـي عنـك فيهـا ، إذا أتـاك كتـابي لـيلاً فـإني أعـزم عليـك أن تمسـي حتـى تركـب إلـيّ)) . فقـال أبـو عبيـدة : ((قـد علمـتُ حاجـة أميـر المـؤمنين التـي عرضـت ، وإنـه يريـد أن يستبقي من ليس بباق)) ؛ فكتب إليه : ((إنـي فـي جنـد مـن المسـلمين لـن أرغـب بنفسـي عـنهم ، وإنـي قـد علمـت حاجتـك التـي عرضـت لـك ، وأنـك تسـتبقي مـن لـيس ببـاق ؛ فـإذا أتـاك كتـابي هـذا فحللنـي من عزمتك ، وائذن لي في الجلوس)) (١).

فلمـا قـرأ عمـر كتابـه فاضـت عينـاه وبكـى ، فقـال لـه مـن عنـده : ((يـا أميـر المـؤمنين ، مـات أبـو عبيـدة ؟ قـال : ((لا ، كـأن قـد)) . قـال : فكتـب إليـه عمـر : ((إن الأرض أرضـك ، وإن الجابيـة أرض نزهـة (أي بعيـدة عـن الوبـاء - وهي قرب دمشـق) فـاظهر بالمهـاجرين إليهـا)) . قـال أبـو عبيـدة حـين قـرأ الكتـاب : ((أمـا هذا فنسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه)) (٢) .

قلـت : وفـي امتنـاع أبـي عبيـدة عـن الخـروج مـن دمشـق أن النبـي ﷺ نهـى إذا وقـع الطـاعون فـي بلـد أن يخـرج منـه أو يـدخل فيـه . كمـا أنـه طلـب منـه الإذن في الجلوس ، وهذا من أدبه ، رضي الله عنهم أجمعين .

٦ - ٣ : طاعة .. ولو كان الأمير امرأة ! :

عنـدما وصـل كتـاب عـزل خالـد بـن الوليـد عـن الإمـارة ، وتوليـة أبـي عبيـدة - رضـي الله عنهمـا - كـتم أبـو عبيـدة أمـر الكتـاب عـن المسـلمين حتـى تسـتقر أوضـاع الحـرب ، فلمـا هـدأت ، قـرأ أبـو عبيـدة كتـاب أميـر المـؤمنين عمـر بـن

(١) فتح الباري : ٨ / ٦٠ .
(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ج ١١ / ٢٧٣ ، نقلاً عن موسوعة عظماء حول الرسول ، ج ١ / ٣٨٤ – ٣٨٥ .
(٢) موسوعة عظماء حول الرسول : ج١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ .

الخطــاب وفيــه عــزل خالــد ، فقــال خالــد لأبــي عبيــدة : ((يرحمــك الله ، مــا منعــك أن تعلمنــي حــين جــاءك ؟ فقــال : إنــى كرهــت أن أكســر عليــك حربــك ، ومــا سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، ومـا تـرى سيصـير إلـى زوال وانقطـاع ، وإنمـا نحـن إخـوان ومـا يضـر الرجـل أن يليـه أخـوه فـي دينـه ودنيـاه)) [1] . قـال خالـد وقـد امتثـل الأمـر : ((والله لـو أمّـر علـي أميـر المـؤمنين امـرأة لسـمعت وأطعت))[2] .

٧ - من معوقات الطاعة :

وهـي كثيـرة ، منهـا مـا يتعلـق بـالفرد نفسـه ، ومنهـا مـا يتعلـق بـالمربي أو الأمير الذي قد تكون بعض أوامره تحمل فـي طياتهـا أسـباب عصـيانها والنفـور منهـا ، أو تكـون ثقـة الاتبـاع ضـعيفة مهـزوزة ، والحـديث عـن هـذا النـوع سـنرجئه إلـى كتاب القائد ، وسنقصر الحديث على ما يتعلق بالفرد نفسه .

٧ - ١ : المزاجية والهوى :

فمـن أكبـر أسـباب ضـعف صـفة الطاعـة فـي نفـوس بعـض الـدعاة لإخـوانهم هـو المزاجيـة أو اتبـاع أهـواء الـنفس وشـهواتها ؛ ولهـذا فطـاعتهم لا تكـون إلا فـي منشـطهم وفيمـا يحبـون ويشـتهون ، أمـا إذا كـان الأمـر يتعلـق بمـا تكرهـه النفـوس مـن العمـل الجـاد والبـذل ، والتضـحية ، فالتثاقـل والتكاسـل والبحـث عـن مسـوغات القعـود بالنقـد غيـر الهـادف وغيـر الصـادق ، والجـدال المـذموم ؛ ((**والعـاجز مـن أتبـع نفسـه هواهـا وتمنى علـى الله الأمـاني**)) .

٧ - ٢ : الكبر :

فـالكبر آفـة تعيـق المـرء أن يسـلم زمـام أمـره لأميـره ، وتدفعـه ليقـول : ((أنـا خيـر منـه ، و﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ** ﴾[3])) ، ويحجبـه كبـره عـن رؤيـة المصـالح العظيمـة المترتبـة علـى انضـباطه وطاعتـه ، والتزامـه وعـدم مخالفتـه ، ويحبـب إليـه المـراء ولـو أدى إلـى الشـقاق ، ويـزين إليـه النـزاع ولـو أدى إلـى الافتـراق ، وقـد يتكبـر أن يتـأمر عليـه مـن هـم أحـدث منـه سـنًّا أو هجـرة ، أو أقـل منـه علمًـا وخبـرة ، وينسـيه كبـره أن النبـي ﷺ قـد عقـد اللـواء لأسـامة بـن زيـد رضي الله عنه أميـرًا علـى جـيش فيـه أبـو بكـر وعمـر وكبـار الصـحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - فأطاعوه وانقادوا له .

---

(1) البداية والنهاية : ج ٢ / ٢٣ .
(2) مشكلات الدعوة والداعية ، ص٨٦ .
(3) سورة البقرة [٢٤٧] .

٧ - ٣ : الفتور (ضعف الإيمان) :

الطاعة للأمير أو المربي منبعها وأساسها طاعة الله - عز وجل - فما أطاع الداعية إخوانه إلا لأنه يريد مرضاة الله والتقرب إليه ؛ ولهذا فإذا ضعف الإيمان وهنت الطاعة ، وبدأ التفلت منها والتقاعس عنها ، ومن باب أولى ما يترتب عليها من الطاعة للمخلوقين والاستجابة لأوامرهم وتوجيهاتهم ..

ولهذا كان من أبرز مظاهر الفتور وضعف الإيمان عند الداعية اعتذاره عن مسؤولياته ، وتقصيره في بعض واجباته ، بل ومحاولة خلق الاعتذارات المهزوزة ، والمسوغات المكذوبة التي يسوغ بها القعود ، ويعتذر بها عن التقصير .

٧ - ٤ : كثرة الاعتذار :

من الاعتذارات ما يُتخذ وسيلة للعصيان ، ويفتح بابًا للتخلص من المسؤوليات والتخلي عن أداء الواجبات ، وهو سبيل قد سلكه ضعاف الإيمان للتخلص من تبعات الجهاد ، فقالوا ما أخبرنا الله به : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١) .

قال سيد - يرحمه الله - : « فالمخلفون من الأعراب سيقولون اعتذارًا عن تخلفهم : ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ . وليس هذا بعذر ، فللناس دائمًا أهل وأموال ، ولو كان مثل هذا يجوز أن يشغلهم عن تكاليف العقيدة وعن الوفاء بحقها ، ما نهض أحد قط بها » (٢).

٧ - ٥ : الإعجاب بالرأي :

وهذا مرض آخر من أمراض العصيان ، يحمل صاحبه على تقديس رأيه وإلباسه لبوس العصمة من الخطأ ؛ ولهذا فعلى الجميع التزامه وترك ما عداه ؛ لأن ما سواه - بظنه - باطل لا يحتمل الصواب ، فإذا كان رأي مربيه بخلاف رأيه ابتدأ بالجدال والمراء الذي لا يستند إلى دليل واضح ، والذي ينتهي - غالبًا - إلى عصيان .

٧ - ٦ : الجدال والمراء :

---

(١) سورة الفتح [١١] .
(٢) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٣٢١ .

مـن صـور ومظـاهر العصـيان كثـرة الجـدال والمـراء للمربـي حـول الأمـر الـذي أمـر بـه ، فيجعـل الجـدال والمـراء مسـوِّغًا للقعـود عـن الطاعـة ، ولـيس وسـيلة للوصـول إلـى فهـم المـراد بـالأمر والتأصـيل الشـرعي لـه . وهـذا النـوع مـن الجـدال يقسِّـي القلـوب ، ويهـدر الجهـود والأوقـات ، ويـؤخر العمـل ، ويثيـر الفتن .

قـال عبـد الله بـن مسـعود رضي الله عنه : ((ذروا المـراء فإنـه لا تـؤمن فتنتـه))(١) . وقـد ورد الحـث علـى تـرك المـراء عـن المصـطفي ﷺ فقـال : ((**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا**))(٢) ، وقـال عليـه أفضـل الصـلاة والسـلام : ((**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**))(٣) .

٨ ـ كن مطيعًا بالمعروف :

هنـاك أسـباب تعـزز مفهـوم الطاعـة فـي قلـب الداعيـة ، وتزيـد مـن اسـتجابته لإخوانـه فـي الـدعوة ، وإقدامـه علـى مـا كلـف بـه ، وأدائـه لمـا وُكِـلَ إليـه فـي منشطه ومكرهه ، ومن هذه الأسباب :

٨ ـ ١ : تذكر الأجر :

استحضـار الداعيـة لأجـر مـن أطـاع أميـره بـالمعروف ومثوبـة مـن تعـاون مـع إخوانـه علـى البـر والتقـوى ، وذلـك بـالتزام توجيهـاتهم ، والقيـام بحقهـم وأداء الواجبـات المناطـة بـه فـي الـدعوة إلـى الله ، والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ؛ ليكـون فـردًا مـن تلـك الأمـة التـي قـال الله فيهـا : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(٤) . وقـد قـال ﷺ : ((**مـن أطـاعني فقـد أطـاع الله ، ومـن عصـاني فقـد عصـي الله ، ومـن أطـاع الأمـير فقـد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني**))(٥) .

٨ ـ ٢ : كن مطواعًا :

تنــازل عــن رأيـك واجتهــادك مــن أجـل جمــع الكلمــة وتوحيـد الصــف ، ((ولـيس المقصـود بهـذا التنـازل الرجـوع عـن حـق صـريح واضـح (إلـى باطـل لا

(١) الإحياء : ٣ / ١٧٥ .
(٢) رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق ، برقم : ٤٨٠٠ ، وهو في الصحيحة للألباني ، برقم : ٢٧٣ .
(٣) رواه البخاري ، كتاب الأحكام ، باب ٣ ، برقم : ٧١٨٨ .
(٤) سورة آل عمران [١٠٤] .
(٥) رواه البخاري .

شك فيه) ؛ وإنما هو لِينُ جانبٍ حينما يكون الاختلاف بين الحسن والأحسن ، أو إرجاء المناظرة في الأمر المختلف فيه ؛ إبقاءً على المودة ، وإيثارًا لصفاء القلب))(١) . فالداعية طيع لين ، سهل القياد لإخوانه الثقات . وقد أوصى رسول الله ﷺ بهذا الخلق الشريف الكريم معاذًا وأبا موسى الأشعري قبل أن يبعثهما إلى اليمن فقال لهما : ((**وتطاوعا ولا تختلفا**))(٢) .

٨ - ٣ : انبذ الاختلاف :

بعض الناس يحرص على الاختلاف والمخالفة من باب ((خالف تُعرف)) ، وليس هذا من خلق الداعية المخلص ، الذي يؤثر مصلحة الدعوة وسلامة الصف وتواصل القلوب على أن يصرَّ على اجتهاد يراه أو فتوى اقتنع بها ، هناك في الساحة من يفتي بخلافها .

وقد ذكر ابن حجر أن عمر وعليًّا - رضي الله عنهما - كانا يفتيان بألا تباع أم الولد ، فقال عبيدة لعليٍّ رضي الله عنه : ((رأيك ورأي عمر في الجماعة أحبُّ إليَّ من رأيك وحدك في الفرقة))(٣) ، فتراجع عليٌّ عن فتواه وقال : ((اقضوا كما كنتم تقضون ، فإني أكره الاختلاف)) . ونبذ الخلاف مقدم على الإصرار على تثبيت رأي أو وجهة نظر اجتهادية ، وأما الحق المقطوع فيه فيقدر الداعية الحكيم على إيصاله بحكمته ، بعيدًا عن المشاجرة والخصومات (٤) .

٨ - ٤ : اعرض عن مجالس القاعدين :

من أكثر المجالس شغبًا على الدعوة والدعاة تلك هي مجالس القاعدين من غير أولي الضرر الذين يسوغون لقعودهم بالنقد المتسيب الذي لا يُصلح خطأ ولا يرتق خرقًا ، بل على العكس يبث الشبهات ويوهن العزائم والقناعات ، ويعوق على بعض العاملين مسيرتهم ؛ لأنهم سينشغلون في علاج بعض مفاسده ، والرد على بعض شبهاته ومطاعنه ؛ لهذا في دعاء بعض السلف أن يهيئ الله - عز وجل - له صحبة الأخيار العاملين ، والدعاة المخلصين . وقد ورد عن علقمة أنه حين قدم الشام غريبًا دعا : ((اللهم يسر

---

(١) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، ص٢٥١ .
(٢) رواه البخاري ، كتاب الاجتهاد ، باب ١٦٤ ، برقم : ٣٠٣٨ ، الفتح : ج ٦ / ١٢٦ .
(٣) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ٩ ، برقم : ٣٧٠٧ . انظر شرح الحديث في الفتح : ٧ / ٧١ .
(٤) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، ص٢٥٢ .

لـي جليسًا صـالحًا))[1] ؛ ((لأن الجليس الصـالح يـذكرك إذا غفلـت ، ويعينـك إذا ذكرت))[2] .

٩ - مسائل في الطاعة :

٩ - ١ : ما حدود طاعة الأمراء وولاة الأمر ؟

الجـواب : قـد وردت الإجابـة علـى هـذا السـؤال فـي بحـث شـروط الطاعـة وآدابهـا ، ولكـن لا بـأس بالتـذكير بـبعض مـا ورد فيقـال : ((لا تكـون الطاعـة إلا فــي المعــروف ، فهــي ليسـت طاعــة عميـاء ترتكـز علــى الجهـل والعصـبية ومعصـية الله والرسـول .. بـل هـي طاعـة مبصـرة راشـدة واعيـة ترتكـز علـى مـا يأمر به الشرع ، ويحقق مصلحة الدعوة والإسلام .

روى الشـيخان وغيرهمـا عنــه - صـلوات الله وسـلامه عليــه - : ((**السـمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**))[3] .

فأيمـا أمير حـاول زج مـن معـه فـي أمـر لا يتفـق مـع قواعـد الشـرع والعقـل ، فــأمره مــردود عليــه . يقــول ﷺ : ((**عليـك بالسـمع والطاعـة في عسـرك ويسـرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**))[4] .

قـال العلمـاء : معنـاه تجـب طاعـة ولاة الأمـور فيمـا يشـق وتكرهـه النفـوس ، وغيـره ممـا لـيس بمعصـية ، فـإن كانـت لمعصـية فـلا سـمع ولا طاعـة كمـا صـرحت الأحاديـث . والأثـرة هـي الاسـتئثار والاختصـاص بـأمور الـدنيا علـيكم ، أي : اسـمعوا وأطيعـوا وإن اخـتص الأمـراء بالـدنيا ولـم يوصـلوكم حقكـم ممـا عندهم[5][6] .

٩ - ٢ : ما مفهوم المعصية التي لا يُطاع الأمير فيها ؟

المعصـية التــي لا يُطـاع فيهـا الأميـر إذا أمـر بهـا هـي التـي عليهـا دليـل شـرعي واضـح صـريح ، لا يحتمـل التفسـير بـأكثر مـن وجـه ، ولا الاجتهـاد فـي مدلولــه : كـدخول النـار التــي أمـر أميـر السـرية أتباعـه بـدخولها ؛ لأن الـدخول

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ٢٠ الحديث برقم ٣٧٤٣ ، الفتح : ٧ / ٩١ نقلاً من : هذه أخلاقنا ، ص٢٥٩ .
(٢) هذه أخلاقنا ، ص (٢٥٩ – ٢٦٠) .
(٣) عقبات في طريق الدعاة (٢) : ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) شرح النووي : ج ١٢ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٦) انظر من ركائز الدعوة ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

في النار قتل للنفس ، وقتل النفس لا يجوز قطعًا ، أما في الأمور الاجتهادية فطاعته فيها واجبة ؛ إذ لا معصية في اختيار الأمير رأيًا دون رأي فيما يجوز الاجتهاد فيه(١) .

٩ - ٣ : الطاعة في الأمور الخلافية :

« ماذا لو أمر الأمير من معه بأمر فيه خلاف فقهي بين العلماء ، وكان البعض يرى خلاف ما رأى أميره ؛ فهل يسوغ لهم أن يخالفوه في هذا ؟

إن الخلاف الفقهي أمر واقع ما له من دافع ، فأدلة الشرع في كثير من فروع الدين جاءت على هيئة موسعة ، تحتمل الاستدلال بأكثر من وجه ، وهذه طريقة الشرع في المسائل التي تتصل بحياة الناس في بيئات شتى ، فيجعل حدًّا أدنى يلزم به ويترك ما فوقه موسعًا تتفاوت فيه عزائم المؤمنين .

فإذا اختلف الأفراد فيما بينهم ، وكان رأي الأمير يتفق مع البعض ويخالف البعض ، فينبغي لأصحاب الرأي الآخر أن يلتزموا بأمر أميرهم ما دام الأمر خلافيًّا ويتسع لأكثر من رأي ؛ حتى تجتمع كلمة الجميع ولا يتفرقوا .

فالالتزام بأمر الأمير أوجب من ترك الأفضل وفعل المفضول ، وينبغي أن يُبدي كل فرد رأيه في حرية تامة ، فإذا استقر الأمير بعد سماع من حوله على رأي معين ، وكان هذا الرأي مخالفًا للبعض ، وجب على هؤلاء الالتزام بهذا الرأي ، بل والدفاع عنه أمام الناس »(٢) .

١٠ - صور من الإخلال بالطاعة :

هناك صور إذا ظهرت على المرء دلت على إخلاله بالطاعة لشيخه ومربيه وقلة اكتراثه بأوامره وتوجيهاته ، ونظرًا للآثار السلبية المترتبة على هذه الصور كان لابد من التنبيه عليها والتحذير منها :

١٠ - ١ : التقصير في الواجبات والإخلال بالمسؤوليات :

فإذا كلف بأمر من أمور الدعوة فرط فيه وتكاسل في إتمامه أو تأخر عن إنجازه ، وجاء بأعذار يبالغ فيها ، حتى ربما ارتقت إلى درجة الكذب ؛ ليستر هذا التفريط عن الرقيب من الخلق دون استشعار لمراقبة الخالق .

١٠ - ٢ : التأخر عن المواعيد :

فهو من آخر القوم حضورًا ، وربما كان من أولهم استئذانًا للخروج ،

(١) السنن الإلهية ، ص ١٥٩ .
(٢) من ركائز الدعوة : ص (٩٣ - ٩٤) .

وأحيانًا يكون التزامه بالموعد بحسب المزاج ونوع العمل المراد حضوره من أجله : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ [١] .

١٠ - ٣ : كثرة المراجعات :

لا بأس بالسؤال والمراجعة من أجل مزيد من الفهم والإدراك لطبيعة الواجب المأمور به ، والمسؤولية المراد أداؤها ، ولكن تكثر الأسئلة والمراجعات حتى تصبح وسيلة للتشاغل عن العمل ، وطريقًا للتملص منه ، كما راجع بنو إسرائيل موسى - عليه السلام - في مسألة البقرة .

١٠ - ٤ : الاعتذارات المبالغ فيها أو المكذوبة :

وقد سبق الحديث عنها ، وهي صفة من صفات أهل النفاق للتملص من الطاعة وإلباس المعصية لبوسًا مقبولاً : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[٢][٣] .

١٠ - ٥ : الطعن في الأمير :

من صور الإخلال بالطاعة نقد الأمير بغير وجه حق ، والادعاء بأنه غير مناسب ولا يستحق الإمارة ، وجعل ذلك مسوغًا لمعصيته ، وعدم الاكتراث بتوجيهاته .

خامسًا : بعض التطبيقات العملية لتأكيد معاني الدرس :

١- المحافظة على المواعيد ، والتأكيد على الحضور في الوقت المحدد دون تأخر عنه .

٢- أداء الواجبات والقيام بالمسؤوليات على أكمل وجه حسب الاستطاعة .

٣- عدم الاعتذار عن حضور اللقاءات أو القيام بالواجبات إلا في الظروف القاهرة ، مع إحاطة الداعية للمربي بعذره .

٤- المشاركة الفاعلة في المناشط ، والإفادة مما يعرض فيها من برامج تربوية وموضوعات إيمانية .

٥- الالتزام بتوجيهات المربي أو الشيخ ، مع الالتزام بأدب المراجعة والاعتراض إذا احتاج الأمر لذلك .

---

(١) التوبة [٤٢] .
(٢) التوبة [٤٩] .
(٣) من ركائز الدعوة ، ص (٩٣ - ٩٤) .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- مشكلات الدعوة والداعية ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ط١٤٠١هـ .
٢- أصول العمل الجماعي (القسم الأول) عبد الرحمن عبد الخالق ، دار التجديد ، ط / ١.
٣- شرعية العمل الجماعي وضرورته ، عصام البشير ، دار النذير ، ط١ .
٤- السنن الإلهية ، د . عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ .
٥- واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة الصحفية ، ط١ .
٦- ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ، عدنان النحوي ، دار الإصلاح .
٧- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ، المؤسسة الإسلامية .
٨- القدوة الصالحة ، حسني أدهم جرار ، دار الضياء ، ط١ .
٩- بين العمل الفردي والعمل الجماعي ، عبد الله علوان ، دار السلام ، ط١ .
١٠-القيادة التربوية في الإسلام ، مفيدة محمد إبراهيم ، مجدلاوي للكتب ، ط١ .
١١-الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ، الدكتور صادق أمين .
١٢-الإدارة في الإسلام ، أحمد إبراهيم أبو سن ، دار الخريجي ، ط١ .
١٣- فقة الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية ، عدنان النحوي ، دار النحوي ، ط١ .
١٤-ممرات الحق ، رائد عبد الهادي .
١٥-الطريق إلى جماعة المسلمين ، حسين جابر ، دار الدعوة ، ط١ .
١٦-أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، مكتبة المنار الإسلامية ، ط٣ .
١٧-الابتلاءات والمحن في الدعوات ، محمد أبو فارس ، دار الفرقان ، ط٢ .
١٨-مع قصص السابقين في القرآن ، صلاح الخالدي ، دار القلم ، ط١ .
١٩-مرقاة المفاتيح ، الملا علي القاري ، المكتبة التجارية ، ط١ .
٢٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المجتمع ، ط

١٤٠٤ هـ .
٢١-السمع والطاعة ، أحمد شاكر ، مكتبة السنة ، ط١٤١٠ .
٢٢-أبجـديات التصـور الحركـي للعمـل الإسـلامي ، فتحـي يكـن ، مؤسسـة الرسـالة ، ط١ .
٢٣-الاستيعاب ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة .
٢٤-موسوعة نضرة النعيم ، دار الوسيلة ، ط١ .
٢٥-المنهاج ، هاشم محمد ، مكتبة دار البيان ، ط٢ .
٢٦-مسافر في قطار الدعوة ، عادل الشويخ ، دار المنطلق ، ط١ .
٢٧-آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، دار الوفاء ، ط٢ .
٢٨-الجماعــة والإمــارة والســمع والطاعــة ، أبــو إبــراهيم المصــري ، مكتــب الخدمات في بيشاور ، باكستان .

صدق

الصدق

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - اللغة :

قال في معجم المقاييس : ((الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره . من ذلك الصدق : خلاف الكذب ، سمي لقوته في نفسه ؛ ولأن الكذب لا قوة لـه . هو باطل . وأصل هذا من قولهم شيء صَدْق ، أي صلب . والصِدّيق : الملازم للصدق . والصَّدَاق : صداق المرأة ، سمي بذلك لقوتـه ، وأنـه حق ملزم . والصداقة مشتقة من الصدق في المودة))(١) .

ب - اصطلاحًا :

- قيل : الصدق : استواء السر والعلانية .
- وقيل : والصدق الوفاء لله - عز وجل - بالعمل .
- وقيـل : ((الصـدق صـحة التوحيد مـع القصد))(٢) ، أي : الإخـلاص لله - عـز وجل - وحده لا شريك له .
- وقيل : ((الصدق : موافقة الحق في السر والعلانيـة ، وحقيقـة الصدق : القول بالحق في مواطن الهلكة))(٣) .
- قال الأصفهاني : ((والصدق : مطابقة القول الضمير والمخبر عنـه معًا)) . (قلت : أي مطابقة ما يقول بلسانه لما في قلبه هذا أولاً ، ثم مطابقة ذلك للواقع الذي يخبر عنه ثانيًا) .

فقـول المنـافقين للرسـول ﷺ : ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ﴾(٤) ، فـإنهم كـاذبون فيمـا ادعوه لمخالفة قولهم لما فـي قلوبهم ، ولكـن من جهـة موافقـة قولهم للواقـع فهو حق وصدق بقوله - عـز وجـل - : ﴿ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(٥) ، أي فيمـا أخبـروا بـه ؛ لأنـهم لا يعتقدون ما يقولون ، ولا تواطِئ قلوبهم ألسنتهم فـي هذه الشـهادة (٦) ، أما من جهة

(١) معجم المقاييس ، ابن فارس : ٣ / ٣٣٩ - ٣٤٠ ، وانظر أيضًا المعجم الوجيز ، ص ٣٦٢ .
(٢) الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري ، (٢١٠ - ٢١٤) ، وانظر المدارج : ٢ / ٣٠٩ .
(٣) نزهة الفضلاء : ٢ / ١١١٠ .
(٤) سورة المنافقون [١] .
(٥) سورة المنافقون [١] .
(٦) تفسير المراغي : ١٠ / ١٠٦ .

الواقع فإن الله تعالى قال : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾[1] .

ومن خلال ما تقدم ندرك مفهوم الصدق الشامل ، وأنه يتضمن أحوال الشخصية المسلمة في الاعتقاد والعبادة ، والسلوك والأخلاق ؛ فهو التزام الحق في الأقوال والأعمال والأحوال والثبات عليه .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- التأكيد على أهمية الصدق لدى المسلم ، لاسيما الداعية ؛ ذلك لأنه من أهم أسباب ثقة الناس به واستجابتهم له .

٢- بيان شمولية مفهوم الصدق في حياة الداعية ، وأنه يتضمن الأقوال والأعمال والأحوال ، وعرض مجالات الصدق ليطبقها الداعية على نفسه ، مع بيان بعض الآفات التي توهن الصدق وتضاده .

٣- توضيح أهمية الصحبة في صدق الإنسان في أقواله وأعماله وأحواله كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] .

٤- عرض آثار للصدق ينبغي أن تظهر جلية في شخصية المسلم (صدق الالتزام ، وتلافي التقصير ، والاستدراك ، وحب الدعاة الصادقين ، واتباع السُّنَّة) .

٥- التحذير من الكذب ومعرفة حكم التورية والمعاريض ومجالات استخدامها في حياة الداعية .

٦- عرض نماذج من الصادقين ، للاقتداء بهم ، والتأسي بهديهم وصدقهم .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١ - هل الصدق مقصور على « صدق اللسان » ؟
٢ - لماذا نتحدث عن الصدق ؟
٣ - فضيلة الصدق .
٤ - مجالات الصدق (أنواعه) .
٥ - مما يعين على الصدق .
٦ - التحذير من الكذب .
٧ - مما يخل بالصدق .
٨ - من آثار الصدق في الشخصية المسلمة .

---

(1) سورة المنافقون [١] .
(2) سورة التوبة [١١٩] .

٩ ـ هل الكذب كله حرام ؟
١٠ ـ ما هي المعاريض (أو التورية) ؟ وما حكم استعمالها ؟
١١ ـ نماذج من الصادقين .

رابعًا : العرض :

١ ـ هل معنى الصدق مقصور على صدق اللسان ؟((انظر دلالة المصطلح)).

٢ ـ لماذا نتحدث عن الصدق ؟ :

من الأهمية بمكان أن نعرض هذا الموضوع ، وأن نؤكد ضرورة تربية أنفسنا على صفة الصدق ؛ وذلك لأسباب عديدة منها :

٢ ـ ١ : لأن الصدق خصلة تميز المؤمنين عن المنافقين ؛ ذلك لأن ((الإيمان أساسه الصدق ؛ والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر))[1] . فالصدق علامة مميزة للشخصية المسلمة ، ومعلم من معالمها ، وركن من أركانها ؛ فالمسلم صادق ، ويقول الصدق ، ويدعو إلى الصدق ، ومنهجه صدق ، وقدوته الصادق الأمين ﷺ .

٢ ـ ٢ : الصدق من أهم أسباب تميز الداعية في دعوته ، وثقة الناس به ، واطمئنانهم إليه ، واستجابتهم له ، وتأثرهم به ، ومحبتهم له ، وثناؤهم عليه . قال عليٌّ رضي الله عنه : ((من كانت له عند الناس ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يخنهم ، وإذا وعدهم وفَّى لهم ؛ وجب له عليهم : أن تحبه قلوبهم ، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهر له معونتهم))[2] .

فصدق الداعية من أهم عوامل قبول الدعوة وانتشارها ، وإقبال الناس عليها ؛ ولهذا فإن من المشركين من آمن برسول الله ﷺ لاشتهار صدقه بين الناس حتى إنه سُمِّي الصادق الأمين . وكم من الناس من تأثروا بأهل الصدق من الدعاة ؛ صدقوا في أقوالهم ، ووافق كلامهم أحوالهم وأعمالهم .

٢ ـ ٣ : هو المحك الذي تتكشف به حقائق الرجال ، ويميز الله به أصحاب الهمم العالية ممن قعدت بهم هممهم وشهواتهم ، فلا تكاد تتجاوز خطوطهم الدنيوية . وهذا الكشف مهم للدعوة ؛ حتى لا تنخدع بالمظاهر الزائفة . قال عز وجل : ﴿ **مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾[3] ، وقال لرسوله ﷺ : ﴿ **عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾[4] .

---

(1) المدارج ، ص ٣٠٤ .
(2) موسوعة نضرة النعيم : ٦ / ٢٥١٤ .
(3) سورة آل عمران [١٧٩] .
(4) سورة التوبة [٤٣] .

٢ ـ ٤ : بالصدق ينال الداعية أجر ما لم يبلغه عمله ، وفي هذا أعظم مواساة لثمرة لم يستطع قطفها أو غاية لم يتمكن ـ بعد جهد صادق ـ من الوصول إليها . قال ﷺ : ((**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**))[1] .

٢ ـ ٥ : الصدق يُطهر اللسان ، ويصلح الأعمال والأحوال ، وينير القلب ، ويجلو الفكر ، ويغفر الذنب ، ويذهب الهمَّ . قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾[2] ، ونحن من أحوج الناس إلى هذه الثمار .

٢ ـ ٦ : كثرة فضائل الصدق ، واهتمام الشارع به[3] والدعوة إليه ، ورفع منزلته وإعلاء شأنه . وهذا يدعونا إلى الالتزام به ومجاهدة النفس للتعلق به ؛ ولعل مما يعين على ذلك أن نعرف بعض فضائله ، وهي العنصر التالي له .

٣ ـ فضيلة الصدق :

٣ ـ ١ : ما أنعم الله ـ عز وجل ـ على عبد نعمة بعد الإسلام أفضل من الصدق في أقواله وأعماله وأحواله :

ذلك لأن الله ـ عز وجل ـ رفع الصادقين منزلة عالية ، ومكانة سامية ؛ حتى إنه ـ سبحانه ـ جعل اسمهم بُعَيد النبيين في الإنعام والفضل والإحسان ، فقال عز وجل : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[4] ، وأمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[5] .

٣ ـ ٢ : الصدق صفة من صفات الخالق تعالى ثابتة له بالكتاب والسنة :

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[6] ، وقال عز وجل : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ** ﴾[7] ، وقال ﷺ : ((**صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده**))[8] ، فأكرِمْ بصفةٍ وصف الله بها نفسه ، وأَنعِم بها من خصلة ارتضاها الله لذاته .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب : استحباب طلب الشهادة في سبيل الله ، برقم : ١٩٠٩ .
(٢) سورة الأحزاب [٧٠ - ٧١] .
(٣) وذلك من خلال كثرة النصوص الآمرة به والناهية عن ضده .
(٤) سورة النساء [٦٩] .
(٥) سورة التوبة [١١٩] .
(٦) سورة آل عمران [٩٥] .
(٧) سورة الفتح [٢٧] .
(٨) رواه البخاري ، رقم : ٢٩٩٥ ، ورواه مسلم ، رقم : ١٣٤٤ .

٣ - ٣ : الصدق يهدي إلى الجنة :

قال ﷺ : ((**إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**))(١) .

وقال ﷺ للرجل الذي قال : والذي أكرمك بالحق ، لا أتطوع شيئًا ، ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا - قال : ((**أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق**))(٢) .

وقال - عليه أفضل الصلاة والسلام - : ((**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم** قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : ((**بلى والذي نفسي بيده ، رجالٌ آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**))(٣) .

٣ - ٤ : وصف تعالى أنبياءه بالصدق في معرض مدحه لهم وثنائه عليهم :

فقال عز وجل : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾(٤) .

وقال عز وجل : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** ﴾(٥).

وقال عز وجل : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾(٦) .

٣ - ٥ : الصدق من أجل الصفات التي عُرف الأنبياء بالدعوة إليها :

ولهذا عندما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ قائلاً له : ماذا يأمركم ؟ قلت [أي : أبو سفيان] : يقول : ((اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة ...))(٧) .

٣ - ٦ : بالصدق مع الله نجاة من المكروه في الدنيا والآخرة :

أما في الدنيا فإن الله - عز وجل - ينفس عن الصادق كربه ، وييسر عسره ،

(١) رواه البخاري ، رقم : ٦٠٩٤ ، ورواه مسلم ، رقم : ٢٦٠٧ .
(٢) رواه البخاري ، رقم : ١٨٩١ ، ورواه مسلم ، رقم : ١١ .
(٣) رواه البخاري ، رقم : ٣٢٥٦ ، ورواه مسلم ، رقم : ٢٨٣١ .
(٤) سورة مريم [٤١] .
(٥) سورة مريم [٥٤] .
(٦) سورة مريم [٥٦ - ٥٧] .
(٧) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ٧ ، برقم : ٧ .

ويسهل أمره . ألم تر إلى أصحاب الغار الذين انطبق عليهم ((فقال بعضهم لبعض : إنه والله لن ينجيكم إلا الصدق ؛ فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه)) (1) . فدعا كل واحد منهم ربه ، وتوسل إليه بصالح عمله ، ففرج الله عنهم ، فانساخت عنهم الصخرة ، فخرجوا من الغار .

وأما في الآخرة فانتفاع العبد بصدقه أكبر ونجاته به أعظم ، قال الله تعالى : ﴿ **قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾(2) .

٣ - ٧ : أهل الصدق هم أصحاب البر والإحسان والفضل والإيمان :

قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾(3) .

٣ - ٨ : الصدق بركة في الأعمال والأموال :

قال ﷺ : ((**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**))(4) .

وقال ﷺ : ((**ما أملق تاجر صدوق**))(5) .

٣ - ٩ : النجاة من النار :

قال ﷺ : ((**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار**))(6) .

٢ - ١٠ : في الصدق انشراح صدر وقرة عين وسكينة نفس :

وتلك هي بعض ثمرات الطمأنينة التي ينعم بها الصادقون كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ بذلك فقال : ((**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة**))(7).

٣ - ١١ : الصادقون من خير الناس :

---

(1) رواه البخاري ، رقم : ٣٤٦٥ ، ورواه مسلم ، رقم : ٢٧٤٣.
(2) سورة المائدة [١١٩] .
(3) سورة البقرة [١٧٧] .
(4) البخاري ، رقم : ٢٠٧٩ ، ومسلم ، رقم : ١٥٣٢ .
(5) البخاري ، رقم : ١٢٨ .
(6) البخاري ، رقم : ١٢٨ .
(7) رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح ، رقم : ٢٥١٨ ، ورواه أحمد (١ / ٢٠٠) .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : ((قلنا يا نبـي الله ، من خير النـاس ؟ قـال : ((**ذو القلب المخموم ، واللسان الصادق**)) . قلنا : يا نبي الله ، قد عرفنا اللسان الصادق ؛ فما القلب المخموم ؟ قال : ((**التقي النقي ، الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد**))(١) .

٤ ـ مجالات الصدق (أنواعه) :

الصدق ركيزة كبرى من ركائز شخصية المسلم ، وركن مكين من أركانها ؛ لذا نرى الصدق يظهر جليًّا في جميع معالمها وأحوالها ، ويحكم تصوراتها وأفعالها ، وينظم أخلاقها وسلوكياتها . ولا يعرف الكثير من الناس الصدق إلا في اللسان ، وهذا فهم قاصر لمعانيه ، وحصر خاطئ لمراميه .

قال الإمام ابن القيم ـ يرحمه الله ـ في منزلة الصدق : ((وهي منزلة القوم الأعظم ، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم الذي مَنْ لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين .. فهو روح الأعمال ، ومحك الأحوال .. وهو أساس بناء الدين ، وعمود فسطاط اليقين)) (٢) .

ولقد ذكر الإمام الغزالي ـ يرحمه الله ـ ستة أنواع (أو مجالات) للصدق ، وقد شملت شؤون المسلم في حياته كلها من أقوال وأفعال وأحوال ، نذكر فيما يلي ملخصًا لما ذكره (٣) :

٤ ـ ١ : صدق اللسان :

وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها ؛ فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق . وقد رغب رسول الله ﷺ في أن يحكم المسلم لسانه ، ويسلك به طريق الصدق فقال ﷺ : ((**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**)) (٤)، والمراد بقوله ﷺ : ((**ما بين لحييه**)) : اللسان . قال ابن بطال : ((دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه ؛ فمن وُقِي شرهما ، وقي أعظم الشر))(٥) .

٤ ـ ٢ : صدق النية والإرادة :

وهو الإخلاص ، فلا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى ، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية ، وصاحبه يجوز أن يسمي كاذبًا .

---

(١) رواه ابن ماجة ، وإسناده صحيح .
(٢) المدارج : ٢ / ٣٠٣ .
(٣) الإحياء : ٤ / ٣٨٧ ـ ٣٩٣ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : حفظ اللسان ، برقم : ٦٤٧٤ .
(٥) الفتح : ١١ / ٣١٠ .

قال ﷺ : ((**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأُتي به فعرفه نِعَمهُ فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ؛ ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل ، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به ، فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ؛ ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمة فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ؛ ولكنك فعلت ليقال هو جواد . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار**))[1] .

فقوله لكل واحد من هؤلاء الثلاثة : المقاتل ، والقارئ ، والمنفق – كذبت ، أي في قصدك ونيتك ؛ فهو لم يقل لهم لم تعملوا ، ولكنه كذبهم في نياتهم وإرادتهم حين قال الأول : ((قاتلت فيك)) ، والثاني : ((قرأت فيك)) ، والثالث : ((أنفقت فيها لك)) ؛ فكذبهم لأنهم إنما أرادوا شيئًا من حظوظ الدنيا ، وهي السمعة والرياء .

٤ - ٣ : صدق العزم :

فالصادق ذو همة عالية وعزيمة قوية ماضية ، ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد ، بل تندفع نفسه أبدًا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات ، والحق - عز وجل - أثاب الصادق في عزيمته على العمل الصالح ولو لم يفعله كما أخبر بذلك النبي ﷺ حين قال : ((**إنما الدنيا لأربعة نفر** (ثم ذكر منهم) : ((**عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقًّا ، فهذا بأفضل المنازل .. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء**))[2] . فانظر إلى صدقه في عزمه كيف بلَّغه أجر من هو في أفضل المنازل .

٤ - ٤ : الصدق في الوفاء بالعزم :

فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال ؛ إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه حفيفة ، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكين ، وهاجت الشهوات ؛ انحلت العزيمة ، وغلبت الشهوات ، ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا يضاد الصدق فيه ؛ ولذلك أثنى الله

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، برقم : ١٩٠٥ .
(٢) رواه الترمذي ، رقم : ٢٣٢٥ ، وقال : حديث حسن صحيح . قال محقق جامع الأصول (١١ / ١٠) : وهو كما قال الترمذي .

- عز وجل - على رجال صدقوا في الوفاء بعزمهم فقال : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(1) .

وقال تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ﴾ ، أي : عهده (2) .

وعن أنس بن مالك ﷺ : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ! لئن أشهدني الله مع النبي قتال المشركين ليَرَيَنَّ ما أصنع ! [ولم يقل أكثر من ذلك مهابة العهد ... لأنهم رجال مؤمنون لا يسمحون لألسنتهم أن تهذيَ بعهود لا يستطيعون الالتزام بها] ، فلما كان يوم (أحد) انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم .. فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ! إني لأجد ريحها من دون أحد ! قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، ثم تقدم . قال أنس : فوجدنا به بضعًا وثمانين ؛ ما بين ضربة بالسيف ، وطعنة بالرمح ، ورمية بالسهم ؛ ووجدناه وقد مَثَّلَ به المشركون ؛ فما عرفه إلا أختُه ، بشامة فيه أو ببنانه . قال أنس : كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾(3)(4).

ويقابل هؤلاء الصادقين قوم أخلفوا عهودهم ، ونقضوا أيمانهم ، قال الله فيهم : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(5) ، « فجعل العزم عهدًا ، وجعل الخلف فيه كذبًا ، والوفاء به صدقًا . وهذا الصدق - أي الصدق في الوفاء بالعزم - أشد من الصدق الثالث - أي الصدق في العزم - فإن الناس قد تسخو بالعزم ، ثم تخلف أو تقصّر عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكين وحصول الأسباب ؛ ولذلك استثنى عمر ﷺ فقال : « لأن أقدَّم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسوِّل لي نفسي عند القتل شيئًا لا أجده الآن ؛ لأني لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها » . أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم .

---

(1) سورة الأحزاب [٢٣ - ٢٤] .
(2) الفتح : ٨ / ٥١٨ .
(3) سورة الأحزاب [٢٣] .
(4) رواه البخاري ، وقد سبق تخريجه ، وانظر للتوسع ، خلق المسلم ، للغزالي : ص (٨٧ - ١٠٩) .
(5) سورة التوبة [٧٥ ، ٧٧] .

٤ ـ ٥ الصدق في الأعمال :

وهو استواء السريرة والعلانية ، بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرًا من ظاهره .

قال عبد الواحد بن زيد : كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به ، وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له . ولم أرَ أحدًا قط أشبه سريرة بعلانية منه .

فمن الكذب في الأعمال أن يظهر أمام الناس بمظهر الورع فإذا خلا بمحارم الله انتهكها .

ومن الكذب أن يخالف قوله عمله كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾(١) .

ومن الكذب أن يعامل الناس معاملة حسنة ليظهر بمظهر الصالحين الأخيار ، فإذا أغلق عليه باب بيته عامل أهله معاملة الفجار .

٤ ـ ٦ : الصدق في مقامات الدين :

كالصدق في الخوف والرجاء والتوكل والمحبة والزهد والرضا وسائر هذه الأمور ، فالصدق في الإيمان ـ على سبيل المثال ـ هو اليقين الذي لا يتطرق إليه ريب ، والقيام بواجبات الإيمان ولوازمه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٢) .

هذا بالنسبة للإيمان ، ومثله أيضًا في الخوف : فكثير من الناس غير صادق في خوفه ، ومن علامات ذلك عدم خوفه عند وقوعه في معصية واكتسابه للخطيئة ؛ ولذلك تراه يسوّف بالتوبة ولا يبالي بأوبة ، كما هو حال أهل الخوف الصادق الذين إذا ألموا بمعصية سارعوا إلى التوبة كما وصفهم الله في كتابه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

٥ ـ مما يعين على الصدق :

الصدق شاق على النفس ؛ ولهذا قال ابن القيم : « فحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي ، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم ، فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل

(١) سورة الصف [٢ ـ ٣] .
(٢) سورة الحجرات [١٥] .
(٣) سورة آل عمران [١٣٥] .

، والرياء والكذب خفيف كالريشة لا يجد له صاحبه ثقلاً ألبتة ، فهو حامل لـه فـي أي موضع اتفق ، بلا تعب ولا مشقة ولا كلفة ، فهو لا يتقلب تحت حملـه ولا يجد ثقلـه ››[1] . ولكن مع هذا ، فإن المرء إذا جدَّ وجاهد أدرك وعد الله للمجاهدين : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[2] . ومما يعين على الصدق :

٥ - ١ : مراقبة الله تعالى :

إن إيمان المرء بأن الله - عز وجل - معه ، يبصره ويسمعه ، يدفعه للخشية والتحفظ ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] . وعندما يستحضر أن كلماتـه وخطراتـه ، وحركاته وسكناته كلها محصية مكتوبة : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[4] ، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾[5] ، فإن ذلك يقوده إلى رياض الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .

٥ - ٢ : الحياء :

فالحياء يحجب صاحبه عن كل ما هو مستقبح شرعًا وعرفًا وذوقًا ، والمرء يستحيي أن يُعرف بين الناس أنه كذاب ، وهذا هو الذي حمل أبا سفيان - وهو يومئذ مشرك - أن يَصدُق هرقلَ وهو يسأله عن النبي ﷺ . قال أبو سفيان : ‹‹ فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبًا لكذبت عنه ››[6] ، أي : ينقلوا عليَّ الكذب لكذبت عليه . قال ابن حجر : ‹‹ وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب ، إما بالأخذ عن الشرع السابق ، أو بالعرف .. وقد ترك الكذب استحياء وأنفة من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذابًا ››[7] . قلت : فالمسلم أولى بالحياء من ربه أن يسمعه يقول كذبًا أو يطلع على عمل أو حال هو فيه كاذب .

٥ - ٣ : صحبة الصادقين :

فقد أمر الله - عز وجل - المؤمنين أن يكونوا مع أهل الصدق ، فقال - عز وجل

---

(1) المدارج : ٢ / ٣١١ .
(2) سورة العنكبوت [٦٩] .
(3) سورة المجادلة [٧] .
(4) سورة ق [١٨] .
(5) سورة الانفطار [١٠ - ١١] .
(6) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب : ٦ ، برقم : ٧ .
(7) الفتح : ١ / ٣٥ ، بتصرف يسير .

- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1]، أي : اقتدوا بهم واسلكوا سبيلهم ، وهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم ، ووفوا بعهودهم وصدقوا في أقوالهم وأعمالهم .

٥ - ٤ : إشاعة الصدق في الأسرة :

((الإسلام يوصي أن تُغرسَ فضيلة الصدق في نفوس الأطفال ، حتى يشبوا عليها ، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها)) .

فعن عبد الله بن عامر قال : دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : تعالَ أعطك ، فقال لها ﷺ : ((**ما أردت أن تعطيه ؟**)) قالت : أردت أن أعطيه تمرًا ، فقال لها : ((**أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة !**))[2].

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**من قال لصبي : تعالَ ، هاك ، ثم لم يعطه فهي كذبة**))[3] .

فانظر كيف يعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن ينشِّئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ، ويتنزهون عن الكذب ، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال ، وهم يعتبرون الكذب ذنبًا صغيرًا - وهو عند الله عظيم -))[4] .

٥ - ٥ : الدعاء :

لما كان حمل النفس على الصدق في جميع أمورها شاق عليها ، ولا يمكن لعبد أن يأتي به على وجهه إلا بإعانة الله له وتوفيقه إليه ، أمر الله نبيه أن يسأله الصدق في المخرج والمدخل ، فقال عز وجل : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[5] . وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في تأويلها :

فقيل : المعنى أمتني إماتة صدق ، وابعثني يوم القيامة مبعث صدق .

وقيل : أدخلني في المأمور وأخرجني من المنهي (يعني ملازمةً وقيامًا بالمأمورات واجتنابًا للمنهيات) .

وقيل : أدخلني المدينة ، والإخراج من مكة .

---

(1) سورة التوبة [١١٩] .
(2) رواه أبو داود ، وهو حديث صحيح (الصحيحة للألباني ، برقم : ٧٤٨) .
(3) رواه أحمد (٢ / ٤٥٢) ، وهو صحيح (الصحيحة للألباني : ٢ / ٣٨٥) .
(4) خلق المسلم ، الغزالي ، ص ٦٠ .
(5) سورة الإسراء [٨٠] .

وقيل : إدخاله مكة منتصرًا فاتحًا ، وإخراجه منها آمنًا من المشركين .

وقيل : أدخلني القبر مدخل صدق عند الموت ، وأخرجني مخرج صدق عند البعث .

وقيل : « الآية عامة في كل ما يتناول من الأمور ويحاول من الأسفار والأعمال ، ويُنتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة فهي دعاء ، ومعناه : رب أصلح لي وردي وصَدَرِي في كل الأمور »[1] .

٥ - ٦ : معرفة وعيد الله للكذابين وعذابه للمفترين :

قد جاءت النصوص الكثيرة التي تحذر من الكذب وتبين سوء عاقبته في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا فإن تذكير النفس بها ، مما يعين المرء على الصدق في أحواله كلها . وهذه طائفة من النصوص التي وردت في ذم الكذب والتحذير منه ، وذلك في المبحث التالي ..

٦ - التحذير من الكذب :

قد أنزل الله - عز وجل - على نبيه الكريم ﷺ أكثر من مائتين وثمانين آية ، كلها تنهي عن الكذب ، وتضرب لنا الأمثلة على النهاية السيئة للمكذبين والكاذبين ، وقد اقترن الكذب بالنفاق والكفر كما اقترن الصدق بالإيمان والتقوى[2] .

وإليك بعض ما جاء في الكذب والكذابين من الوعيد والتهديد :

٦ - ١ : تسويد الوجوه :

قال الله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾[3] . « قال سفيان الثوري : هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا صادقين بها »[4] .

٦ - ٢ : الوعيد بالويل :

قال الله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ ، والويل : واد في جهنم فيه ألوان العذاب ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما - : « إذا خبت جهنم أخذ من جمره فألقي عليها فيأكل بعضها بعضًا » .

وروي أنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم[5] ، والعياذ بالله .

---

(1) تفسير القرطبي : ج١٠ / ٣١٢ - ٣١٣ .
(2) آفات اللسان ، إبراهيم المشوخي ، ص ٥٥ .
(3) سورة الزمر [٦٠] .
(4) الإحياء : ٤ / ٣٨٧ .
(5) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى : ١٩ / ١٥٨ - ١٥٩ .

وقد قال ﷺ متوعدًا ومحذرًا من استسهل الكذب في المزاح فقال ﷺ : ((**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له**))[1] .

٦ - ٣ : شق الشدق :

الشدق : هو جانب الفم مما تحت الخد [2] . وقد قال ﷺ : ((**رأيت الليلة رجلين أتياني ، فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه** (أي يدخله في فم الرجل الجالس فيجذبه حتى يبلغ قفاه) ، **ثم يفعل بشدقه الآخر** (أي من جهة الخد الآخر) **مثل ذلك ، ويلتئم شدقه هذا ، فيعود فيصنع مثله . قلت : فأخبراني عما رأيت ، قالا : نعم أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة**))[3] .

٦ - ٤ : علامة من علامات النفاق :

الكذب باب من أبواب النفاق ، وعلامة من علاماته ، بل أساس النفاق الكذب ، قال الحسن : ((كان يُقال : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ، وأصل النفاق الذي بني عليه النفاق الكذب))[4] . قال ﷺ : ((**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر**))[5] .

٧ - مما يخل بالصدق :

هذه بعض الآفات التي تخل بصدق المسلم ، وتوهن أركان الصدق في شخصيته ؛ ولذا يجب الحذر منها ، ومجاهدة النفس على الابتعاد عنها ، والتخلص منها ..

٧ - ١ : الكذب الخفي :

الرياء ، وهو الشرك الخفي ، الذي تختلف فيه سريرة المرء عن علانيته ، وظاهره عن باطنه . قال ﷺ : ((**أيها الناس ، اتقوا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل**)) . قالوا : وكيف نتقيه يا رسول الله ؟ قال : ((**قولوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا**

---

(١) رواه أبو داود ، الترمذي ، وغيرهما ، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم : ٧١٣٦ .
(٢) المعجم الوجيز ، ص ٣٣٨ .
(٣) أصل الحديث في صحيح الإمام البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ٩٣ ، برقم : ١٣٨٦ . وقد أوردناه مختصرًا .
(٤) مساوئ الأخلاق ومذمومها ، للخرائطي ، قال محققه : إسناده جيد ، برقم : ١١٢ .
(٥) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق ، برقم : ٣٤ ، ورواه مسلم ، الإيمان ، باب خصال المنافقين ، برقم : ٥٨ .

نعلمه))[1] .

٧ - ٢ : الابتداع :

إن من كمال الصدق حسن الاتباع ، وبقدر استمساك المرء بهدي النبي ﷺ يكون صدقه مع ربه : ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾[2] ، أي : إن كنتم صادقين في محبتكم لربكم اتبعوا سنة رسولكم ﷺ ، فعلامة صدق المحبة كمال الاتباع ؛ ولهذا ((كانت الصديقيَّة : كمال الإخلاص والانقياد ، والمتابعة للخبر والأمر ، ظاهرًا وباطنًا))[3] .

٧ - ٣ : الثرثرة (كثرة الكلام) :

من كثر كلامه كثر سقطه ؛ إذ لا يخلو - في كثير من الأحيان - من التزيد واللغو أو الهذر الذي إذا لم يضر فإنه لا ينفع ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4] .

ومن الكذب أن يحدث الإنسان بكل ما يسمع من أحاديث وأخبار دون تحرير لها ولا تنقيح ؛ لأنه بتهاونه وإهماله وعدم تحريه الصادق من الأخبار يساهم في نشر الأكاذيب وإشاعتها ؛ ولهذا قال ﷺ : ((كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع))[5][6]. قال ابن مسعود ﷺ : ((والذي لا إله غيره ، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان))[7] .

٧ - ٤ : مداهنة النفس :

الاسترسال مع النفس في أهوائها وشهواتها ، ليست في صفات الصادقين قط ؛ ولهذا قيل : ((لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره))[8] . فكلما ألجمها بلجام المجاهدة ، وزمها بزمام المراقبة والمحاسبة ثبتت على الصدق قدمه . قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[9] . واسمع إلى هـذا المجاهـد الصـادق

(1) رواه أحمد : ٤ / ٤٠٣ ، والطبراني بإسناد حسن ، انظر صحيح الترغيب ، حديث رقم : ٣٣ .
(2) سورة آل عمران [٣١] .
(3) المدارج ، ص ٣٠٨ .
(4) سورة النساء [١١٤] .
(5) رواه مسلم ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، برقم : ٥ .
(6) الأخلاق الإسلامية : ج١ / ٥٤١ .
(7) الحلية : ١ / ١٣٤ .
(8) المدارج : ٢ / ٣١١ .
(9) سورة النازعات [٤٠ - ٤١] .

وهو يخاطب نفسه بصدق لا مداهنة فيه وقد أحس منها ترددًا عما هو فيه من إقدام وتضحية فقال لها :

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت( )

من علامات الصادق في تعامله مع نفسه :

- استصغار النفس ؛ وذلك لأنه لا يرى نفسه إلا مقصِّرًا .
- احتقاره لها ؛ لأنه من أعرف الناس بعيوبها [2] .

٧ ـ ٥ : التناقض بين القول والعمل :

لقد عدَّ بعض السلف مخالفة عمل المرء لقوله أمارة كذب ونفاق . قال إبراهيم التيميُّ : ((ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا))[3]. قال ابن حجر - يرحمه الله - : إبراهيم التيمي : هو من فقهاء التابعين وعبادهم ، وقوله ((مكذبًا)) يعني خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفًا لقولي فيقول : لو كنت صادقًا ما فعلت خلاف ما تقول ؛ وإنما قال ذلك لأنه كان يعظ الناس .. وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وقصر في العمل ، فقال عز وجل : ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** ﴾[4] ، ((فخشي أن يكون مكذَّبًا ، أي مشابهًا للمكذبين))[5] .

قال أبو العتاهية :

وصفت التُقى حتى كأنك ذو تقى وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لا تَنْهَ عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

---

(1) فقه السيرة ، الغزالي ، ص ٣٨٠ ، وانظر سيرة ابن هشام : ١ / ١٥٧ ـ ١٥٩ .
(2) انظر المدارج : ٢ / ٣١٧ ـ ٣١٨ .
(3) صحيح الإمام البخاري ، ترجمة باب ٣٦ .
(4) سورة الصف [٣] .
(5) الفتح : ١ / ١١٠ ، باختصار .

قلت : وهذا يحمل على أن المرء يجاهد نفسه على التزام ما يأمر به ويحث الناس إليه ، وإلا فقد قال سعيد بن جبير : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهي عن منكر . قال مالك : وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء ! .

ومن صور التناقض التي لا تليق بأهل الصدق :

معاملة المرء للناس بالحسنى في خارج البيت ، فإذا دخل بيته ساءت أخلاقه مع زوجته وأبنائه .

٨ ـ من آثار الصدق في الشخصية المسلمة :

إذا تمكَّن الصدق من القلب سطع عليه نوره ، وظهرت على الصادق آثاره ، في عقيدته وعباداته ، وأخلاقه وسلوكياته ، وفي هذا المبحث نذكر بعض هذه الآثار الجليلة والثمار العظيمة :

٨ ـ ١ : سلامة المعتقد :

فمن أبرز آثار الصدق على صاحبه : سلامة معتقده من لوثات الشرك ما خفي منه وما ظهر ، فالصادق :

- يؤمن بأسماء الله وصفاته على منهج السلف الصالح ، فلا ينفي ما أثبته الله لنفسه ، ولا يثبت ما نفاه عن نفسه ، ويظهر أثر إيمانه بأسمائه وصفاته في كل شأن من شؤون حياته ، فإذا أراد أن يتكلم تذكر صفة السمع فلم يتكلم إلا بما يرضي الله ، وإذا أراد أن ينظر تذكر صفة البصر ، فلم ينظر إلا إلى ما أحلَّ الله له النظر إليه ، وهكذا بالنسبة لبقية أسمائه ـ عز وجل ـ وصفاته .
- يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .
- يوقن أن الآجال والأرزاق بيد الله وحده لا شريك له : ﴿ **إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾(١) .

٨ ـ ٢ : البذل والتضحية لنصرة الدين :

فالصادق قد باع نفسه وماله وعمره لله ، ولنصرة دين الله ؛ إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، همه رضا مولاه ، مثله كمثل ذلك الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ،

---

(١) سورة الذاريات [٥٨] .

فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ﷺ شيئًا ، فقسم ، وقَسَم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاءهم دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم لك النبي ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا ؟ قال : ((**قسمته لك**)) ، فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا - وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت ، فأدخل الجنة ، فقال : ((**إن تصدق الله يصدقك**)) ، فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتي به النبي ﷺ يُحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : ((**أهو هو**)) ؟ قالوا : نعم ، قال : ((**صدق الله فصدقه**)) ، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته : ((**اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجرًا في سبيلك ، فقتل شهيدًا ، وأنا شهيد على ذلك**))[1] . فانظر إلى صدقهم في البذل والتضحية ، وتأمل تجردهم لله - عز وجل - في دعوتهم وجهادهم .

وانظر إلى مصعب بن عمير - داعية القرآن في المدينة - كيف بذل وضحى بمتاع الدنيا وزينتها .

وتأمل بذل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[2] .

وقال جل جلاله : ﴿ **وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[3] .

٨ - ٣ : الهمة العالية :

الصادقون أصحاب همة عالية ، وعزيمة قوية ماضية ، همهم رضا ربهم ، يسيرون معها أين توجهت ركائبها ، ويستقلون معها أين استقلت مضاربها ؛ ترى الصادق قد عمر وقته بالطاعات ، وشغله بالقربات ، ((فبينما هو في صلاة إذ رأيته في ذكر ثم في غزو ، ثم في حج ، ثم في إحسان للخلق بالتعليم وغيره من أنواع النفع ، ثم في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، أو في قيام بسبب فيه عمارة الدين والدنيا ، ثم في عيادة مريض ، أو تشييع جنازة ، أو نصر مظلوم - إن أمكن - إلى غير ذلك من أنواع القرب والمنافع))[4] .

---

(١) رواه النسائي : ج١ / ٢٧٧ ، والطحاوي في شرح المعاني : ج١ / ٢٩١ ، وصححه الألباني ، في أحكام الجنائز ، ص ٦١ .
(٢) سورة الحجرات [١٥] .
(٣) سورة الحشر [٨] .
(٤) المدارج ، ص ٣١٠ .

قال إبراهيم الخواص : « الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه ، أو فضل يعمل فيه »[1] .

٨ - ٤ : تلافي التقصير واستدراك التفريط :

الصادق قد تمر به فترة ولكنها إلى سُنَّة ، وقد يعتريه تقصير ولكنه سرعان ما يتلافاه بتكميل ، وقد يلم بذنب ولكنه سريع التيقظ والتذكر فيقلع ويندم ويرجع : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾[2] . وقد يحصل منه تفريط فيستدرك ، فبالصدق « يتلافى كل تفريط ، فيصلح من قلبه ما مزقته يد الغفلة والشهوة ، ويعمر منه ما خربته يد البطالة ، ويلم منه ما شعثته يد التفريط والإضاعة »[3] .

وصور الاستدراك في سجل الصادقين كثيرة تجدها في تراجم سلفنا الصالح ، منها :

- ما رواه ابن عساكر عن سعيد بن مسلم قال : « لم يكن أحدٌ من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم ، فأسلموا يوم فتح مكة - أكثر صلاة ، ولا صومًا ، ولا صدقة ، ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة من سهيل بن عمرو ، حتى إن كان لقد شحب وتغير لونه ، وكان كثير البكاء ، رقيقًا عند قراءة القرآن .. ولقد رئي يختلف إلى معاذ ابن جبل يقرئه القرآن ، وهو يبكي حتى خرج معاذ من مكة » .
- وهذا عكرمة ﵁ يعاهد ربه ألا يدع نفقة أنفقها في الصد عن سبيل الله إلا أنفق ضعفيها في الدعوة إلى الله ، ولم يهدأ له بال حتى راح يطلب الشهادة في الثغور ، حتى قتل ﵁ في اليرموك .
- وكذلك أبو سفيان ﵁ ، أصبح بعد إسلامه من أول الناس دخولاً للمسجد ، وآخرهم خروجًا منه .

٨ - ٥ : حب الصالحين وصحبة الصادقين :

من علامات الصادق ، وأثر الصدق في قلبه ، أنه يضيق بصحبة أهل الغفلة ، ولا يصبر على مخالطتهم إلا بقدر ما يبلغهم به دعوة الله وينشر الخير بينهم ، فلا يصحبهم إلا لضرورة من دين أو دنيا ؛ ذلك لأن « **المرء على دين خليله** »[4] ، والصاحب ساحب ، وكل قرين بالمقارن يقتدي ؛ ولهذا قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم**

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٢ .
(٢) سورة الأعراف [٢٠١] .
(٣) المدارج ، ص ٣١٥ .
(٤) رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقال النووي : إسناده صحيح ، انظر المشكاة (٥٠١٩) .

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[1] ، وقال الله تعالى للمؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] . فمجالسة الصالحين نعمة يستعين بها المرء للوصول إلى رضا ربه .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : ((لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله : لولا أن أسير في سبيل الله ، أو أضع جبيني لله ساجدًا ، أو مجالسة قوم يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب التمر))[3]، فالبقاء في الدنيا عند أمير المؤمنين عمر ﷺ لأسباب ثلاثة : جهاد ، وعبادة ، وتناصح وتذكير .

٨ - ٦ : الثبات على الاستقامة (الالتزام) :

فمن آثار الصدق تمسك الصادق بدينه عقيدة وشريعة ، عبادة ومعاملة ، سلوكًا وهديًا ؛ فالتزامه بهذا الدين ليس انتقائيًّا ، يلتزم بما يهوى ويترك ما لا يروق له ولا تشتهيه نفسه ، كما أنه التزام ثابت راسخ غير متذبذب ولا متردد ، لا تغويه الشبهات ، ولا تغريه الشهوات ، ولا تستزله الفتن ، ولا تزلزله المحن .

٨ - ٧ : وآثار أخرى :

أ - البعد عن مواطن الريب :

((**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**))[4] .

ب - حسن المعاملة ، وطيب العشرة ، ودماثة الأخلاق :

((**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**))[5] .

ج - صدق الأخوة :

بتجريدها لله - عز وجل - واستثمارها في الله .

د ـ الوفاء بالعهود وما قطعه المرء على نفسه من الإيمان والمواثيق :

قال شيخ الإسلام الهروي - رحمه الله - : ((وعلامة الصادق : ألا يتحمل داعية

---

(1) سورة الكهف [٢٨] .
(2) سورة التوبة [١١٩] .
(3) كتاب الزهد ، لوكيع بن الجراح : ١ / ٣١٦ برقم : ٩٠ ، قال محققه : رجاله ثقات .
(4) رواه الترمذي وغيره ، وصححه الأرناؤوط في جامع العلوم والحكم : ١ / ٢٧٨ .
(5) سبق تخريجه ، وهو حديث متفق عليه .

تدعو إلى نقض عهد))[١] .

٩ - هل الكذب كله حرام ؟ :

الأصل في الكذب الحرمة ، وقد تضافرت على ذلك نصوص الكتاب والسنة ، ولكن مع ذلك فقد ورد الترخيص في الكذب في حالات يترتب على الكذب فيها مصالح عظيمة ، وتدرأ بها مفاسد جسيمة ، وإن كان استعمال التورية والمعاريض أولى من الكذب حتى في هذه الحالات خروجًا من الخلاف [٢] .

وقد لخص الشيخ حسن أيوب مجمل ما ذكره الإمام الغزالي ونقله عنه الإمام النووي وارتضاه في أحكام الكذب فيما يلي : ((الكلام وسيلة إلى المقاصد والغايات والأهداف التي يريدها الإنسان ، فإن كان الشيء المقصود والهدف المطلوب أمرًا واجبًا ، ولا يتوصل إليه إلا بالكذب فإن الكذب حينئذ يكون واجبًا :

فلو أن مسلمًا اختفى من ظالم يريد قتله وأنت تعلم مكان هذا المسلم فإن الكذب على الظالم حينئذ بإنكار علمك بمكان المسلم واجب ، ولو طالبك بحلف اليمين لكان واجبًا عليك أن تحلف أنك لا تعلم مكانه ، ما دمت تعلم أنه مطارد ظلمًا وبغير جناية يستحق عليها القتل أو السجن أو أخذ ماله ؛ لأن دم المسلم وماله معصومان ، ومثله الذمي .

فلو أن فدائيًّا يقوم بمحاربة أعداء الإسلام والمسلمين ، فأمسك به الأعداء واستحلفوه ليخبر عن إخوانه ، أو يفشي أسرار المسلمين لكان الواجب عليه أن يحلف كذبًا أنه لا يعلم شيئًا مما يسأل عنه ، وكذلك لو كان إنسان يدافع عن وطنه أو ماله أو عرضه فتعرض للحلف حتى يفشي سرًّا للأعداء فيه ضرر له أو لأهله أو لإخوانه . هذا هو الكذب الواجب .

وأما الكذب المباح فقد جاءت النصوص به في ثلاثة أمور :

الأول : في الحرب ؛ لأن الحرب خدعة ، ومقتضياتها تستدعي التمويه على الأعداء ، وإيهامهم بأشياء قد لا تكون موجودة ، واستعمال أساليب الحرب النفسية ما أمكن ، ولكن بصورة ذكية لبقة .

الثاني : في الصلح بين المتخاصمين ؛ حيث إن ذلك يستدعي أحيانًا أن يحاول المصلح تبرير أعمال كل طرف وأقواله بما يحقق التقارب ويزيل أسباب

---

(١) المدارج : ٢ / ٣١٥ .

(٢) للتوسع في الخلاف بين أهل العلم في مسألة الكذب في الحالات المستثناة في الكذب المحرم ، وهل يقصد بالاستثناء الكذب أم التورية .. انظر الإحياء ، شرح صحيح مسلم للنووي : ١٦ / ١٥٨ ، والفتح في شرح حديث **((ليس بكذاب من أصلح بين اثنين))** ، وآفات اللسان للمشوخي ، والسلوك الاجتماعي لحسن أيوب .

الشقاق ، وأحيانًا ينسب إلى كل من الأقوال الحسنة في حق صاحبه ما لم يقله ، وينفي عنه بعض ما قاله ؛ وهو ما يعوق الصلح ويزيد شقة الخلاف والخصام .

الثالث : في الحياة الزوجية ، حيث يحتاج الأمر أحيانًا إلى أن تكذب الزوجة على زوجها ، أو يكذب الزوج على زوجته ، ويخفي كل منهما عن الآخر ما من شأنه أن يوغر الصدور ، أو يولد النفور ، أو يثير الفتن والنزاع والشقاق بين الزوجين ، كما يجوز أن يزفَّ كل منهما للآخر من معسول القول ما يزيد الحب ، ويسر النفس ، ويجمل الحياة بينهما ، وإن كان ما يقال كذبًا ؛ لأن هذا الرباط الخطير يستحق أن يهتم به غاية الاهتمام ، وأن يبذل الجهد الكافي ليظل قويًّا جميلاً مثمرًا .

وقد جاء في ذلك كله قوله ﷺ : « **ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرًا أو نمى[1] خيرًا** » [2] .

وعن أم كلثوم – رضي الله عنها – قالت :

« ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها » [3] .

قال الإمام الغزالي : فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء[4] ، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره[5] ، فهو يرى أن هذه الثلاث يقاس عليها غيرها ، ويرى أن علة القياس هي المقصود الصحيح المحمود ، فإن وجد هذا المقصود المحمود ولم يكن الوصول إليه إلا بالكذب فإن الكذب عندئذ يكون جائزًا .

ويضرب لذلك أمثلة : فيقول : إن ذلك مثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ، فإن له أن ينكره حتى لا يستولي عليه هذا الظالم . ومثل أن يأخذه سلطان فيسأله عن أموره الخاصة والتي هي بينه وبين الله تعالى ، كأنه سأله عن فاحشة وقع فيها ، فإن له أن يقول ما زنيت ، وما قذفت ، وما شربت خمرًا ؛ لأن إعلان الفاحشة فاحشة أخرى وذنب يضم إلى الذنب الذي ارتكبه ؛ ولذا قال ﷺ : « **من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله** » [6] .

---

(1) نقل حديث إنسان إلى آخر .
(2) متفق عليه .
(3) رواه مسلم .
(4) الاستثناء من الكذب المحرم .
(5) إحياء العلوم ، طبعة الشعب ، ص ١٥٩٠ .
(6) موطأ مالك ، كتاب الحدود .

ومن ذلك ما لو سُئل عن سر أخيه وعرضه ، فإن له أن ينكر . وقد حذر الإمام الغزالي من هذا الباب لأنه قائم على اجتهاد الشخص ، فإن تجارت به الأهواء ، وتتبع مثل هذه الرخص ، فإنه يُخشَى عليه أن يقع في جريمة الكذب وهو يظن أنه مباح ؛ ولذا قال : « الحزم تركه (أي الكذب) إلا أن يصير واجبًا لا يجوز تركه ، كما في الصور التي ذكرت في الكذب الواجب »[1] .

١٠ - ما هي المعاريض (أو التورية) ؟ وما حكم استعمالها ؟ :

قال الإمام النووي - يرحمه الله - في الأذكار[2] : « باب التعريض والتورية .. اعلم أن هذا الباب من أهم الأبواب ، فإنه مما يكثر استعماله وتعم به البلوى » .

١٠ - ١ : ما هي المعاريض (أو التورية) ؟ :

قال النووي : « واعلم أن التورية والتعريض معناهما : أن تطلق لفظًا هو ظاهر في معنى ، وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره ، وهذا ضرب من التغرير والخداع » .

قال ابن حجر : « والتورية أن يذكر لفظًا يحتمل معنيين ، أحدهما أقرب من الآخر ، فيوهم إرادة القريب ، وهو يريد البعيد » [3] .

١٠ - ٢ : حكم استعمال التعريض والتورية :

قال النووي : « قال العلماء : فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة على خداع المخاطب أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب ، فلا بأس بالتعريض ، وإن لم يكن شيء من ذلك فهو مكروه وليس بحرام ، إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق ، فيصير (التعريض) حينئذ حرامًا ، هذا ضابط الباب » .

وقال النووي : « مثال التعريض المباح : كان النخعي إذا طلبه رجل قال للجارية : قولي له : اطلبه في المسجد ، وكان الشعبي يخط دائرة ويقول للجارية : ضعي إصبعك فيها وقولي : ليس هو هاهنا ، (أي ليس في الدائرة التي وضعت أصابعها فيها) » أ . هـ .

قلت : وقد استدل البخاري على المعاريض المباحة بقصة أم سليم ، فقال - رحمه الله - : المعاريض مندوحة (أي : فيها فسحة ومتسع) عن الكذب ، وقال إسحاق : سمعت أنسًا يقول : مات ابن لأبي طلحة ، فقال : كيف الغلام ؟ قالت أم سليم : هدأت نفسه ،

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام ، حسن أيوب ، ص ١٥٧ - ١٦٠ ، باختصار .
(٢) الأذكار ، النووي ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، هناك فرق بين التورية والتعريض انظره – للتوسع - في الموسوعة الفقهية ، الكويتية : ج ١٢ / ٢٤٨ .
(٣) الفتح : ٨ / ١١٧ .

وأرجو أن يكون قد استراح ، فإن أبا طلحة فهم من ذلك أن الصبي المريض تعافى ؛ لأن قولها هدأت نفسه ، أي سكن ، وهو مشعر بأنه نام ، والعليل إذا نام أشعر بزوال مرضه أو خفته ، وأرادت هي أنه انقطع بالكلية بالموت ، وذلك قولها : ((وأرجو أنه استراح)) ، فهم منه أنه استراح من المرض بالعافية ، ومرادها أنه استراح من نكد الدنيا وألم المرض ؛ فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرها بذلك غير مطابق للأمر الذي فهمه أبو طلحة [١] .

١١ ـ نماذج من الصادقين :

١١ ـ ١ : حديث كعب بن مالك ﷺ حين تخلف عن غزوة تبوك :

قال ﷺ : ((... فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك ، حضرني بَثِّي ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدًا ؟ واستعنت على ذلك كل ذي رأي من أهلي . فلما قيل لي : إن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا ، زاح عني الباطل ، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا فأجمعت صدقه ، وصبح رسول الله ﷺ قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ؛ فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً . فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت فلما سلمت ، تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : ((**تعالَ**)) ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ((**ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟**)) ، فقلت : بلى ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر . ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله ، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ، ما كان لي عذر ، والله ، ما كنت قط أقوى لا أيسر مني حين تخلفت عنك ! قال رسول الله ﷺ : ((**أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك**)) ، فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتَّبعوني ، فقالوا لي : والله ، ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا ، لقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ، ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي . ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان ، قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن ربيعة العامريُّ ، وهلال بن أمية الواقفيُّ . قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا ، فيهما أسوةٌ . قال : فمضيت حين ذكروهما لي . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، أيها الثلاثة ، من بين من تخلَّف عنه ، فاجتنبنا

---

[١] الفتح : ١٠ / ٥٩٤ ، بتصرف ، انظر ــ للتوسع ـ الآداب الشرعية لابن مفلح : ١ / ١٤ ــ ١٦ .

الناس . وقال : تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .... فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله - عز وجل - منا ، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ! أبشر . قال : فخررت ساجدًا ، وعرفت أن قد جاء فرج . قال : فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحِبيَّ مبشرون . وركض إليَّ رجل فرسًا ، وسعي ساعٍ من أسلم وأوفي الجبل ، فكان الصوتُ أسرعَ من الفرس . فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته . والله ، ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقت أتأمَّمُ رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجًا فوجًا ، يهنئوني بالتوبة ويقولون : لتهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني . والله ! ما قام رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال ، وهو يبرق وجهه من السرور : ((**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**)) ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله ! أم من عند الله ؟ فقال : ((**لا ، بل من عند الله**)) ، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : ((**أمسك بعض مالك فهو خير لك**)) ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر ، فقلت : يا رسول الله ، إنما أنجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت ، فوالله ، ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، أحسن مما أبلاني الله به . والله ، ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾(١) ، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام ، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا ، حين أنزل الوحي ، شر ما قال لأحد ، فقال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾(٢) . قال كعب : وكنا تخلفنا ، أيها الثلاثة ، عن أمر أولئك الذين قبل

---

(١) سورة التوبة [١١٧ - ١١٩] .
(٢) سورة التوبة [٩٥ - ٩٦] .

منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه . فبذلك قال الله - عز وجل - : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾[1] ، وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا ، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه)) [2] .

١١ - ٢ : (تمني عبد الله بن جحش الشهادة) :

وأخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تدعو الله ؟ فخلوا في ناحية ، فدعا سعد فقال : يا رب ، إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديدًا بأسه ، شديدًا حرده ، أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفر عليه ، حتى أقتله وآخذ سلبه ، فأمن عبد الله بن جحش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديدًا حرده ، شديدًا بأسه ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع[3] أنفي وأذنيّ ، فإذا لقيتك غدًا قلت : (فيم جُدِعَ) أنفُك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ﷺ ، فتقول : صدقت . قال سعد : يا بني ، كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي ، لقد رأيته آخر النهار ، وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط [4] .

وأخرجه الحاكم عن سعيد بن المسيب قال : ((قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه : اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدًا فيقتلوني ثم يبقروا [5] بطني ، ويجدعوا أنفي وأذني ، ثم تسألني : بم ذاك ؟ فأقول : فيك . قال سعيد بن المسيب : إني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله)) [6] .

١١ - ٣ : صدق في غير موضعه ! :

((كان ابن أبي عروة الدؤلي يخلع النساء اللاتي يتزوج حتى عُرف بذلك بين

---

(١) سورة التوبة [١١٨] .
(٢) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك ، برقم : ٤٤١٨ ، ورواه مسلم .
(٣) أي : يقطع .
(٤) قال الهيثمي (٩ / ٣٠١) : رجاله رجال الصحيح أ. هـ . وهكذا أخرجه البغوي كما في ((الإصابة)) ٢ / ٢٨٧ ، وابن وهب كما في ((الاستيعاب)) ٢ / ٢٧٤ ، والبيهقي ٦ / ٢٠٧ مثله . وهكذا أخرجه أبو نعيم في ((الحلية)) ١ / ١٠٩ ، إلا أنه لم يذكر دعاء سعد ، واقتصر على دعاء عبد الله . قال محقق كتاب حياة الصحابة : أخرجه أبو نعيم (١ / ١٠٩) وغيره ، وفي إسناده أبو صخر حميد بن زياد ، وفيه كلام يضعفه ، ولاسيما عدم المتابعة في حديثه ، وفيه إسحاق بن سعد بن أبي وقاص : ليس بمعروف الرواية ، لم يوثقه غير ابن حبان ٤ / ٢١ ، وذكره ابن أبي حاتم ٢ / ٢٢١ ، ولم يذكر فيه شيئًا ، ولم يذكرا له راويًا غير يزيد بن عبد الله بن قسيط .
(٥) أي : يشقوا .
(٦) قال الحاكم (٣ / ٢٠٠) : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه . وقال الذهبي : مرسل صحيح أ. هـ ، وهكذا أخرجه ابن شاهين ، وابن المبارك في ((الجهاد)) ، كما في ((الإصابة)) ٢ / ٢٨٧ ، وأبو نعيم في ((الحلية)) ١ / ١٠٩ ، وابن سعد ٣ / ٦٣ . قال محقق ((حياة الصحابة)) : ضعيف الإرسال .

الناس . وفي ذات يوم أخذ ابن أبي عروة معه عبد الله بن الأرقم حتى أدخله بيته ، فقال لامرأته وابن الأرقم يسمع : أنشدك بالله هل تبغضيني ؟ فقالت امرأته : لا تناشدني ، قال : بلى ، فقالت : اللهم نعم . قال ابن أبي عروة لعبد الله : أتسمع ؟ ثم انطلق حتى أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، يحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن ، فاسأل عبد الله بن الأرقم عما سمع من امرأتي . فسأل عمر عبد الله فأخبره ، فأرسل عمر إلى امرأته فجاءت ، فقال لها : أنت الذي يحدثني زوجك أنك تبغضينه ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، أنا أول من تاب وراجع أمر الله ، إنه يا أمير المؤمنين أنشدني بالله فتحرجت أن أكذب ، أفأكذب يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك ، فإن أقل البيوت الذي يُبنى على الحب ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والإحسان))[1] .

١١ - ٤ : لما مات عليٌّ بن الحسين فغسَّلوه ، جعلوا ينظرون إلى آثار سُود في ظهره فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء المدينة . قال أهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين [2] .

١١ - ٥ : خطب الحجاج بن يوسف يومًا ، فأطال الخطبة ، فقال أحد الحاضرين : الصلاة ! فإن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك ، فأمر بحبسه ، فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون ، فقال الحجاج : إن أقر بالجنون خلصته من سجنه ، فقال الرجل : لا يسوغ لي أن أجحد نعمة الله التي أنعم بها علي وأثبت لنفسي صفة الجنون التي نزهني الله عنها ، فلما رأى الحجاج صدقه خلّى سبيله .

١١ - ٦ : روى الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه ، وهو يشير إليها برداء كأن فيه شعيرًا فجاءته فأخذها ، فقال البخاري : أكان معك شعير ؟ فقال الرجل : لا ، ولكن أوهمتها ، فقال البخاري : لا آخذ الحديث ممن يكذب على البهائم . فكان هذا من البخاري مثلاً عاليًا في تحري الصدق [3] .

١٢ ــ مسائل :

١٢ - ١ : ما حكم الكذب غير المتعمد ؟

لا يأثم الإنسان بالكذب إلا إن كان متعمدًا ، لقوله ﷺ : ((**من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**)) [4] .

---

(١) قال محقق كتاب مساوئ الأخلاق للخرائطي (٨٩) : إسناده حسن ، في سنده يونس بن يزيد ، ثقة ، إلا أن في روايته عن الزهري وَهْمًا قليلا كما قاله الحافظ ابن حجر في التقريب ص ٦١٤ . وفيه أيضًا السائب ذكره أبو حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً . انظر الجرح والتعديل (٤ / ٢٤٢) .
(٢) صفة الصفوة : ٢ / ٩٦ ، وانظر : أين نحن من أخلاق السلف ؟ ص٩ .
(٣) منهاج المسلم ، ١٧٤ ، انظر أيضًا - لمزيد من الصور - روضة العقلاء ، ٨١ - ٨٣ .
(٤) متفق عليه .

فإن كان ناسيًا ، أو جاهلاً ، أو مخطئًا فإنه لا يأثم ، وإن صدق عليه أنه كذب عند أهل السنة ؛ إذ الكذب عندهم هو : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، وإنما قلنا لا يأثم إلا بالكذب العمد للحديث السابق ، فهو نص في ذلك . أ هـ . كلام النووي بتصرف [1] .

١٢ - ٢ : ما الأسباب الباعثة على الكذب ؟

هناك بواعث كثيرة تدفع صاحب النفس الدنيئة إلى الكذب ، ومنها :

أولاً : قلة الخوف من الله وعدم مراقبته في كل دقيقة وجليلة .

ثانيًا : محاولة تغيير الحقائق وإبدالها ؛ سواء لرغبة في الزيادة أو النقصان ، وسواء للتفاخر أو لمكسب دنيوي أو غيره ، مثل من يكذب في ثمن شراء أرض أو سيارة ، أو إيهام أهل المخطوبة بمعلومات غير صحيحة وغيرها .

ثالثًا : مسايرة المجالس ولفت الأنظار بقصص ومعلومات كاذبة .

رابعًا : عدم تحمل المسؤولية ومحاولة الهرب من الحقائق في الأزمات والمواقف .

خامسًا : التعود على الكذب منذ الصغر ، وهذا من سوء التربية ؛ فهو منذ نعومة أظفاره يرى والده يكذب وأمه كذلك ، فينشأ في هذا المجتمع .

سادسًا : المباهاة بالكذب ، وأنه نوع من الذكاء ومن سرعة البديهة وحسن التصرف[2].

خامسًا : بعض التطبيقات العملية لتأكيد معاني الدرس :

١- قراءة كتاب في آفات اللسان .

٢- استخراج الفوائد والعبر من قصة كعب بن مالك رضي الله عنه .

٣- الوفاء بالمواعيد والعهود وصدق الالتزام بها ، ويعني :

أ - الحضور في الموعد دون تأخير أو تأجيل إلا لعذر قاهر .

ب - أداء ما التزمه المرء فيها من واجبات .

٤- الوفاء للدعوة التي عاهد الله على نصرتها ، وبايع الدعاة على نشرها ورفع رايتها ؛ وذلك بالثبات عليها ، والإخلاص فيها ، ومن المظاهر العملية لذلك :

- الالتزام بخط الدعوة مهما عظمت الابتلاءات ، وكثرت المحن .

---

(1) نقلاً عن السلوك الاجتماعي ، ص ١٦١ .
(2) الكذب ، عبد الملك القاسم ، ص ١٤ .

- توسيع دائرتها بالحرص على الاتصال بالناس ودعوتهم ونشر الخير بينهم ؛ ليكونوا جنودًا مخلصين للدعوة .

٥- محاسبة النفس على النيات لئلا يشوبها رياء ، ومحاسبتها على العزائم لئلا تعتاد القعود وعدم الوفاء بها (إذا وضع برنامج لتربية نفسه جاهدها في تنفيذه) .

٦- التناصح في دقة النقل والتثبت في الأحكام ، وضبط اللسان والحذر من آفاته .

٧- صدق الاتباع للسُّنة في الجوهر والمظهر ، واتباع السلف الصالح في هديهم ودَلِّهم .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- الصدق وأثره في حياة الفرد والأمة ، صفوت عبد الفتاح محمود ، دار ابن حزم ، ط٣ .

٢- الأذكار النووية ، النووي ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الورَّاق .

٣- مسؤولية الكلمة ، عبد الله بن وكيل الشيخ ، دار الوطن ، ط١ .

٤- أين نحن من أخلاق السلف ؟ الجليل وبهاء الدين ، دار طيبة ، ط٢ .

٥- ثوابت للمسلم المعاصر ، صلاح الخالدي ، دار الإسراء .

٦- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت ، ط٢ .

٧- آفات اللسان ، إبراهيم المشوخي ، مكتبة المنار ، ط٢ .

٨- معجم الكبائر ، اختصار وتهذيب رجائي بن محمد المصري ، الفاروق للطباعة والنشر ، ط ١ .

٩- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيثمي ، مكتبة نزار الباز ، ط١ .

١٠- السلوك الاجتماعي في الإسلام ، حسن أيوب ، دار الندوة الجديدة ، ط٤ .

١١- مساوئ الأخلاق ومذمومها ، الخرائطي ، مكتبة السوادي ، ط١ .

١٢- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ، ابن النحاس ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

١٣- خلق المسلم ، الغزالي ، الاتحاد الإسلامي العالمي .

١٤- إذا صح الإيمان ، عبد الله السلوم ، دار المسلم ، ط١ .

١٥- كتاب الزهد ، الإمام وكيع بن الجراح ، مكتبة الدار ، ط١ .
١٦- الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم ، ط٤ .
١٧- موسوعة نضرة النعيم ، إشراف : صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح ، دار الوسيلة ، ط١ .
١٨- مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي ، المكتب الإسلامي ، ط٥ .
١٩- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسن عقيل موسي ، دار الأندلس الخضراء .
٢٠- حياة الصحابة ، محمد الكاندهلوي ، إعداد فريق الأفكار الدولية .
٢١- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري ، دار الجيل ، ط٢ .
٢٢- إسلامنا ، سيد سابق ، دار الكتاب العربي .
٢٣- المنهاج ، هاشم محمد علي ، دار البيان ، ط٢ .
٢٤- فصول في الإمرة والأمير ، سعيد حوي .
٢٥- الذريعة ، الأصفهاني ، دار الكتب العلمية .
٢٦- منهاج المسلم ، أبو بكر الجزائري ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط٨ .
٢٧- روضة العقلاء ، أبو حاتم البستي ، مكتبة نزار الباز ، ط١ .
٢٨- فقه السيرة ، الغزالي ، دار الريان للتراث ، ط١ .
٢٩- صفات الداعية النفسية ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام ، ط١ .
٣٠- تكاليف القلب السليم ، محمد صفوت العلي ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، ط١ .
٣١- الوفاء بالوعد والصدق في العهد ، عادل مختار ، دار الصحابة للتراث ، ط١ .
٣٢- الكذب ، عبد الملك القاسم ، دار القاسم ، ط٣ .
٣٣- موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي .
٣٤- صحيح شعب الإيمان ، خالد العك ، المكتب الإسلامي ، ط١ .

ربانية

الربانية

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

● قال في المعجم الوجيز : ((الرباني : الكامل في العلم والعبادة ، والرباني المنسوب إلى الرب))[1] .

● وقال في لسان العرب ما ملخصه : الرباني : العالم ، والجماعة : الربانيون .

ب - اصطلاحًا :

قد أورد القرطبي - رحمه الله - عدة تفسيرات لمعنى الرباني في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾[2] ملخصها :

أ – **مربٍّ حكيم** :

الربانيون واحدهم رباني ، منسوب إلى الرب ، والرباني : الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وكأنه يقتدي بالرب - سبحانه - في تيسير الأمور ، رُوي معناه عن ابن عباس . قلت : هو في صحيح البخاري معلقًا[3] .

ب – **داعية مصلح** :

قال : الربانيون : أرباب العلم ، واحدهم ربان ، من قولهم : ربه يربه فهو ربان : إذا دبره وأصلحه ، فمعناه على هذا : يدبرون أمور الناس ويصلحونها .

جـ – **عامل بعلمه الرباني** :

العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه ؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم .

---

(١) المعجم الوجيز ، ٢٥٠ .
(٢) سورة آل عمران [٧٩] .
(٣) الفتح : ١ / ١٦٠ .

د – تقيٌّ حليم :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ قال : حكماء علماء [١] ، وقال ابن جبير : ((حكماء أتقياء)) .

هـ – فقيه بواقع أمته :

الرباني : ((الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة ، مأخوذ من قول العرب : رب أمر الناس يربه إذا أصلحه وقام به ، فهو راب ورباني على التكثير . قال أبو عبيدة : سمعت عالمًا يقول : الرباني : العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي ، العارف بأنباء الأمة ، وما كان وما يكون))[٢] .

وجعل ابن القيم - رحمه الله - درجة الصديقية تعريفًا للربانيين فقال عنهم : ((هم ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم ، وهم القائمون بما بُعثوا به علمًا وعملاً ودعوة للخلق إلى الله ، على طرقهم ومناهجهم الصديقية ؛ ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾[٣] . فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة ، وهؤلاء هم الربانيون ، وهم الراسخون في العلم ، وهم الوسائط بين الرسول وأمته ، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه ، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك))[٤] .

والخلاصة :

فالربانيون : هم الذين يجمعون بين العلم والعمل والدعوة والصبر على ذلك كله والثبات عليه .

قال أبو السعود : ((الرباني : الكامل في العلم والعمل ، الشديد التمسك بطاعة الله - عز وجل - ودينه))[٥] .

---

(١) قال الإمام البخاري : ((وقال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء فقهاء . ويُقال الرباني يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره)) ، قال ابن حجر (الفتح : ١ / ١٦١) : وهذا التعليق وصله ابن أبي عاصم أيضًا بإسناد حسن ، والخطيب بإسناد آخر حسن . وقد فسر ابن عباس الرباني ((بأنه الحكيم الفقيه ، ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبراهيم الحربي في غريبه عنه بإسناد صحيح)) .
(٢) تفسير القرطبي : ٤ / ١٢٢ .
(٣) سورة النساء [٦٩] .
(٤) طريق الهجرتين : ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .
(٥) تفسير أبي السعود : ٢ / ٥٢ ، وانظر أيضًا فتح القدير : ١ / ٤٣٥ .

جـ - المصطلحات القريبة :

● **الربيون** : وقد ورد ذكرهم في قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

- فالربِّيون - بكسر الراء - : مفردها الربي . قال الخليل : الربي الواحد من العباد الذين صبروا مع الأنبياء .
- والربيون : الجماعات الكثيرة منسوب إلى الربة - بكسر الراء وضمها - وهي الجماعة .
- وقال الحسن : هم العلماء الصُّبُر[2] (أي : الذين صبروا على ما أصابهم في سبيل الله) .

وبهذا تكون صفة الربانية من صفات الربيين الذين هم أتباع الأنبياء والمقتدون بهم والحاملون للوائهم ، والذين ثبتوا على دعوتهم ووطنوا أنفسهم على الموت في سبيلها ونصرتها .

بل ذهب البعض إلى أن الربانيين هم الربيون[3] .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- بيان أهمية الربانيين في الأمة ، وحاجة الدعوة لهم .
٢- غرس صفة الربانية في القلوب ، وتربية النشء عليها من خلال التعريف بها وكيفية الوصول إليها .
٣- التأكيد على مفهوم العمل بالعلم الذي هو من أهم معالم الربانية ؛ ولهذا عرف الكثير من السلف الربانيين بأنهم الذين يعملون بما يعلمون .
٤- بيان آثار صفة الربانية على شخصية المسلم ، مع عرض نموذج لرباني من ربانيي الأمة .

---

(١) سورة آل عمران [١٤٦ - ١٤٨] .
(٢) انظر تفسير القرطبي : ٤ / ٢٣٠ .
(٣) انظر ، مفردات ألفاظ القرآن ، للأصفهاني ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

٥- التحذير من موهنات الربانية ، والابتعاد عنها ، ووقاية النفس والنشء منها .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- من هم الربانيون ؟ وهل هناك فرق بين الربانيين والربيين ؟
٢- أهمية وجود الربانيين في قافلة الدعوة .
٣- كيف نصل إلى الربانية ؟
٤- معالم مهمة في شخصية الرباني .
٥- قواعد ينطلق منها الربانيون .
٦- من آثار الربانية في حياة الربانيين .
٧- موهنات الربانية .

رابعًا : العرض :

١- من هم الربانيون ؟ ((انظر دلالة المصطلح)) .

٢- أهمية وجود الربانيين في قافلة الدعوة :

٢ - ١ : لأن الدعوة تحتاج إلى حكمة ، فالحكمة ركن من أركانها ، والربانيون هم العلماء الحكماء ، فقد وصفهم ابن عباس بأنهم يربون الناس بصغار العلم قبل كباره . أي ما وضح من مسائله قبل ما دق منها . وهذا من حكمتهم ، وما أحوج الدعوة لأمثالهم .

٢ - ٢ : ولأن الربانيين شهداء رقباء يحمون الدعوة ويذبون عنها ، ويحاربون المنكر ويقومون على الناس بذلك كما قال تعالى : ﴿ **لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ** ﴾(١) .

٢ - ٣ : ولأن الربانيين هم المؤهلون للثبات على الدعوة ، والاستمرار على تبليغ الدعوة مهما أصابهم في ذلك من لأواء أو بلاء كما قال تعالى : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾(٢) . فالربانيون هم أحق الناس بهذه الصفات الفاضلة وهم المقتفون لآثار الأنبياء ، الذين وطنوا نفوسهم لنصرة الدعوة مهما واجهتهم من فتن وابتلاءات .

---

(١) سورة المائدة [٦٣] .
(٢) سورة آل عمران [١٤٦] .

٢ ـ ٤ : ولأن النصر والتأييد مرتبط بوجودهم ، فحظ الدعوة من النصر والتأييد الرباني بقدر ما فيها من الربانية والربانيين ، فهم أهل الإيمان الذين وعد الله تعالى بنصرهم .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : « وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل ». قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[2]. فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد ؛ ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو بإدالة عدوه عليه ، فإنما هي بذنوبه ، إما بترك واجب ، أو فعل محرم ، وهو من نقص إيمانه[3] ، وما أصاب الدعوة من تراجعات في بعض ميادينها إلا بسبب ذنوب دعاتها وقلة نصيبهم في الربانية .

٢ ـ ٥ : ثم إن وجود الربانيين في الأمة يقودون قافلة الدعوة ـ مطلب من مطالب الرسل وهدف من أهدافهم في الدعوة ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾[4] . ومن هنا نلحظ أهمية وجود الربانيين في الدعوة والأمة[5] .

٣ ـ كيف نصل إلى الربانية ؟

أمر الله ـ عز وجل ـ عباده المؤمنين وأولياءه المتقين بأن يكونوا ربانيين ، وهي نسبة تشريف وتكليف في آن واحد ؛ إذ التشريف فيها نسبتهم إليه ، والتكليف فيها أنهم يربون أنفسهم على منهاجه والالتزام بشرعه ، وهذا هو الطريق إلى الربانية والباب الذي يولج إليها منه .

وإليك بعض الوسائل التي هي مفاتيح هذا الباب ، وزاد تقطع به الطريق وتصل به إلى الغاية :

٣ ـ ١ : تعلم الكتاب وتعليمه :

إن من أعظم أسباب الوصول إلى الربانية ، ذكر الله ـ عز وجل ـ وأفضل الذكر كتاب الله ، وكلما قويت صلة العبد بهذا الكتاب تلاوة وحفظًا ،

---

(١) سورة غافر [٥١] .
(٢) سورة الصف [١٤] .
(٣) إغاثة اللهفان : ٢ / ١٨٢ .
(٤) سورة آل عمران [٧٩] .
(٥) انظر رسالة إحياء الربانية ، ص ١٧ – ١٨ ، وص ٤٠ .

وتدبرًا وعملاً ، ازداد إيمانًا وثباتًا ؛ فهو يورث المحبة وتحصل به المعية ، ويعين على سائر الطاعات والقربات ، ويقي من الفواحش والمنكرات ؛ ولهذا كان أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، وأصحابه هم أهل السبق والخيرية ، وهم أكمل الناس خلقا وأكثرهم لله ذكرًا ، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية ؛ ولهذا قال الله تعالى في آية « الربانية »: ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾(1).

فالآية تنص على وسيلتين لتحقيق الربانية وتعميقها في الشخصية الإسلامية ، ودلت على الوسيلتين « باء السببية » المذكورة مرتين في الآية : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ :

- الوسيلة الأولى : ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ : تعليم الآخرين الكتاب ، ونشر العلم بينهم ، وتربيتهم على ذلك المنهج الرباني .
- الوسيلة الثانية : ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ، أي : أن يدرس الرباني صاحب العلم ويتعلم ، ويربي نفسه بعلمه ودراسته (2) . قال الشوكاني - رحمه الله - : « فإن حصول العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما الربانية التي هي التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة الله »(3).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : فجهاد النفس أربع مراتب :

الأولى: أن يجاهدها على تعلم الهدى ، ودين الحق الذي لا فلاح لها ، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت في الدارين .

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ويتحمل ذلك كله لله .

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع ، صار من الربانيين (4) .

---

(1) سورة آل عمران [٧٩] .
(2) الخطة البراقة لذي النفس التواقة ، ص ٧٠ - ٧١ ، وانظر أيضًا فتح القدير : ١ / ٤٣٥ .
(3) فتح القدير : ١ / ٤٣٥ .
(4) زاد المعاد ، ابن القيم : ٣ / ١٠ .

٣ - ٢ : العبادة [١] :

لا ربانية بدون عبادة ، وكلما ازداد المرء عبادة بمفهومها الشامل ، رسخت قدمه في طريق الربانية ؛ فالرباني عابد لله في حياته كلها ، « في طعامه وشرابه ، ونومه ويقظته ، وكلامه وسكوته ، وحركته وجلوسه ، عابد لله في بيته ، وفي وظيفته ، وفي زياراته ، وفي ارتباطاته »[٢] . وقد فسر الحسن - رحمه الله - الربانية بالعبادة والتقوى فقال في قوله تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ ، أي : أهل عبادة وأهل تقوى (انظر تفسير ابن كثير) .

ولابد من العمل على عبودية القلب ، واللسان ، والجوارح ، « فعبودية القلب بمجاهدته في الإخلاص ، وتوحيد الحب والتوكل والخوف والرجاء لله وحده ، وعبودية اللسان بأن توظف هذه الجارحة في طاعة الله ذكرًا ، ودعوة ونحوها من العبادات ، وكفها عن آفاتها من الغيبة والنميمة والكذب ونحوها . وأما عبودية الجوارح فمثل اللسان في استثمارها في طاعة الله وكفها عن معصيته » ، وسنتناول موضوع العبودية في مبحث خاص - إن شاء الله - لأهميته .

والخلاصة : أن الرباني قد أوقف عمره ونفسه وماله لله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٣] .

٣ - ٣ : البيئة الربانية :

لابد للمرء من أخوة له في الله يذكرونه إذا نسي ، ويعينونه إذا ذكر ، ويسددونه إذا أخطأ ، ويتواصى معهم بالحق ويتعاهدون على الثبات والصبر ، كما أنه يستأنس بصحبتهم ؛ لأن طريقه موحشة ، لاسيما مع كثرة قطاع الطريق ، وكثرة الذئاب التي أخذت تنقض على مجتمعات بأسرها ، فضلاً عن القاصية المنفردة . كما أن الرباني بحاجة إلى هذه البيئة ليدعو من خلالها ، وليستأنس برؤيتها وآرائها وتصوراتها ، ولينطلق من منطلق جماعي بعيد عن خطأ الفرد الذي تحتوشه - غالبًا - الرؤى القاصرة والعواطف المتقلبة ، كما أنها مهمة ليستنشق في أجوائها عبق الأخوة والإيثار والتعاون على البر والتقوى وغيرها من الأخلاق التي لا توجد إلا في محيط جماعي والمتأمل في آية : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ يجد فيها روح البيئة الربانية ؛ ففيها الخطاب الجماعي ،

(١) انظر ــ للتوسع - ربانية لا رهبانية ، لأبي الحسن الندوي .
(٢) الخطة البراقة ، ص ٩١ ، وانظر أيضًا إحياء الربانية ، ص ٤٠ .
(٣) سورة الأنعام [١٦٢ - ١٦٣] .

وفيها المدارسة والتعليم ودعوة الناس ، وكلها تؤكد على ضرورة هذه البيئة للوصول إلى الربانية ، بل لا يتصور الوصول إلى الربانية إلا بوجود المرء في هذه البيئة المباركة ، يتدارس فيها كتاب الله ، ويدعو الناس إليه .

٣ - ٤ : منهج السير :

الوصول إلى الربانية يحتاج إلى منهج متكامل يُراعَى فيه الجوانب العلمية والروحية والسلوكية والدعوية من خلال برنامج يومي أو أسبوعي أو فصلي يضع الأطر العامة ، ويوزع الأعمال ويحدد الواجبات والأولويات ؛ فهناك - على سبيل المثال - الورد اليومي من الأذكار ، وإلى جانب ذلك التزام بالفرائض ، وحرص على السنن والنوافل ، وورد محاسبة يحصي على اللسان زلاته ، وعلى القلب هفواته وآفاته ، ويعطي للعقل حقه من الفقه في تدرج متزن للعلوم الشرعية التي بها حياة القلوب ، والدعوة لها حظ ونصيب من برامجه بحيث تتواءم مع برامج إخوانه الدعاة فلا تتضارب ولا تتعارض ؛ فطالب الربانية مكمل لعمل إخوانه لا ناقض ، يدعم الموجود وينشئ المفقود ، ويتعاون معهم على البر والتقوى .. والمهم أن وسائل الوصول إلى الربانية والثبات عليها لابد أن توضع في جدول عملي يراعي الزمن ، ويحدد الأولويات ، ويستكمل النقص .

٤ - معالم مهمة في شخصية الرباني :

هناك معالم مهمة لابد من بروزها في شخصية الرباني ، كما أنها تمثل معايير ذاتية يعرف بها المرء مدى ربانيته ، وهي - أيضًا - علامات يهتدي بها للوصول إلى الغاية من خلال مجاهدة النفس للتحقق بمثل هذه الصفات أو المعالم .

٤ - ١ : الإخلاص :

الرباني قد صفا قلبه من شوائب الشرك الخفي ، فهو متجه بكليته لله ؛ فحبه لله ، وبغضه لله ، وعطاؤه لله ، ومنعه لله ، وكلامه لله ، وسكوته لله .. ولهذا تجد العمل القليل منه يعدل العمل الكثير من غيره في أثره ونفعه ، وأثر كلامه في النفوس - على قلته وتواضعه - أعظم وأبلغ من الكثير من كلام غيره ممن همه مطالب دنيوية ومصالح شخصية .

قال أبو الحسن الندوي - رحمه الله - : « إن الإخلاص والحب يحيي موات الأعمال ، وينفخ الروح في الجهود الإصلاحية ، والكفاح الإسلامي ، ويملؤه قوة وأملاً ، ونشاطًا وعزة ، فترجع الروحانيات إلى العبادات ، ويرجع النور إلى العلم ، وترجع القوة والبركة إلى التعليم والتدريس ، ويرجع التأثير إلى الخطابة والوعظ ، ويرجع القبول والقوة إلى الدعوة

والإصلاح ، ويرجع الأثر المسلوب والجمال المحجوب إلى الكتابة والتأليف ، ويعود التوفيق والنجاح وحسن العاقبة إلى الجهود السياسية والتنظيمية))[1] .

قال الإسماعيلي : ((الرباني نسبة إلى الرب ، أي الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل))[2] .

٤ - ٢ : الحكمة :

فالرباني صاحب حكمة في دعوته وتربيته ، وفي حكمته أنه ((يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)) مراعاة للسنة الربانية في التدرج بالعباد في التشريع ، وقد روي عن علي ﷺ في وصف الربانيين قوله ((هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها))[3] .

٤ - ٣ : سلامة القلب والصدر :

مما يميز الربانيين عن غيرهم سلامة قلوبهم ونقاء سريرتهم من الآفات ، فقلب الرباني مخموم كما وصفه رسول الله ﷺ عندما سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : ((**كل مخموم القلب ، صدوق اللسان**)) ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : ((**هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا غل ولا حسد**)) .

وسلامة القلب والصدر تعني بالأخص :

- سلامته من التعلق بالدنيا وشهواتها والخلود إليها .
- سلامته من الغفلة .
- سلامته من الحقد والحسد .

وقبل هذا كله وبعده سلامته من لوثات الشرك .

٤ - ٤ : العلم :

مما يميز شخصية الرباني ، انطلاقه من قاعدة شرعية في جميع أقواله وأفعاله ، وتصوراته وأحكامه .. وهذه القاعدة تكونت لديه من اهتمامه بطلب العلم وحرصه عليه ، وأخذه عن العلماء ، وقراءته لكتب السلف والإفادة من تراثهم ، وقد وصف الحق - عز وجل - الربانيين بأنهم يتعلمون ويعلمون

---

(1) ربانية لا رهبانية ، ص ٤٠ - ٤١ .
(2) فتح الباري : ١ / ١٦١ .
(3) زاد المسير في علم التفسير : ١ / ٤١٣ ، نقلاً عن هذه أخلاقنا ، ص ٢٧١ .

الكتاب ، فهي صفة بارزة ، وعلامة واضحة .

٤ - ٥ : الدعوة (الحركة) :

لا نقصد بالعلمية في الفقرة السابقة حفظ المتون مع جمود وسكون ؛ وإنما هي علمية متحركة في خدمة الأمة والسعي في حاجاتها ، فالرباني يحمل همَّ الدعوة ، ويدرك واجبه تجاه أمته في ضرورة دعوة أبنائها وتربيتهم والارتقاء بهم إيمانيًا وعباديًا وسلوكيًا ، ويسعى جاهدًا في نشر الفضائل ومحاربة الرذائل ، ويتصدى لأعداء الأمة بقدر استطاعته محذرًا من فسادهم ، وفاضحًا لمخططاتهم ، وقد وصف الله - عز وجل - الربانيين في كتابه بهذا كله فقال : ﴿ **لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ** ﴾(١) ، وقال في جهادهم لأعداء الأمة : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ** ﴾(٢) .. والربي هو الرباني على قول بعض أهل العلم .

٥ - رباني يوصي طلابه :

هذه جوانب من حياة أحد الربانيين من سلفنا الصالح ، نستطلع فيها صورًا تطبيقية لحال الرباني في جوانب متعددة ، ونسمع بعضًا من وصاياه وتوجيهاته الربانية - عبد الله بن مسعود ﷺ : رجل من السابقين المهاجرين ، المؤمنين المتقين ، العاملين لدين الله المخلصين .

٥ - ١ : الربانية في العلم :

- قال ﷺ : لقد تلقيت من فِي [فم] رسول الله ﷺ سبعين سورة .
- وقال ﷺ : ((والذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله لركبت إليه))(٣) .
- وقال عنه النبي ﷺ : ((**من سرَّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد**)) .
- وقد أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس ، فقال عمر : ((كُنَيْفٌ ملئ فقهًا)) . وقال أبو موسى الأشعري : لا تسألونا عن شيء ما دام هذا

---

(١) سورة المائدة [٦٣] .
(٢) سورة آل عمران [١٤٦] .
(٣) صحيح البخاري ، فضائل القرآن : ٩ / ٤١٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عبد الله ابن مسعود .

الحبر بين أظهرنا من أصحاب محمد ﷺ ، يعني عبد الله بن مسعود .

- وحتى يحث على القرآن ﷺ فكان يقول : إن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئًا فليفعل .

٥ ـ ٢ : العمل بالعلم وظهور آثاره على صاحبه :

قال ابن مسعود : ((ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس يفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخلطون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون ؛ وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا ، حكيمًا حليمًا عليمًا سكيتًا ؛ وينبغي لحامل القرآن ألا يكون جافيًا ، ولا غافلاً ، ولا صخابًا ولا صياحًا ، ولا حديدًا)) .

وقال : ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكن العلم الخشية . وصدق والله ﷺ إذ ما الفائدة من علم لا ينتفع به صاحبه ، ولا يزداد به خشية .

وقال : ((ويل لمن لا يعلم ، ولو شاء الله لعلمه ، وويل لمن يعلم ، ثم لا يعمل)) (سبع مرات) .

٥ ـ ٣ : استثماره لأوقاته واستغلاله لساعات ليله ونهاره :

قال عبد الله بن مسعود : ((إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا ، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة)) .

وقال : ((لا ألفين أحدكم جيفة ليل ، قطرب نهار)) . قال ابن عيينة : القطرب الذي يجلس هاهنا ساعة ، وهاهنا ساعة ، أي : يتمشى دونه هدف صالح مفيد .

٥ ـ ٤ : العبادة والذكر والصلة بالله :

قال : ((إنما هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره)) ، وقال : ((إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه ، للخطيئة يعملها)) .

وكان أشبه الناس هديًا ودلاًّ برسول الله ﷺ[1] ، خاشع التلاوة ؛ فقد بكى رسول الله ﷺ حين قرأ عليه ابن مسعود صدر سورة النساء .

وكان يوصي طلابه وتلامذته بأداء الصلوات في أوقاتها فيقول : ((إنه سيكون قوم يميتون الصلاة ، فصلوا لوقتها ، واجعلوا صلاتكم معهم تطوعًا)) .

---

(1) انظر صحيح البخاري : ٧ / ٨٢ في المناقب .

٥ ـ ٥ : جهاده ودعوته وصبره وثباته :

أ ـ قال عنه الحافظ ابن حجر : أسلم قديمًا ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، ولازم النبي ﷺ ، وحدَّث عن النبي ﷺ بالكثير .

ب- وهو أول من جهر بالقرآن في مكة ولم يبال بما أصابه ﷺ .

جـ- وهو الذي أجهز على أبي جهل .

د ـ وهو من الذين ثبتوا يوم حنين يوم أن ولَّى الناس مدبرين .

هـ- وهو أحد الثمانية الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح بُعَيْدَ غزوة أحد (١) .

و ـ وهو الذي ملأ الكوفة علمًا وفقهًا ، وأسس مدرسة فقهية دعوية جعلت من الكوفة مدينة علم وفقه قرونًا متطاولة .. ربَّى فيها الطلاب على القرآن روايةً ودراية .

ز ـ وكان يقول مميزًا بين القاعدين والمجاهدين العاملين القائمين بالدعوة :

« لا يجعل الله - عز وجل - من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له » .

٥ ـ ٦ : الزهد والتقلل من الدنيا :

قال ﷺ : « لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم ، فهانوا عليهم ، سمعت نبيكم ﷺ يقول : **من جعل الهموم همًّا واحدًا ؛ همه المعاد ، كفاه الله سائر همومه ، ومن شعبته هموم أحوال الدنيا ، لم يبال الله في أي أوديتها هلك** » .

وكان يقول لتلامذته : « من استطاع منكم أن يجعل كنزه حيث لا يأكله السوس ، ولا تناله السراقة ، فليفعل ، فإن قلب الرجل مع كنزه » .

٥ ـ ٧ : حكمته :

حكمته في درء الاختلاف ، فمن أشهر أقواله عندما سئل عن سبب متابعته لعثمان بن عفان ﷺ يوم أتم الصلاة في مِنيً فقال : « الخلاف شر »

---

(١) انظر لمزيد من سيرة هذا العالم ﷺ :
- مختصر تاريخ ابن عساكر ، لابن منظور : ١٤ / ٤٥ ـ ٤٧ ، حلية الأولياء لابي نعيم : ١ / ١٢٤ ، ترجمة رقم : ٢١.
- أسد الغابة ، ابن الأثير : ٣ / ٢٥٥ .
- سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ١ / ٤٦١ .
- تمييز الصحابة ، لابن حجر ، رقم : ٤٩٤٥ .

.

وكـان يوصـي بـذلك طلابـه ويحـثهم علـى عـدم الاخـتلاف ، ومـن ذلـك حثـه لهـم بعـدم الاخـتلاف علـى قـراءة القـرآن ، وأن القـرآن قـد نـزل علـى أحـرف كلهـا خير .

٥ ـ ٨ : سلامة صدره وصفاء سريرته :

عـاش ﷺ طـاهر القلـب ، سـليم الصـدر ، أبـيض الصـفحة ، لا يحمـل حقـدًا لأحـد مـن المسـلمين ، إنـه سـليم الصـدر علـى البهـائم ، فضـلاً عـن إخوانـه المسـلمين . روى أبـو نعـيم بإسـناده : أن عصـفورًا مـرَّ مـن فـوق رأس عبـد الله فقـذف أذى بطنـه ، فنكتـه بيـده وقـال : لأن يمـوت آل عبـد الله ، ثـم أتـبعهم أحـب إلـيَّ مـن أن يمـوت هـذا العصـفور .. فهـذا موقفـه مـن البهـائم ؛ فكيـف بإخوانـه المسلمين ؟ .

٦ ـ قواعد ينطلق منها الربانيون :

٦ ـ ١ : ((تعلموا قبل أن تسودوا)) :

وهـذه القاعـدة تـدفعهم للاسـتزادة مـن العلـم قبـل كثـرة المشـاغل ، وقبـل تزاحم الواجبات وتتابع المسؤوليات .

٦ ـ ٢ : ((الحكمة ضالة المؤمن ..)) :

وهذه القاعدة تدفعهم إلى :

- مراعاة التدرج في تربية الخلق .
- بُعد النظر في تحليل الأمور والحكم عليها .
- الاستشارة .

٦ ـ ٣ : ((الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)) :

وهذه القاعدة تؤكد عندهم :

- أهمية الوقت وضرورة الاستفادة منه .
- الحذر من تضييعه وإهداره بما لا ينفع .

٦ ـ ٤ : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) :

وهـذه القاعـدة تحفـظ أوقـاتهم وقلـوبهم وعقـولهم مـن الانشـغال بالسفاسـف والترهات ، وما لا طائل وراءه من الأعمال والأقوال .

٦ ـ ٥ : ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)) :

وهـذه القاعـدة تحصـي علـيهم أعمـالهم ، ويحاسـب كـل واحـد مـنهم نفسـه

على حركاته وسكناته وكلماته وسكتاته ، للتصحيح والتسديد والتوبة والاستغفار عن كل عمل غير رشيد .

٦ - ٦ : « إن الله معنا » :

وهذه القاعدة لها فروع كثيرة ، منها :

– استحضار مراقبة الله لعبده .

– الثقة بالله ، وأنه يحفظ عباده المؤمنين ، ويسددهم ويتولى أمرهم .

٦ - ٧ : « فاذكروني أذكركم » :

ولا يقتصر الذكر عند الربانيين علي التسبيح والتهليل ، بل إن الذكر عندهم بمعنى الطاعة .. وقد فسر بعض السلف الذكر في الآية بالطاعة . قال سعيد بن جبير : « الذكر طاعة الله ، فمن لم يطعه لم يذكره ، وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن »(1) .

ويدخل في ذلك :
- الالتزام بالفرائض والواجبات .
- الإكثار من السنن والنوافل .
- المحافظة على الأوراد اليومية .

فائدة :

قال سيد - رحمه الله - في تعليقه على الآية : « ولقد ذكر المسلمون الله فذكرهم ورفع ذكرهم ومكنهم من القيادة الراشدة ، ثم نسوه فنسيهم ، فإذا هم همل ضائع وذيل تافه ذليل ، والوسيلة قائمة » ، والله يدعوهم في قرآنه الكريم : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾(2) .

(أضف إلى ذلك بعض القواعد التربوية والإيمانية والدعوية التي تحتاج إلى التذكير بها في محيط عملك الدعوي) .

٧ - من آثار الربانية في حياة الربانيين :

لابد أن تظهر آثار الربانية على شخصية الرباني ، ويصطبغ بها ويترجمها في واقع حياته ، فإذا تكلم تكلم لله ، وإذا سكت سكت لله ، وإذا أعطى أعطى لله ، وإذا منع منع لله ؛ فهو يعيش لربه ويحيا له ، منتسب إليه في شؤونه كلها ظاهرًا وباطنًا .

---

(1) القرطبي : ٢ / ١٧١ .
(2) الظلال : ١ / ١٤١ .

ومن تلك الآثار التي تلمسها من حياة الرباني :

٧ - ١ : ربانية العمر :

فالرباني أوقف عمره لله ، والدعوة لدينه ، ومجاهدة نفسه وأعداء أمته ، ماضٍ في طريقه ، ثابت على منهجه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾(١) . قد سخر جميع إمكاناته وطاقاته ، وجهوده وملكاته في طاعة ربه وخدمة دينه ودعوته ، ومع هذا يشعر دائمًا بتقصيره وتفريطه كما قال الربيون من قبله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا .. ﴾(٢) .

٧ - ٢ : ربانية العمل :

قال ابن الأعرابي : « لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالمًا معلمًا عاملاً »(٣) ، أي : عاملاً بعلمه ، ملتزمًا به منطلقًا منه في شؤونه كلها .. فلا تناقض بين القول والعمل وبين الخلوة والجلوة . وكلما افترق عمله عن علمه وقوله تذكر تلك الصورة المرعبة التي ذكرها رسول الله ﷺ لأولئك الذين يخالفون ما يعلمون ويتناقضون مع ما يقولون ، فقال - فداه أبي وأمي - ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا ، فيجمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »(٤) .

قال معروف الكرخي : « إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شرًّا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل » .

ولقد كان الربانيون يتهمون أنفسهم بقلة العمل بما يعلمون ، فكان إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - يقول : « أعربنا في الكلام فما نلحن ، ولحنا في الأعمال فما نعرب ».

---

(١) سورة الأنعام [١٦٢ - ١٦٣] .
(٢) سورة آل عمران [١٤٦] .
(٣) اقتضاء العلم العمل ، ص ٨٠ .
(٤) متفق عليه ، البخاري برقم : ٣٠٩٤ ، في بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوق ، ومسلم برقم : ٢٩٨٩ ، في الزهد ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يعمله .

وقال الخواص : ((ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم)) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] . قال بعض السلف : الذين يعملون بما يعلمون ، نهديهم إلى ما لا يعلمون .

وصية لمربٍّ :

((حذار ثم حذار أن تغفل عن العمل بمقتضى الآيات التي تتلوها ، ها أنت تعلم تلاميذك ترتيل سورة الفلق ، فلا يكونن مبلغ همك بيان حكم الإخفاء والإظهار والقلقلة في قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[2] ، بل وتفكر في مدلولها .
وأن الحاسد من أصحاب الشر ، فتعوَّذ بالله منه ، ثم ابكِ على ما في قلبك من الحسد لإخوانك ، واسعَ بكل ما أوتيت من القوة لتنقية نفسك من هذا الداء))[3] .

٧ - ٣ : ربانية الهموم والهمم :

قصر الرباني هومه على آخرته ، فلم يشغل قلبه بكثير من هموم الدنيا التي تاهت في أوديتها قلوب كثير من الخلق .

قال رسول الله ﷺ : ((**من كان همه الآخرة ، جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت همه الدنيا ، فرَّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له**))[4] .

فمن كانت الآخرة هي همه فإنه ((لا يرى شيئًا من الدنيا إلا وربطه بالآخرة ، ولا تحدث بحديث إلا وللآخرة نصيب منه ، فلا يفرح إلا للآخرة ، ولا يحزن إلا للآخرة ، ولا يتحرك إلا للآخرة ..))[5] .

● **ومن الهموم التي تشغل قلب الرباني :**

- قضايا أمته الكبرى وآلامها وآمالها العظمى .
- قضايا دعوته وكيفية القيام بها ونشرها وتوسيع دائرتها .
- مخططات الأعداء وكيفية مواجهتها وصدها .

---
(1) سورة العنكبوت [٦٩] .
(2) سورة الفلق [٥] .
(3) وشي الحلل في مراتب العلم والعمل ، ص ٤٤ .
(4) رواه ابن ماجة ، وصححه الألباني في الجامع الصحيح ، ص ٦٣٩٢ .
(5) واحات الإيمان : ١ / ٩٥ .

– تحصيل العلم الشرعي مع زحمة واجباته الدعوية ومسؤولياته الأسرية .

– آفات قلبه ، وأدواء لسانه ، وعيوب نفسه .

وإلى جانب هذا فهو ذو همة عالية لا يرضى بالدون ، ولا يميل للقعود ، ولا يحب الكسل ؛ يعشق السبق إلى المعالي فهو دائم السعي ، شعاره : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ ، و﴿ سَابِقُوا ﴾ ، و﴿ سَارِعُوا ﴾ لا تعجزه العوائق ولا تقعده الضوائق .

٧ - ٤ : ربانية العلم :

إنما يريد الرباني بعلمه زيادة خشيته ، والتقرب إلى مولاه ، وتزكية نفسه والدعوة إلى الله على بصيرة ، لا يريد بعلمه التفاخر بين أقرانه ، ولا التعالي على الناس وإظهار « الأستاذية » عليهم ، وإنما يريد بعلمه وجه الله - عز وجل - والدار الآخرة .

قال الخطيب البغدادي : « إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه ، وإجهاد النفس على العمل بموجبه ، فإن العلم شجرة ، والعمل ثمرة ، وليس يعد عالمًا من لم يكن بعلمه عاملاً »[1] .

قال أبو قلابة لأحد تلامذته : « إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة ، ولا يكن همك أن تحدث به الناس » .

٧ - ٥ : ربانية الأخلاق والسلوك :

فالرباني حسن الخُلق ، رفيق بالخَلق ، لباسه التواضع ولين الجانب ، حليم حكيم ، « قد هانت عليه نفسه في الله ، وازدراها في مرضاة الله ؛ لا يقيم لها وزنًا ، ولا يرفع لها رأسًا ؛ ينظر إلى عمله بإشفاق ألا يُقبل منه ، شعاره التقوى ، سره كعلانيته ، خلوته كجلوته ، يستوي عنده تراب الدنيا وتبرها ، يمسي وهمه الذكر ، ويصبح وهمه الذكر ، وقف على أبواب قلبه ومداخل سمعه وفمه ، فلا ينطق إلا بالحق ، ولا يمشي إلا للحق ولا يسمع إلا الحق .. »[2] .

٨ - موهنات الربانية :

آفات كثيرة وأسباب عديدة توهن الربانية في القلوب ، وتضعف سلطانها على النفوس ، فتبهت آثارها في حياة المسلم تدريجيًّا ؛ ولهذا كان لابد عن

---

(1) اقتضاء العلم العمل ، ص ١٤ .
(2) محركات القلوب إلى علام الغيوب ، ص ٢٤ .

الإشارة إلى بعضها :

٨ - ١ : الإسراف في حقوق الرب - عز وجل - :

- التفريط في الفرائض والواجبات ، كالتأخر عن الصلوات وأدائها من غير خشوع .
- التقصير في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذا ما شعر به الربيون فسألوا الله - عز وجل - أن يغفر لهم إسرافهم في أمرهم ، وهذا - والله أعلم - منهم من باب احتقارهم لعملهم واستصغارهم لتضحياتهم مهما بلغت في ذات الله - عز وجل - : ﴿ **مَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[1] .

٨ - ٢ : إهمال المستحبات وعدم المبالاة بالمكروهات :

أ - إهمال الأذكار والأوراد .

ب- التقصير في السنن والنوافل .

ج - عدم الاهتمام بأسباب زيادة الإيمان : من صيام وصدقة وقيام ليل .

د - كثرة الخلطة بعوام الناس ، والاستماع للغو وأحاديث الدنيا ، التي تقسي القلب وتجذبه إليها .

هـ- عدم محاسبة النفس .

٨ - ٣ : إهدار الأوقات :

وله مظاهر :

- عدم وجود برنامج عمل يومي أو أسبوعي .
- غلبة الارتجالية والعشوائية على توزيع الوقت على الأعمال .
- كثرة الفراغ ، والقعود أو التكاسل عن أداء الواجبات .
- إعطاء بعض الأعمال أكثر مما تستحقه من الوقت .

٨ - ٤ : الإغراق في المباحات :

وهي من خطوات الشيطان التي يُشغل بها العبد عن معالي الأمور :

- كثرة النوم .
- كثرة الأكل : قال إبراهيم بن أدهم : « من ضبط بطنه ضبط دينه ،

---

[1] سورة آل عمران [١٤٧] .

وإن معصية الله بعيدة عن الجائع)) .

- كثرة الاستماع للحداء : كالأناشيد ، والأشعار ، ونحوها ..
- الولع بالرياضة ، ومتابعة أخبارها .

قال الحسن - رحمه الله - : ((من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلانًا من الله)) .

٨ - ٥ : اللسان الجموح :

- كثرة الكلام ((من كثر كلامه كثر سقطه)) [١] .
- العبارات الجارحة والجدال والمراء والسخرية ونحوها ..
- الوقوع في الكذب أو الغيبة .
- القول على الله بغير علم ، والتجرؤ على الفتوى من غير علم .

وقد جاء بالأثر : ((**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**)) [٢] .

٨ - ٦ : النظرات الخائنة :

وهي من أشد مفسدات القلب ؛ لأنها بريد الزنا . وقد عظمت بها الفتنة في زماننا هذا لكثرة التبرج والسفور حتى في أقدس الأماكن كالحرمين الشريفين ؛ فكيف بالأسواق والطرقات ! هذا فضلاً عن وسائل الإعلام التي تاجرت بالمرأة المتبرجة عبر قنواتها ومجلاتها حتى عمت الفتنة وشق التحرز منها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والخلاصة :

قال ابن رجب : ((فمن أراد سلامة قلبه وحياته فعليه بتخليص قلبه من آثار تلك السموم ، ثم بالمحافظة عليه بعدم تعاطي سموم جديدة ، وإذا تناول شيئًا من ذلك خطأ سارع إلى محو أثرها بالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، ونقصد بالسموم الأربعة : فضول الكلام ، وفضول النظر ، وفضول الطعام ، وفضول المخالطة ؛ وهي أشهر السموم انتشارًا ، وأشدها تأثيرًا في حياة القلب)) .

وقال - رحمه الله - أيضًا : ((قال أحد الصالحين : ((من عمّر ظاهره باتباع السُّنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، وغضّ بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشبهات ، واغتذى بالحلال لم تخطئ له فراسة)) ، والجزاء من جنس العمل ، فمن

---

[١] موقوف على عمر .
[٢] حديث ضعيف .

غض بصره عن محارم الله أطلق الله نور بصيرته)) [1] .

٨ - ٧ : الجهل وعدم الاهتمام بتحصيل العلم الشرعى :

كتب الله - عز وجل - أن تكون زيادة الخشية بزيادة العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه مع العمل بمقتضى ذلك العلم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[2]. وربط الله - عزل وجل - الضلال بالجهل بدينه والإعراض عنه وعدم الاهتمام به ، والقلب إذا خلا من العلم حلّ محله الهوى . ومن أقرب العباد إلى الشيطان وأكثرهم اتباعًا لوسوسته وإغراءاته الجُهال بشرعه ، المعرضين عن دينه))[3].

ومن مظاهر الجهل :

- كثرة الوقوع في البدع ، بل والدعوة إليها .
- الخطأ في أداء العبادات .
- عدم المبالاة بالسنن ؛ نظرًا للجهل بها .
- التأثر ببعض الشبهات وتصديقها .
- التأثر ببعض الانحرافات : كالتكفير ، والتفسيق ، والتبديع بغير حق .

قال الحسين : ((العامل على غير علم كالسالك على غير طريقه ، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح)) [4] .

خامسًا : بعض المراجع :

١- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم ، دار ابن القيم ، ط١ .
٢- تزكية النفوس وتربيتها ، جمع وترتيب أحمد فريد ، دار القلم .
٣- زاد المعاد ، ابن القيم ، مؤسسة الرسالة .
٤- كلمات في الالتزام ، عادل العبد العالي ، ط ١ .
٥- الإلمام في أسباب ضعف الالتزام ، حسين محمد ، دار ابن خزيمة ، ط١ .
٦- إحياء الربانية ، سعيد حوى ، دار السلام ، ط١ .
٧- العبادة في الإسلام ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، ط١٧ .
٨- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، محمد الخازندار ، دار طيبة ، ط١ .

---

(١) تزكية النفوس ، ص ٣٩ .
(٢) سورة فاطر [٢٨] .
(٣) انظر للتوسع : الدلائل النورانية لطالب الربانية ، ص ٦٢ .
(٤) مفتاح دار السعادة : ١ / ١٣٠ .

٩- التزكية ، ضرورتها ، وسائلها ، موانعها ، نبيل المعاز ، دار التوزيع ، ط ١٤١٩ .
١٠-محركات القلوب إلى علام الغيوب ، سيد عبد المقصود ، مكتبة طبرية ، ط١ .
١١- الخطة البراقة لذى النفس التواقة ، صلاح الخالدي ، دار القلم ، ط١ .
١٢- إغاثة اللهفان ، ابن القيم .
١٣- موسوعة عظماء حول الرسول ، خالد العك ، دار القلم .
١٤- الإحياء ، الغزالي .
١٥- اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، المكتب الإسلامي ، ط٥ .
١٦- وشي الحلل في مراتب العلم والعمل ، حسين العرايشة ، دار البحرة .
١٧- التربية الذاتية من الكتاب والسنة ، هاشم على أحمد ، دار الأهدل ، ط١ .
١٨-منهج التابعين في تربية النفوس ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، .
١٩- مفردات ألفاظ القرآن ، الأصفهاني ، دار القلم ، ط٢ .
٢٠-العلم والربانية ، يوسف القرضاوي .
٢١- الربانية ، عبد الله علوان ، دار السلام .
٢٢- ربانية التعليم ، من رسائل العين .
٢٣- ربانية لا رهبانية ، أبو الحسن الندوي ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ .
٢٤-الدلائل الربانية لطالب الربانية ، عدنان الرومي وعلي الهزاع ، مكتبة المنار الإسلامية .
٢٥- الرقائق ، محمد أحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .
٢٦- الإيجابية في حياة الداعية ، عبد الله يوسف الحسن ، دار المنطلق ، ط١ .
٢٧-نزهة الفضلاء ، محمد عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ .
٢٨-التربية الإسلامية ، يوسف القرضاوي .
٢٩-مقومات الداعية الناجح ، على بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ .
٣٠- واحات الإيمان ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، ط١ .

بالإضافة إلى عشرات المراجع في اللغة ، والتفسير ، والحديث ، والسير ، والتراجم مما أشرنا إلى الكثير منها في مصطلحات سابقة .

ذكــر

الذكر

أولا : دلالة المصطلح :

١ - لغة :

قال ابن فارس : ((ذكرت الشيء ، خلاف نسيته ، ثم حمل عليه الذكر باللسان . ويقولون : اجعله منك على ذُكْرٍ ، بضم الذال ، أي لا تَنْسَه . والذكر : العلاء والشرف))[1] .. قال الله تعالى : ﴿ **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ** ﴾ (أي : ذي الشرف)[2] .

قال في اللسان : الذكر ((الحفظ للشيء تذكره ، والذكر أيضًا : الشيء يجري على اللسان ، والذكر : جري الشيء على لسانك ، وقد تقدم أن الذكر لغة في الذكر))[3] .
قال تعالى : ﴿ **وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ** ﴾[4] ، أي : ذكر بعد نسيان ، ((وأصله : تذكر ؛ فأدغم))[5] .

٢ - اصطلاحًا :

٢ - ١ : بعض معاني الذكر في القرآن الكريم :

أ - القرآن الكريم : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ** ﴾[6] . قال الإمام ابن كثير : يعني القرآن العظيم[7] .

ب- الشرف والفخر : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ** ﴾[8] . قال السعدي - رحمه الله - : أي فخر لكم ، ومنقبة جليلة ، ونعمة لا يقدر قدرها[9] .

جـ- أهل الكتب المتقدمة : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ** ﴾[10] . قال

(1) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(2) مختار الصحاح ، الرازي ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(3) اللسان ، ابن منظور : ٣ / ١٥٠٧ .
(4) سورة يوسف [٤٥] .
(5) المرجع السابق : ٣ / ١٥٠٨ .
(6) سورة الأنبياء [٥٠] . انظر مفردات القرآن ، للأصفهاني ، ص ٣٢٨ .
(7) مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني : ٢ / ٥١١ ، وانظر تيسير الرحمن ، ص ٤٧٤ .
(8) سورة الزخرف : [٤٤] .
(9) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٧١٢ .
(10) سورة النحل [٤٣] .

السعدي - رحمه الله - : أي الكتب السابقة : ﴿ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] نبأ الأولين وشككتم : هل بعث الله رجالاً ؟ [2] . ويطلق على أهل العلم بالقرآن والسنة بل « أفضل أهل الذكر ، أهل هذا القرآن العظيم ، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة ، وأولى من غيرهم بهذا الاسم » [3] .

د – العظة : كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[4] ، أي ما وعظوا به ، وقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾[5] . يعني عظ إنما أنت واعظ[6] .

هـ- الصلوات الخمس وذكر الله تعالى : كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[7] . قال السعدي - يرحمه الله - : « تكميل الصلوات ، ويدخل منه أيضًا الإكثار من ذكر الله ، شكرًا له على نعمة التعليم ، لما فيه سعادة العبد »[8] .

و - الخبر : كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[9] .

هذه بعض المعاني ، وإلا فهناك معانٍ أخرى للذكر وردت في كتاب الله - عز وجل -[10] كما أن بعض الآيات المستشهد بها لهذه المعاني تحتملها وتحتمل غيرها من أوجه التأويل كما هو مبسوط في كتب التفسير ، والله أعلم .

٢ - ٢ : تعريف بعض أهل الفن للذكر :

أ - قال شيخ الإسلام الهروي - رحمه الله - : « والذكر : هو التخلص من الغفلة والنسيان »[11] .

ب- قال القرطبي - رحمه الله - : وأصل الذكر ، التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له . وسمي الذكر باللسان ذكرًا ؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي ، غير أنه لما كثر إطلاق

---

(1) سورة النحل [٤٣] .
(2) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٣٩٤ .
(3) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٩٤ .
(4) سورة الأنعام [٤٤] .
(5) سورة الغاشية [٢١]
(6) قاموس القرآن ، الدامغاني ، ص ١٨١ .
(7) سورة البقرة [٢٣٩] .
(8) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٨٨ ، مختصر تفسير ابن كثير للصابوني : ١ / ٢١٨ .
(9) سورة الكهف [٨٣] .
(10) راجع للتوسع في هذه المعاني : قاموس القرآن ، للدامغاني ، ص ١٨٠ ، ص١٨٣ ، أورد ثمانية عشر وجهًا ، بعضها محل نظر ، وأيضًا : مفردات ألفاظ القرآن ، للأصفهاني ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، وموسوعة نضرة النعيم : ج٥ / ١٩٦٤ - ١٩٦٥م .
(11) المدارج : ٢ / ٤٨٨ .

الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم))(١) .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- زيادة صلة المسلم بربه عن طريق كثرة ذكره ، مما يزيد في المحبة ، والتي تؤدي بدورها إلى حسن الطاعة ورسوخ القدم في طريق الاستقامة (٢) .

٢- تعويد المسلم على ورد يومي (أذكار الصباح والمساء والمناسبات مع قدر معين من القرآن) ، والتألم لفواته أو نسيانه أو الانشغال عنه ، مع الحرص على استدراكه .

٣- إدراك المسلم أهمية الذكر في برنامجه اليومي وضرورة الإكثار منه ، وأثر التقصير فيه على قلب المرء وفتوره عن العمل .

إذا مَرِضْنا تداوينا بذكرِكمُ فنترك الذِّكر أحيانًا فننتكسُ

٤ - إدراك المسلم شمولية الذكر لأعمال كثيرة : كطلب العلم ، ودعوة الناس إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، كما أنه قراءة قرآن وتسبيح وتهليل .

٥ - أن يحافظ على مجالس الذكر مع إخوانه ، وألا يتخلف عن حضورها إلا بعذر ، وأن يحرص عليها ليستفيد منها ، مراعيًا آدابها وضوابطها .

٦ - أن يعرف صفات الذكر المؤثر المثمر ، الذي يطهر القلب ، ويزكي النفس ، ويدفع إلى العمل ، ويحفظ صاحبه من مواطن الزلل .

ثالثًا : عناصر الموضوع :

١- دلالة المصطلح (انظر مقدمة البحث) .

- أهمية الذكر .

٢- أنواع الذكر .

٣- كيف يكون الذكر مؤثرًا ومثمرًا ؟

٤- فضل الذكر وفوائده .

٥- فضل مجالس الذكر وَحِلَقه .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢ / ١٧١ ، وهناك تعريف للأصفهاني في مفرداته ، راجعه إن شئت ، ص ٣٢٨ .

(٢) راجع ما ذكره الغزالي – رحمه الله – في هذا المعنى في الإحياء ، ص ٣٣٠ .

٦- ماذا بعد مجالس الذكر ؟
٧- ما آثار الذكر على شخصية المسلم ؟
٨- لا تكن من الغافلين !
٩- كيف نكون من الذاكرين الله كثيرًا ؟
١٠-صور من أحوال السلف حال ذكرهم لله تعالى .
١١-مسائل .

رابعًا : العرض :

١- **دلالة المصطلح** (انظر مقدمة البحث) .

- أهمية الذكر :

يدل على أهمية الذكر ، وعلو منزلته وحاجة العبد إليه ، ما جاء في القرآن الكريم من التأكيد عليه ، والتنفير من ضده . قال الإمام ابن القيم مؤكدًا منزلته في القرآن الكريم - قال - رحمه الله - : وهو (أي الذكر) في القرآن على عشرة أوجه :

الأول : **الأمر به مطلقًا ومقيدًا** :

كقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾(١).
وقوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** ﴾(٢) .

الثاني : **النهي عن ضده من الغفلة والنسيان** :

كقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** ﴾(٣) ، وقوله : ﴿ **وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** ﴾(٤) .

الثالث : **تعليق الفلاح باستدامته وكثرته** :

كقوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(٥) .

---
(١) سورة الأحزاب [٤١ ، ٤٢] .
(٢) سورة الأعراف [٢٠٥] .
(٣) سورة الأعراف [٢٠٥] .
(٤) سورة الحشر [١٩] .
(٥) سورة الأنفال [٤٥] .

الرابع : الثناء على أهله وحسن جزائهم :

كقولــه تعــالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [1] .

الخامس : الإخبار عن خسران مَنْ لَهَا عنه بغيره :

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2] .

السادس : أنه – سبحانه – جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له :

كقوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾[3] .

السابع : الإخبار عنه بأنه أكبر من كل شيء :

كقوله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾[4] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : معنى الآية : أن في الصلاة فائدتين عظيمتين :

إحداهما : نهيها عن الفحشاء والمنكر .

والثانية : اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له ، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

الثامن : أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها :

كما ختم به عمل الصيام بقوله تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ

---

(1) سورة الأحزاب [٣٥] .
(2) سورة المنافقون [٩] .
(3) سورة البقرة [١٥٢] .
(4) سورة العنكبوت [٤٥] .

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] ، وختم الحج به فقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[2] .

التاسع : الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم :

كقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[3] .

العاشر : أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها :

فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح : كقرنه له بالصلاة فقال : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾[4] .

وقرنه بالجهاد فقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5][6] .

٢- أنواع الذكر :

إن من الأمور المهمة التي ينبغي أن نتنبه إليها شمولية الذكر ، وعدم قصره على التسبيح والتهليل ، بل الذكر يتناول كل عامل لله بطاعة تقربه إليه .

وعليه ، فإن الذكر على نوعين :

٢ - ١ : الذكر المطلق :

« ويطلق على جميع الطاعات الظاهرة والباطنة ، القولية والفعلية ، فكل ما تصوره القلب أو أراده أو فعله العبد أو تكلم به ، مما يقرب إلى الله فهو ذكر لله ، والله تعالى شرع العبادات كلها لإقامة ذكره فهي ذكر لله » [7] .

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - : « الذكر المطلق يدخل فيه الصلاة ، وتلاوة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، والعلم النافع ، كما يدخل فيه التسبيح والتكبير والتهليل »[8].

---

(1) سورة البقرة [١٨٥] .
(2) سورة البقرة [٢٠٠] .
(3) سورة آل عمران [١٩٠ - ١٩١] .
(4) سورة طه [١٤] .
(5) سورة الأنفال [٤٥] .
(6) المدارج : ٢ / ٤٧٦ - ٤٨١ ، بتصرف .
(7) تيسير اللطيف المنان ، السعدي ، ص ٢٠١ ، نقلاً عن المشوق لذكر الله تعالى ، للرملي ، ص ١٢ - ١٣ .
(8) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب : ٢ / ٥٢٦ .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : ((اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتكبير ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى ، كما قال سعيد بن جبير ﷺ وغيره من العلماء)) .

وقال عطاء - رحمه الله – : ((مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام : كيف تشتري وتبيع ، وتصلي وتصوم ، وتنكح وتطلق ، وتحج ، وأشباه هذا))[1] .

وعليه ، فإن الداعية إلى الله ينبغي أن يستحضر أنه في ذكر لله وهو يبلغ دعوة الله

للناس ، واستحضار هذه الفكرة أو النية لها أثر كبير في رقة قلبه وزيادة إيمانه وقوة تعلقه بربه ؛ وهو ما يؤثر في ثقته به وتوكله عليه وإخلاصه له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – : ((إن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، فهو من ذكر الله ؛ ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلسًا يتفقه فيه الفقه الذي سمَّاه الله ورسوله فقهًا ، فهذا أيضًا من أفضل الذكر))[2] .

٢ - ٢ : الذكر المقيد :

وهو ذكر الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته وأفعاله والثناء عليه بها ، (ويندرج تحت النوع الذي قبله) ، وهو على صور كثيرة ، منها :

أ – تلاوة القرآن الكريم :

الذكر أفضل من الدعاء ؛ لأن ((الذكر ثناء على الله - عز وجل - بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه ، والدعاء سؤال العبد حاجته ؛ فأين هذا من هذا ؟))[3] . وأفضل الذكر القرآن الكريم ، ((هذا من حيث النظر لكل منهما مجردًا ، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهيٌّ عنها نهي تحريم أو كراهة .. وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال))[4] .

ومن الآيات والأحاديث الدالة على فضيلة قراءة القرآن :

- قولـــه تعــالى : ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ يَتْلُـونَ كِتَـابَ اللهِ وَأَقَـامُوا الصَّـلاَةَ وَأَنفَقُـوا مِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ

---

(1) الأذكار ، للنووي ، ص ٧ ، وانظر أيضًا الفتح ، ابن حجر : ١١ / ٢٠٩ .
(2) الفتاوى : ١٠ / ٦٦١ ، وانظر أيضًا للتوسع : تيسير الكريم الرحمن .
(3) الوابل الصيب ، ابن القيم ، ص ٨٦ .
(4) انظر الوابل الصيب ، ابن القيم ، ص ٨٨ - ٨٩ ، باختصار .

سِرًّا وَعَلاَنِيَةً .... ﴾[1] .

- وقوله ﷺ : ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**))[2] .

- وقوله ﷺ : ((**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول : ﴿ الم ﴾ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف**)) [3] .

ب – ذكر الله بالتسبيح والتهليل :

الآيات والأحاديث التي وردت في فضل التسبيح والتهليل أكثر من أن تحصر في هذا الموضع ، وكلها تدعو العبد إلى الإكثار من الباقيات الصالحات ، ومن جملة تلك النصوص :

– قوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[4] .

– وقوله ﷺ : ((**من قال ، حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**))[5] .

– وقوله ﷺ : ((**من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ، ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**))[6] .

– وقوله ﷺ : ((**من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**))[7] .

جـ – الدعاء :

---

(1) سورة فاطر [٢٩] .
(2) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، برقم : ٥٠٢٧ .
(3) رواه الترمذي ، وصححه الألباني .
(4) سورة غافر [٥٥] .
(5) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، برقم : ٢٦٩٢ .
(6) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، برقم : ٢٦٩١ .
(7) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والدعاء ، برقم : ٢٦٩٣ .

- قال الله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] .

- وقال ﷺ : ((أفضل العبادة الدعاء))[2] .

- وقال ﷺ : ((ليس شيء أكرم على الله من الدعاء))[3] .

- وقال ﷺ : ((أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله))[4] .

وكان من دعائه ﷺ - بل كان أكثر دعوة يدعو بها - : ((**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**))[5] .

د – الاستغفار :

– قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[6] .

- وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**))[7] .

- وروينا في صحيح البخاري أيضًا عن شداد بن أوس ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : ((**سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها بالنهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**))[8] . قلت : أبوء : بضم الباء وبعد الواو همزة ممدودة ، ومعناه : أقر وأعترف[9] .

هـ – الصلاة :

(1) سورة غافر [٦٠] .
(2) رواه الحاكم ، وهو في صحيح الجامع ، برقم : ١١٢٢ ، (صحيح) .
(3) رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، برقم : ٥٣٩٢ .
(4) رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، برقم : ١١٠٤ .
(5) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب ٩ ، برقم : ٢٦٩٠ .
(6) سورة غافر [٥٥] .
(7) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ، برقم : ٦٣٠٧ .
(8) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار ، برقم : ٦٣٠٦ .
(9) الأذكار للنووي ، ص ٣٤٧ .

- قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾[١] .

قال السعدي - رحمه الله - : « أي : أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي ؛ لأن ذكره تعالى أجل المقاصد ، وبه عبودية القلب ، وبه سعادته ؛ فالقلب المعطل عن ذكر الله معطل عن كل خير ، وقد خرب كل الخراب ؛ فشرع الله للعباد أنواع العبادات التي المقصود منها إقامة ذكره وخصوصًا الصلاة . قال الله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾[٢] ، أي : ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر »[٣].

- ولقد ورد في فضل صلاة التطوع نصوص كثيرة للحث على الإكثار منها والمواظبة عليها ، ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[٤].
- وقوله تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّن اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[٥] في مدح عبادة المتقين ، الذين هم في الجنان آمنون منعمون ، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا منهم .
- وقوله ﷺ : « **ما من عبد مسلم يُصلي له تعالى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا من غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة ، أو إلا بُنى له بيت في الجنة** »[٦] . وجاء في سنن الترمذي زيادة فيه : « **أربعًا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة** (أي الفجر) .. »[٧] .
- وقوله ﷺ : « **إن الله وتر ، يحب الوتر** »[٨] .
- وقول ﷺ : « **أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام** »[٩] .

٣ - كيف يكون الذكر مؤثرًا ومثمرًا ؟

---

(١) سورة طه [١٤] .
(٢) سورة العنكبوت [٤٥] .
(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٤٥٢ .
(٤) سورة الإسراء [٧٩] .
(٥) سورة الذاريات [١٧] .
(٦) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل السنن الراتبة ، برقم : ١٠٣ .
(٧) الترمذي ، انظر صحيح الترغيب والترهيب ، برقم : ٥٧٨ .
(٨) رواه البخاري ومسلم .
(٩) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو في صحيح الترغيب برقم : ٦١٢ .

كيف نجعل من ذكرنا مرققًا للقلب ، مطهرًا للنفس ، مهذبًا للجوارح ، حاملاً لنا على فعل الخيرات ، مبعدًا لنا عن اقتراف السيئات ؟

وللجواب على هذا السؤال نذكر جملة من الآداب التي ذكرها أهل العلم ، ينبغي للذاكر أن يراعيها حال ذكره لربه - عز وجل - ، ومنها :

٣ - ١ : حضور القلب مع ذكر اللسان :

تواطؤ القلب مع اللسان في الذكر من أكبر الأسباب التي تجعل من الذكر مؤثرًا نافعًا لصاحبه . قال الإمام النووي - رحمه الله - : ((المراد من الذكر حضور القلب ، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ، ويتدبر ما يذكر ، ويتعقل معناه ؛ فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعني المقصود))[1] .

وتأمل المثل الذي ضربه ابن القيم - رحمه الله - لذكر بلا حضور للقلب فيه فقال :

((وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب - تبارك وتعالى - الذي هو روحها ولُبُّهَا ، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه . أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدًا ميتًا أو جارية ميتة ؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره ؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد - أو الأَمَة - الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ؛ ولهذا لا يقبلها الله - تعالى - منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ، ولا يثيبه عليها ، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : ((**إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها ، إلا ثلثها ، إلا ربعها ، إلا خمسها ، حتى بلغ عشرها**))[2]. وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند الله - تعالى - بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها ، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيرًا كاملاً ، والناقص بحسبه))[3].

٣ - ٢ : تدبر معاني الأذكار :

إن مما يزيد من أثر الذكر في القلب استحضار أسراره ومعانيه ، وتأمل دلالاته ومراميه ، والتفكر بما اشتمل عليه من تعظيم لله – تعالى - وتقديسه ، والثناء عليه

---

(1) الأذكار ، النووي ، ص ٩ .
(2) رواه أبو داود ، وأحمد وغيرهما ، وهو حديث حسن كما في صحيح الجامع ، برقم : ١٦٢٦ .
(3) الوابل الصيب ، ص ١٤ .

بصفات الجلال والكمال ، ونفي صفات النقص عنه ، وتنزيهه عما لا يليق به . قال ابن القيم - رحمه الله - : ((أفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان ، وكان من الأذكار النبوية ، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده))(1) .

٣ - ٣ : تعظيم الله - جل جلاله - في القلب :

- وذلك باستحضار نعمة الله على عبده وآلائه وجوده وكرمه ؛ فينشأ من ذلك الحب للمنعم المتفضل ، ويتولد الشكر له (2) .
- استحضار وعد الله - سبحانه - لعباده المتقين من الجنان والحور العين ، وأعظم من ذلك رؤيته - عز وجل - والتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم ؛ فينشأ الشوق إلى لقائه ، والرجاء له .
- استحضار وعيد الله - عز وجل - لمن عصاه ، وشديد عقابه لمن خالف أمره وقلاه ، مع استحضار العبد لذنوبه وإسرافه في أمره ؛ فيتولد الخوف والخشية .

٣ - ٤ : الإخلاص :

وهو الأصل الذي تُبنى عليه الأعمال : ((**إنما الأعمال بالنيات**)) ، وفي السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر ﷺ صفة الإخلاص في الرجل الذي ذكر الله ففاضت عيناه ، وهي أنه كان في خلوة من الناس ، لا يعلم بدمع عينيه إلا الله - عز وجل -

قال محمد بن واسع : ((لقد أدركت رجالاً ، كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وسادة واحدة ، قد بلَّ ما تحت خده من دموعه ، لا تشعر به امرأته ، ولقد أدركت رجالاً كان أحدهم يقوم في الصف فتسيل دموعه على خديه ، لا يشعر به الذي جنبه)) (3) . وكلما كان العمل مخلصًا كان أثره في القلب أعظم وأكبر وأبقى .

٣ - ٥ : الالتزام بالألفاظ والأذكار الشرعية :

ما تقرب المتقربون ، ولا تعبد المتعبدون بأحسن ولا أفضل ولا أكمل مما جاء به رسول الله ﷺ ، فكل الأبواب مغلقة سوى الباب الذي فتحه رسول الله ﷺ ؛ فمن ولج أفلح

(1) الفوائد ، ص ٢٤٧ .
(2) انظر المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، وانظر أيضًا : الوابل الصيب ، ص ١١ .
(3) حلية الأولياء ، لأبي نعيم : ٢ / ٣٤٧ ؛ والرقة والبكاء ، لابن أبي الدنيا ، ص ١٣٥ ؛ ترطيب الأفواه ، للعفاني ، ص ١٤٣ .

ووصل ، ومن رام غيره خاب وانقطع .

إن الإنسان إذا أراد أن يزرع أرضًا خصبة التربة ، اختار لها البذر الصالح المجرب ؛ ليجني ثمارًا طيبة ، ويحصد محصولا وفيرًا ، والأمر هنا أعظم خطبًا لأنه دين ، وذاك دنيا ، وأجود الأذكار وأسلمها عاقبة وأكثرها ثوابًا وأجودها نبتًا وحصادًا وأرضاها لله رب العالمين هي تلك التي تحمل خاتم النبوة ، ولو أن إنسانًا ذكر الله بالليل والنهار وعلى كل حال ، وبكل لسان حتى ذبلت شفتاه ، وعمشت من كثرة البكاء عيناه ، ولكنه على غير ما شرع الله لرسوله من سنن الهدي ، لم يزدد من الله إلا بعدًا ومن الشيطان إلا قربًا (١)؛ ولهذا صنف السلف مؤلفات كثيرة في هذا الفن ، فجمعوا الأذكار التي وردت عن سيد الذاكرين ﷺ وشرحوها ، وبينوا آداب الذكر وفضله ، والأحكام المتعلقة به (٢) .

٣ - ٦ : التمهل وعدم الاستعجال :

هناك من يسرع في الأذكار ، حتى إنه في شدة سرعته وعجلته لا يأتي بألفاظ الذكر كاملة صحيحة ، فضلاً عن تأمل معانيها والتفكر في مراميها ، وقد جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال له : إني أقرأ المفصل [من سورة ق إلى نهاية المصحف] في ركعة واحدة . فقال عبد الله بن مسعود : ((هذا كهذِّ الشعر ، إن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فَرَسَخَ فيه نفع)) (٣) ، والهذُّ : هو الإفراط في السرعة .

٣ - ٧ : الدعاء :

السعيد من لهج لسانه بذكر الله ، فإن ذكره - عز وجل - شفاء ، وذكر الناس داء ، والموفق من وفقه الله لطاعته وشغله بعبادته ؛ ولهذا يستحب للعبد أن يسأل ربه أن يعينه على كمال الذكر وحسن العبادة كما قال النبي ﷺ لمعاذ : ((**والله إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)) (٤) .

٣ - ٨ : الالتزام بآداب الذكر :

ومنها ما ذكره الإمام النووي - رحمه الله - فقال(٥) : وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خاليا (٦) ، نظيفًا ، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور ؛ ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة . وجاء عن الإمام الجليل أبي ميسرة رضي الله عنه قال :

---

(١) الأذكار وأثرها في حياة المؤمن ، عبد الرحمن بله علي ، ص١٠ .
(٢) انظر المراجع ، فقد سردنا بعض المصنفات في هذا الفن .
(٣) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب : الجمع بين سورتين في الركعة ، برقم : ٧٧٥ ، وكذلك مسلم برقم : ٨٢٢ .
(٤) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .
(٥) الأذكار ، النووي ، ص ٨ - ٩ .
(٦) أي : عن كل ما يشغل البال ويحصل من وجوده الاشتغال والوسواس .

لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب ، وينبغي أيضًا أن يكون فمه نظيفًا ، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك ، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء ، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه ولا يحرم ، ولو قرأ القرآن وفمه نجس كره ، وفي تحريمه وجهان لأصحابنا ، أصحهما : لا يحرم .

واعلم أن الذكر محبوب في جميع الأحوال إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها ، فمن ذلك : أنه يكره الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة ، وفي حالة الجماع ، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب ، والله أعلم .

٣ ـ ٩ : البعد عن معوقات التأثر :

٣ – ٩ – ١ : الذنوب والمعاصي :

فهي تحجب القلب عن ربه ، وتوهنه وتمرضه وتعميه ؛ فالقلب المريض العاصي أبعد القلوب عن التأثر بالأذكار ، إلا إذا طُهِّر بالتوبة النصوح والاستغفار الصادق .

ومن المعاصي التي يجب الحذر منها خصوصًا :

٣ – ٩ – ٢ : الحذر من سماع الموسيقى والغناء :

وهي من أعظم صوارف القلب عن التأثر بالأذكار ، لاسيما في زماننا هذا الذي تفنن فيه الشيطان وجنوده ، في اختراع أنواع المغريات من آلات اللهو .

٣ – ٩ – ٣ : النظر إلى المحرمات :

كالصور العارية ، والمناظر الفاضحة التي أمر الله - عز وجل - عباده بغض أبصارهم عنها .

٤ ـ فضل الذكر وفوائده :

الذكر من أجَلِّ العبادات وأعظم القربات التي رفع الله قدرها ، وأعلى منزلتها على سائر العبادات ، وخصها بالأجور ما لم يشاركها فيه الكثير من الطاعات .

وإليكم طائفة من تلك النصوص التي تدل على علو هذه العبادة عند الله - عز وجل - :

- قال الله تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾

وقد مرَّ بنا في مبحث أهمية الذكر بعض الآيات التي وردت في فضله .

وأما في السُّنَّة :

- فقوله ﷺ : ((**إن الله – سبحانه وتعالى – أمر يحيى بن زكريا – عليهما السلام – بخمس**

كلمات أن يعمل بها ، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها .. وذكر منها : **وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله))**[1] .

- وقولــه ﷺ : ((**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟**)) . قالوا : بلي يا رسول الله قال : ((**ذكر الله تعالى**))[2] .

- وقولـه ﷺ : ((**ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله – عز وجل –**))[3].

- وقولــه ﷺ : ((**سبق المفردون**)) . قيل : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : ((**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**))[4] .

- وقوله ﷺ : ((**يقول الله – عز وجل – : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ..**))[5].

وسنذكر – إن شاء الله – بعض الفضائل في فضل مجالس الذكر .

وقد ذكر الإمام ابن القيم أن في الذكر أكثر من مائة فائدة ، ثم ذكر منها ثلاثة وسبعين فائدة نسردها ملخصة بتصرف [6] :

(١) أنه يطرد الشيطان وَيَقْمَعُهُ .
(٢) أنه يُرضي الرحمن - عز وجل - .
(٣) أنه يُزيل الهمَّ والغمَّ عن القلب .
(٤) أن يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .
(٥) أنه يُقوي القلب والبدن .
(٦) أنه ينور الوجه والقلب .
(٧) أنه يجلب الرزق .
(٨) أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

---

(1) رواه الترمذي ، الأمثال ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ، برقم : ٢٨٦٣ ، وهو في صحيح الجامع برقم : ١٧٢٤ ، (صحيح) .
(2) مالك في الموطأ ، في القرآن ، باب ما جاء في ذكر الله برقم : ٢٤ ؛ والترمذي ، الدعوات ، باب ما جاء في فضل الذكر ، برقم : ٣٣٧٧ ، وغيرهما ؛ وهو في صحيح الجامع برقم : ٢٦٢٩ ، (صحيح) .
(3) رواه أحمد : ٥ / ٢٣٩ ؛ وهو في صحيح الجامع برقم : ٥٦٤٤ ، (صحيح) .
(4) المرجع السابق .
(5) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر الله ، برقم : ٢٦٧٥ .
(6) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم : ٥ / ٢٠٢٠ - ٢٠١٣ .

(٩) أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

(١٠) أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

(١١) أنه يورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله - عز وجل - .

(١٢) أنه يورثه القرب منه ، فعلى قدر ذكره الله – عز وجل - يكون قربه منه .

(١٣) أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة .

(١٤) أنه يورثه الهيبة لربه - عز وجل - وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى ، بخلاف الغافل ، فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه .

(١٥) أنه يورثه ذكر الله – تعالى - له كما قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١) ، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا .

(١٦) أنه يورثه حياة القلب .

(١٧) أنه قوت القلب والروح ، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حِيل بينه وبين قوته .

(١٨) أنه يُورث جلاء القلب من صدئه .

(١٩) أنه يحط الخطايا ويذهبها .

(٢٠) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه - تبارك وتعالى - .

(٢١) من ذكر الله - تعالى وعز وجل - ذكره ربه ، ولذكر الله أكبر . قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) .

(٢٢) أن العبد إذا تعرف إلى الله - تعالى - بذكره في الرخاء عرفه في الشدة .

(٢٣) أنه يُنجي من عذاب الله تعالى .

(٢٤) أنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بحلقات الذكر .

(٢٥) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل .

(٢٦) أن مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة ، ومجالسَ اللغو والغفلة مجالسُ الشياطين ، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به ، فهو مع أهله في الدنيا

---

(١) سورة البقرة [١٥٢] .
(٢) سورة البقرة [١٥٢] .

والآخرة .

(٢٧) أنه يُسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أينما كان .

(٢٨) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة .

(٢٩) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله - تعالى - العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه ، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن - عز وجل - .

(٣٠) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين .

(٣١) أنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها .

(٣٢) أنه غراس الجنة .

(٣٣) أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال .

(٣٤) أن دوام ذكر الرب - تبارك وتعالى - يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده .

(٣٥) أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ، ونور له في معاده ، يسعى بين يديه على الصراط .

(٣٦) لما كان الذكر متيسرًا للعبد في جميع الأوقات والأحوال ، فإن الذاكر وهو مستلقٍ على فراشه يسبق (في الفضل والخير) القائم الغافل .

(٣٧) الذكر يفتح باب الدخول إلى الله - عز وجل - فإذا فتح الباب ووجد الذاكر ربه فقد وجد كل شيء .

(٣٨) في القلب خلة وفَاقَة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله - عز وجل - فإذا صار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة ، واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويغني الفاقة .

(٣٩) أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويقرب البعيد ويبعد القريب ، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه ، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له ، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته . ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه ، ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل ، ويفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان .

(٤٠) أن الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سِنَتِه .

(٤١) أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون .

(٤٢) أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه . وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة ، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق .

(٤٣) أن الذكر يعدل حتى عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل ، والضرب بالسيف في سبيل الله - عز وجل - .

(٤٤) أن الذكر رأس الشكر ، فما شكر الله تعالى من لم يذكره .

(٤٥) أن أكرم الخلق على الله - تعالى - من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكر الله .

(٤٦) أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى .

(٤٧) أن الذكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى .

(٤٨) الذكر أصل موالاة الله - عز وجل - ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها ؛ لأن العبد لا يزال يذكر ربه - عز وجل - حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

(٤٩) أنه ما استجلبت نعم الله - عز وجل - واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى .

(٥٠) أن الذكر يوجب صلاة الله - عز وجل - وملائكته على الذاكر ، ومَن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز .

(٥١) أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليجلس في مجالس الذكر .

(٥٢) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ؛ فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يُذكر الله - تعالى - فيه .

(٥٣) أن الله - عز وجل - يباهي بالذاكرين ملائكته .

(٥٤) من داوم على الذكر دخل الجنة مستبشرًا فرحًا بما أنعم الله عليه (١) .

(٥٥) الذاكر يحقق الغاية التي من أجلها شرعت الأعمال كالصلاة ونحوها ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾(٢) .

(٥٦) إكثار الذكر في الأعمال يجعل الذاكر أفضل أهل ذلك العمل ، فأفضل الصُّوام أكثرهم ذكرًا لله - عز وجل - في صومهم ، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله - تعالى - وهكذا .

(٥٧) إدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها (ممن لا يقدر عليها) ؛ سواء كانت هذه التطوعات بدنية (كالجهاد) ، أو مالية (كالصدقة) ، أو بدنية مالية كحج التطوع .

(٥٨) ذكر الله - عز وجل - من أكبر العون على طاعته - عز وجل - ؛ فإنه

---

(١) عبارة ابن القيم : ((مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك)) .
(٢) سورة طه [١٤] .

يحببها للعبد ، ويسهلها عليه ، ويجعل قرة عينه فيها .

(٥٩) أن ذكـر الله – عـز وجـل - يُسـهل الصـعب وييسـر العسـير ، ويخفـف المشاق . فما ذكر الله – عز وجل - على صعب إلا هان ، ولا علـى عسير إلا تيسر ، ولا مشقة إلا خفت ، ولا شدة إلا زالت ، ولا كربة إلا انفرجت .

(٦٠) أن ذكر الله – عز وجل - يذهب عن القلب مخاوفه كلها ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله - عز وجل - .

(٦١) الذكر يعطي الذاكر قوة (عظيمة) حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه .

(٦٢) الذاكرون هم السابقون يوم القيامة .

(٦٣) الـذكر سـبب لتصـديق الـرب - عـز وجـل - عبـده ؛ لأنـه يخبـر عـن الله بأوصـاف كمالـه ، ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بهـا العبـد ، صـدقه ربـه ، ومـن صـدقه الله - تعالى - لم يحشر مع الكاذبين ، ورُجِيَ له أن يحشر مع الصادقين .

(٦٤) الملائكة تبني للذاكر دورًا في الجنة ما دام يذكر ، فإذا أمسك عن الـذكر ، أمسكت الملائكة عن البناء .

(٦٥) الذكر سدٌّ بين العبد وبين جهنم - والعيـاذ بـالله تعـالى - فـإذا كـان ذاكـرًا دائمًا محكمًا ، كان سدًّا محكما لا منفذ فيه ، وإلا فبحسبه .

(٦٦) الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب .

(٦٧) بالذاكرين تتباهى الجبال والقفار وتستبشر بمن عليها من الذاكرين .

(٦٨) كثرة الذكر أمانٌ من النفاق ، فإن المنافقين قليلو الذكر لله - تعالى - كما أخبر عنـهم سبحانه بقوله : ﴿ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(١) .

(٦٩) يحصـل للـذاكر مـن اللـذة مـا لا يحصـل لغيـره ؛ ولـذا سـميت مجـالس الـذكر رياض الجنة .

(٧٠) يكسو الذكر صاحبه نضرة في الدنيا ونورًا في الآخرة .

(٧١) في تكثير الذكر تكثير لشهود العبد يوم القيامة .

(٧٢) في الذكر اشتغال عن الكلام الباطل من الغيبـة والنميمـة واللغـو ، ونحـو ذلك من حيث إن اللسان لا يسكت ألبتة ، وهو إمـا لسـان ذاكـر ، وإمـا لسـان لاغٍ ، ولابد من أحدهما ، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

(٧٣) لا سبيل إلى تفريق جميع الشياطين التي تحوط بالإنسـان إلا بـذكر الله - عز وجل - .

---

(١) سورة النساء [١٤٢] .

(٧٤) الذكر يجعل الدعاء مستجابًا [١] .

٥ - فضل مجالس الذكر وحلقه :

ولعظم فضل الذكر شرفت مجالسه فهي مشهودة ، تحفها الملائكة ، وتغشاها الرحمة ، وتتنزل على من فيها السكينة ، ويذكر الله من فيها ، كما صح بذلك الخبر ؛ ولهذا يستحب[٢] للإخوان أن يجتمعوا في مجلس يضمهم ، يذكرون فيه ربهم ، ويتناصحون فيما بينهم ، ويتعاونون على البر والتقوى ، وليكن لهم منهج يتدارسونه ، يتضمن ذكرًا ودعاء وتذكيرًا بالجنة والنار ، ويتعلمون ما ينبغي للمسلم أن يعرفه في أمور دينه ، ويتباحثون فيها أيضًا أمور الدعوة وكيفية نشرها بين الناس ، ويتذاكرون قضايا أمتهم وأخبار إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وسبل التعاون معهم ونصرتهم ، والنساء في ذلك كالرجال ، ((النساء شقائق الرجال)) .

وهذه المجالس سنة نبوية ، وطريقة سلفية . قال ابن رجب - رحمه الله - : ((كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب ، إما بتلاوة القرآن ، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة ، وتعليم ما ينفع في الدين ، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكِّر ويعظ ويقص ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يبشر وينذر ، وسماه الله ﴿ **مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ** ﴾[٣] . والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب ؛ فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابها رقة القلوب ، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة))[٤] .

٥ - ١ : بعض فوائد مجالس الذكر :

١- أن الله أمر نبيه بالصبر والجلوس مع الذين يذكرون الله ، ولو لم يكن في مجالس الذكر فضل لَمَا أمر الله نبيه بالجلوس إليها .

٢- أن الملائكة تحف الذاكرين .

٣- غشيان الرحمة للذاكرين .

٤- نزول السكينة على الذاكرين .

٥- أن الله يذكر الذاكرين فيمن عنده .

---

(١) بتخليص وتصرف عن صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ص ٨٢ - ١٥٣ ، وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله تعالى – ثلاثًا وسبعين ، واستخلصنا الفائدة الرابعة والسبعين مما ذكره عن الذكر والدعاء وأيهما أفضل ، أما ما ذكره - رحمه الله – من الفوائد أرقام : ٧٤ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، فهي فوائد عن الذكر وليست فوائد له أ . هـ ؛ نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم : ٥ / ٢٠١٠ - ٢٠١٣ .

(٢) انظر الأذكار ، للنووي ، ص ٦ ؛ وقال - رحمه الله - : ((اعلم أنه كما يستحب الذكر ، يستحب الجلوس في حلق أهله ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك)) أ . هـ .

(٣) سورة الأحزاب [٤٥ - ٤٦] .

(٤) لطائف المعارف ، ابن رجب ، ص ٤٥ - ٤٦ ، بتصرف يسير .

٦- غفران الله لأهل مجالس الذكر .

٧- غفران الله للعبد الخطاء الذي يحضر مجالس الذكر حتى لو حضرها من أجل حاجة .

٨- مباهاة الله تعالى بالذاكرين .

٩- حضور الملائكة واجتماعهم لمجالس الذكر .

١٠-تبديل السيئات حسنات .

١١-ذم من أعرض عن مجالس الذكر .

١٢-مجالسة الصالحين والعلماء العاملين ومخالطتهم والتعرف عليهم .

١٣-الاستفادة من مجالس الذكر في تعليم أمور الدين والدعوة ، وعبادة الله على بصيرة [1] .

٥ - ٢ : بعض ما ورد من الأحاديث في فضل مجالس الذكر :

• قال رسول الله ﷺ : ((**إن لله ملائكة يطوفون في الطُرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم – عز وجل – وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد تمجيدًا ، وأكثر لك تسبيحًا ، قال : يقول : فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا ، وأشد لها طلبًا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم**))[2] .

• قال رسول الله ﷺ : ((**وإذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**)) ، قالوا : وما رياض الجنة

---

[1] رياض الجنة ، حمد الحريقي ، ص ٥٩ - ٦٠ ، بتصرف .
[2] رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله ، برقم : ٦٤٠٨ .

يا رسول الله ؟ قال : ((**حلق الذكر ، فإن لله – تعالى – سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم**)) .

- وفي صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أنه قال : ((خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال : ((**ما أجلسكم ؟**)) ، قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا ، قال : ((**آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله – تعالى – يباهي بكم الملائكة**)) [1] .
- وفي صحيح مسلم أيضًا ، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : ((**لا يقعد قوم يذكرون الله – تعالى – إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله – تعالى – فيمن عنده**))[2] .

وفي هذه الفضائل والنوائل ما يثير رغبة الراغبين ، ويقوى عزم الصالحين على المواظبة على حضور تلك المجالس وعدم التأخر عنها .

٥ - ٣ : من آداب مجالس الذكر :

٥ – ٣ – ١ : عدم التخلف عنها إلا من عذر :

ينبغي للمسلم أن يجتهد في حضور مجالس الذكر مع إخوانه ، ويحرص عليها ، ولا يتخلف عنها إلا لعذر ، لما يترتب على ذلك من تفويت لخير كثير ؛ ولهذا فقد بوَّب الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه (رياض الصالحين) بابًا فقال : باب فضل حِلَق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر[3] . واستدل على النهي عن مفارقتها لغير عذر بحديث أبي واقد الليثي ((**أن رسول ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ : قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما**

---

(1) رواه الترمذي عن أبي هريرة ومسند الإمام أحمد ، والبيهقي في شعب الإيمان ، قال محقق الأذكار : هو حديث حسن بطرقه وشواهده ؛ ولذلك حسنه الترمذي وغيره (انظر الأذكار للنووي ص ٦) .
(2) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، برقم : ٢٧٠١

(3) رواه مسلم ، كتاب الذكر و الدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، برقم : ٢٧٠٠ ، رياض الصالحين ، ص ٥٦٩ .

أحدهم فآوى إلى الله فآواه ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه))[1] . وقد ذكر ابن حجر - رحمه الله - جملة من آداب مجالس العلم والذكر ، ومنها [2] :

- استحباب التحليق في مجالس الذكر والعلم .
- أن من سبق إلى موضع منها كان أحق به .
- استحباب الأدب في مجالس العلم وفضل سد خلل الحلقة ، كما ورد الترغيب في سد خلل الصفوف في الصلاة .
- جواز التخطي لسد الخلل ما لم يؤذِ ، فإن خشي استحب الجلوس حيث ينتهي كما فعل الثاني .
- الثناء على من زاحم في طلب الخير .
- ملازمة حلقة العلم والذكر (أي المواظبة على حضورها للاستفادة مما فيها من الخير) .
- جلوس العالم والمذكر في المسجد .

٥ – ٣ – ٢ : الصبر على ما قد يكون فيها من مشقة أو أشياء تخالف هوى النفس :

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** ﴾[3] .

٥ – ٣ – ٣ : الإخلاص وصدق النية :

أن يبتغي بحضوره لهذه المجالس طاعة ربه وطلب رضوانه وابتغاء أجره ومثوبته ، وقد قال ﷺ : ((**إنما الأعمال بالنيات**))[4] .

٥ – ٣ – ٤ : تجنب المراء والجدل :

(1) رواه الإمام البخاري ، كتاب العلم ، باب : من قعد حيث ينتهي به المجلس ، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، برقم : ٦٦ ، ورواه أيضًا مسلم .
(2) الفتح : ١ / ١٥٦ - ١٥٧ .
(3) سورة الكهف [٢٨] .
(4) سبق تخريجه ، وهو حديث صحيح .

ينبغي أن تصان مجالس الذكر والعلم عن الجدل والمراء ؛ حتى لا تذهب بركتها ، ويضمحل خشوعها ، ويقل نفعها وفائدتها . وقد ورد النهي عن المراء والجدال ، ولكن يتأكد النهي في مثل هذه المجالس التي رفع الله قدرها وحث على التزامها . قال بعض السلف :

((إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عليه باب العمل وفتح له باب الجدل)) [1].

٥ – ٣ – ٥ : عدم التشاغل أثناء الدرس والإنصات :

قال سفيان وغيره : أول العلم الاستماع ، ثم الإنصات ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر ، ولا شك أن الكلام أثناء الدرس مما يشوش على الحاضرين ، وقد مدح

الله - عزوجل - في كتابه المؤمنين بحسن استماعهم وعملهم بأحسن ما علموا فقال : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [2] .

وسيأتي مزيد من الآداب في مصطلح العلم - إن شاء الله - .

٦ - ماذا بعد مجالس الذكر :

لقد رصد ابن رجب أحوال الناس بعد حضورهم لمجالس الذكر ، فقال : ((فإذا انقضى مجلس الذكر ، فأهله بعد ذلك على قسمين :

- فمنهم من يرجع إلى هواهُ ، فلا يتعلق بشيء مما سمعه في مجلس الذكر ، ولا يزداد هدى ، ولا يرتدع عن ردى ، وهؤلاء شر الأقسام ، ويكون ما سمعوه حجة عليهم ، فتزداد به عقوبتهم ، وهؤلاء الظالمون لأنفسهم : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾[3] .

- ومنهم من ينتفع بما سمعه ، وهم على أقسام : فمنهم من يرده ما سمعه عن المحرمات ، ويوجب له التزام الواجبات ، وهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين ، ومنهم من يرتقي عن ذلك إلى التشمير في نوافل الطاعات ، والتورُّع عن دقائق المكروهات ، ويشتاق إلى اتباع آثار من سلف من السادات ، وهؤلاء السابقون المقربون)) [4] .

٧ - ما آثار الذكر على شخصية المسلم ؟

---

(1) العلم وفضله ، الأمين الحاج ، ص ١٤٤ .
(2) سورة الزمر [١٧ - ١٨] .
(3) سورة النحل [١٠٨] .
(4) لطائف المعارف ، ابن رجب ، ص ٤٨ .

إن أفضل الذكر ما ظهر أثره على العبد فرقَّ بـه قلبـه ، وخشعت لـه جوارحـه ، وظهرت فـي شخصيته معالمـه . وإليك بعض هذه الآثار والمعالم التـي ينبغـي أن يجعلها المرء مقياسًا يعرف به نفسه وحاله في الذكر :

٧ - ١ : فيض الدمع ووجل القلب :

يتـدبرون مـا تلهـج بـه ألسنتهم فتخشـع لـه قلـوبهم وتـدمع عيـونهم ، قـال الله تعـالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١) . وقـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾(٢) . كـان ابـن عمـر إذا أتـى علـى هـذه الآيـة : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾(٣) ، بكـى حتـى يبـل لحيتـه البكـاء ، ويقول : ((بلى يا رب)) (٤) .

٧ - ٢ : الانكفاف عن المحارم :

قـال السعدي - رحمـه الله - فـي تفسير قولـه تعـالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٥) ، أي : خافـت ورهبـت ، فأوجبـت لهـم خشـية الله تعـالى الانكفـاف عـن المحارم ، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته : أن يحجز صاحبه عن الذنوب (٦) .

٧ - ٣ : التوبة من قريب :

أهل الفكر إذا أغراهم الشيطان فلابسوا معصية أو ألموا بخطيئـة ، دفعهـم الـذكر لسرعة الأوبة ، وصدق التوبة ، كما وصفهم - سبحانه وتعالى - بقولـه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٧) . وأمـا إخوان الغفلـة فـإنهم إذا وقعوا فـي الـذنب أغـواهم الشيطان فزينه لهم ، وحببه إليهم ، فاسترسلوا فيه وأصروا عليه .

٧ - ٤ : جريء بالحق .. لا يخاف :

وكيف يخاف وهو الذي يلهج لسانه بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

---

(١) سورة الأنفال [٢] .
(٢) سورة المائدة [٨٣] .
(٣) سورة الحديد [١٦] .
(٤) الرقة والبكاء ، ص٩٢ ، ومختصر قيام الليل ، ص ١٤٣ .
(٥) سورة الأنفال [٢] .
(٦) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٢٧٧ .
(٧) سورة آل عمران [١٣٥] .

جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[1] .

٧ - ٥ : متبع غير مبتدع :

فالذاكر اقتفى سُنَّة رسول الله ﷺ في شؤون حياته كلها ، وقد جعل شعاره قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾[2]، أي أن ذكر الله يؤدي بالمرء إلى طاعة الله والاقتداء برسوله ﷺ ؛ ولهذا كان الصحابة من أكثر الناس اقتداء برسوله ﷺ أولئك الأطهار الأبرار ، الذين عمروا قلوبهم وشغلوا ألسنتهم بالأذكار بالليل والنهار ، حتى كان ابن عمر ربما قضى حاجته في الموضع الذي قضى رسوله ﷺ فيه حاجته .

٧ - ٦ : القيام بأمر الدعوة والتضحية في سبيل نشرها :

أهل الذكر أوجب لهم الذكر غيرةً على محارم الله أن تنتهك ، وحدوده أن يستهان بها ، وأحكامه أن تُعطَّل ، وشريعته أن يُستهزَأ بها ؛ ولهذا فقد نفروا خفافًا وثقالاً للذود عن دينه ، والدفاع عن سنة نبيه ﷺ ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرة دعوته وتبليغها للناس كما أمرهم الله - عز وجل - فقال : ﴿ وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] .

٨ - لا تكن من الغافلين :

كما حثَّ الشارع المسلم على الإكثار من ذكر الله ، فإنه حذره من الغفلة عنه ، وكما أن للذكر مصالح وفوائد فإن للغفلة عن الله ونسيانه آفات ومفاسد :

٨ - ١ : نسيان النفس وفسادها :

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[4] ، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها ، فهلكت وفسدت ولابد ، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه ، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنه يفسد ولابد ، هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه ؛ فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها

---

(١) سورة آل عمران [١٧٣] .
(٢) سورة الأحزاب [٢١] .
(٣) سورة آل عمران [١٠٤] .
(٤) سورة الحشر [١٩] .

ونسيها واشتغل عن مصالحها ، وعطل مراعاتها ، وترك القيام عليها بما يصلحها ، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان . وهذا هو الذي صار أمره كله فرطًا فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه ، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك ، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله - تعالى - واللهج به ، وأن لا يزال اللسان رطبًا به ، وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها ، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك ، وبمنزلة الماء عند شدة العطش ، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد ، وبمنزلة الكنِّ في شدة الشتاء والسموم (1) .

٨ - ٢ : مشابهة أهل النفاق :

فأهل الغفلة قد اتصفوا بصفة من صفات أهل النفاق ، وهي قلة ذكرهم لله - عز وجل - كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(2) . ولهذا قال كعب : ((من أكثر ذكر الله - عز وجل - برئ من النفاق)) .

٨ - ٣ : الحسرة والتِرة :

الساعة التي يُخليها العبد من ذكر الله تكون حسرة عليه يوم القيامة . كما في قوله ﷺ : ((**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله – تعالى – فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة**))(3) .

وقوله ﷺ : ((**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ، ولم يُصلُّوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرةً ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**))(4) . ترة : أي تبعة ومعاتبة ، أو نقصًا وحسرة .

وقوله ﷺ : ((**ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله – تعالى – فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة**))(5).

٨ - ٤ : اتباع الهوى وتشتت الهمة :

قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(6) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ((فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر : هل هو من أهل الذكر أم من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ، فإن كان الحاكم عليه الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطًا ، ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع ،

(1) الوابل الصيب ، ص ٤٧ .
(2) سورة النساء [١٤٢] .
(3) رواه أبو داود في الأدب ، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ، برقم : ٤٨٥٥ ، وهو صحيح .
(4) صحيح الجامع برقم : ٥٧٥٠ .
(5) رواه الترمذي في الدعوات ، باب القوم يجلسون ولا يذكرون الله : ٣٣٨٠ ، وهو في صحيح الجامع برقم : ٥٦٠٧ .
(6) سورة الكهف [٢٨] .

أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به ، وبه رشده وفلاحه ، ضائع قد فرط فيه ، وفسر بالإسراف ، أي قد أفرط ، وفسر بالإهلاك ، وفسر بالخلاف للحق »[1] .

٨ ـ ٥ : الضنك والضيق والشدة والبلاء :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾[2] ، أي : تنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها .. وأما معيشته فلا تكون إلا مضيقة عليه منكدة ، معذبًا فيها [3] .

٨ ـ ٦ : ظلمة القلب وعدم البصيرة :

قال الله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[4] . فالأول هو المؤمن الذي آمن بالله وذكره فاستنار قلبه بنور الإيمان والوحي ، والثاني الغافل عن الله المعرض عن ذكره ومحبته [5] ، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، بل اختلطت عليه الأمور حتى أصبح يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ، كالذي يتخبط في ظلمة لا يدري أين يسير .

وكذلك تولد الغفلة قسوة القلب وغلظته ؛ ولهذا جاء رجل إلى الحسن فقال له : يا أبا سعيد (وهي كنية الحسن البصري) ، أشكو إليك قسوة قلبي قال : أذبه بالذكر .

٨ ـ ٧ : الفتور والنكوص :

إن من أعظم أسباب فتور المرء عن الطاعات ، وتكاسله في العبادات ، بل وربما نكوصه عن سبيل المؤمنين ، وانحرافه عن طريق الصالحين ، كثرة الغفلة عن ذكر الله ، مع استهانة بالذنوب وتسويف توبة . قال مكحول : « ذكر الله تعالى شفاءٌ ، وذكر الناس داء »[6] . وكما قيل :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

٩ ـ كيف نكون من الذاكرين الله كثيرًا ؟

٩ ـ ١ : متى يكون الذكر كثيرًا ؟

---

(١) حسنه السيوطي في الجامع الصغير : ٢ / ١٥٧ ، وهو في صحيح الجامع : ٥٧٢٠ .
(٢) سورة طه [١٢٤ - ١٢٦] .
(٣) الوابل الصيب ، ص ٤٧ - ٤٨ ، باختصار وتصرف .
(٤) سورة الأنعام [١٢٢] .
(٥) انظر الوابل الصيب ، ص ٥٠ .
(٦) كنز العمال برقم : ١٨٣٧ ، وضعيف الجامع برقم : ١٨٥٦ .

قال ابن الصلاح : ((إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً ، في الأوقات والأحوال المختلفة ، وهي مبينة في كتاب ((عمل اليوم والليلة)) كان من الـــذاكرين الله - تبارك وتعالى – كثيرًا))(١) .

وقال السعدي : وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء ، وأدبار الصلوات الخمس ، وعند العوارض والأسباب (٢) .

ومن قام من الليل وأيقظ أهله ، فصليا ركعتين ، كتبا في الذاكرين الله كثيرًا ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ((**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعًا كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**))(٣) .

٩ - ٢ : ما فضل الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ؟

أ – المغفرة والأجر العظيم :

قال الله تعالى : ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾(٤) .

ب – إجابة الدعاء :

قال النبي ﷺ : ((**ثلاثة لا يرد الله دعاءهم : الذاكر الله كثيرًا ، ودعوة المظلوم ، والإمام المقسط**))(٥) .

جـ – السبق :

لقوله ﷺ : ((**سبق المفردون**)) ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : ((**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**)) (٦) .

٩ - ٣ : كيف نكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ؟

٩ – ٣ – ١ : المواظبة على الصلوات الخمس في أوقاتها :

قال عطاء : من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى :

---

(١) الأذكار ، النووي ، ص ٧ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي : ٤ / ١٥٧ ، نقلاً عن المشوق لذكر الله – تعالى - للرملي ، ص ٦٣ .
(٣) صحيح ، صحيح الجامع للألباني ، برقم : ٦٠٣٠ .
(٤) سورة الأحزاب [٣٥] .
(٥) حسنه الألباني في الصحيحة ، برقم : ١٢١١ ، قال النووي في الأذكار (٧) : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة .
(٦) سبق تخريجه .

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا ﴾(١)(٢) .

٩ – ٣ – ٢ : المواظبة على أذكار الصباح والمساء وأذكار المناسبات :

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : المراد « يذكرون الله في أدبار الصلوات ، وغدوًّا وعشيًّا ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى » (٣) .

(وانظر أيضًا قول ابن الصلاح المتقدم وقول السعدي بعده) .

٩ – ٣ – ٣ : قيام الليل :

للحديث : « **من استيقظ في الليل وأيقظ أهله ..** » وقد مر بنا قريبًا .

٩ – ٣ – ٤ : الدعاء :

للحديث : « **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »(٤) .

١٠ ـ صور من أحوال السلف حال ذكرهم لله تعالى :

١٠ ـ ١ : قال القاسم بن محمد : وكنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأُسلِّم عليها ، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ : ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾(٥) . وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي » (٦) .

١٠ ـ ٢ : قال علقمة بن وقاص : « صليت خلف عمر بن الخطاب ، فقرأ سورة يوسف ، فكان إذا أتى على ذكر يوسف ، سمعت نشيجه من وراء الصفوف »(٧) .

١٠ ـ ٣ : وكان أبو عمران الجوني إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه (٨) .

١٠ ـ ٤ : قيل للحسن : « إن هاهنا قومًا إذا استمعوا القرآن بكوا حتى تعلو أصواتهم » ، فقال : « لم يزل الناس على ذلك يبكون عند الذكر وقراءة القرآن » (٩) .

---

(١) سورة الأحزاب [٣٥] .
(٢) الأذكار للنووي ، ص ٧ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) سورة الطور [٢٧]
(٦) الرقة والبكاء ص ١٠٤ ؛ وصنف ابن أبي شيبة : ٢ / ٢١١ .
(٧) الرقة والبكاء ، ص ٣٠٣ .
(٨) الرقة والبكاء ، ص ١٣٧ ؛ وصفة الصفوة : ٣ / ٢٦٥ .
(٩) الرقة والبكاء ، ص ١٠٥ .

١٠ ـ ٥ : قال أبو سعيد ، وكان جارًا لمنصور بن زاذان قال :

رأيت منصورًا توضأ يومًا ، فلما فرغ دمعت عيناه ، ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته ، فقلت : رحمك الله ، ما شأنك ؟

قال : وأي شيء أعظم من شأني ؟ إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سِنة ولا نوم [١] .

١٠ ـ ٦ : قال نافع : ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ ﴾[٢] . ثم يقول : إن هذا الإحصاء شديد [٣].

١٠ ـ ٧ : وقال نافع : كان ابن عمر إذا قرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾[٤] بكى حتى يغلبه البكاء [٥] .

١٠ ـ ٨ : قال عبد الله بن أبي مليكة : صحبت ابن عباس - رضي الله عنهما - من مكة إلى المدينة ، فكان إذا نزل قام شطر الليل ، وكان يقرأ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[٦] . فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج [٧] .

١١ ـ مسائل :

١١ ـ ١ : هل يثاب المرء على ذكر الله بلسانه دون تدبر ؟

قال النووي - رحمه الله - : « الذكر يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل »[٨] .
وقال ابن حجر – رحمه الله - : « الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ، ولا يشترط استحضاره لمعناه ، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل» [٩] .

قلت : وذكر اللسان دون تدبر يكفي في فضله أنه يشغل اللسان عن آفاته من غيبة ونميمة ونحوها ، ثم هو خطوة نحو استحضار القلب معه .

---

(١) صفة الصفوة : ٣ / ١٢ ؛ الرقة والبكاء ، ص ١٤٤ .
(٢) سورة البقرة [٢٨٤] .
(٣) حياة الصحابة ، ص ٦٠١ .
(٤) سورة الحديد [١٦] .
(٥) حياة الصحابة ، ص ٦٠١ ؛ وحلية الأولياء : ١ / ٣٠٥ ؛ الإصابة : ٢ / ٣٤٩
(٦) سورة ق [١٩] .
(٧) حياة الصحابة ، ص ٦٠٢ ؛ وأبو نعيم ، حلية الأولياء : ١ / ٣٢٧ .
(٨) الأذكار ، ص ٦ .
(٩) الفتح : ١١ / ٢٠٩ ، بتصرف .

١١ - ٢ : هل يجوز للجنب والحائض قراءة القرآن والأذكار ؟

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله - : ((يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن لفظًا على الصحيح من دون مس المصحف ، أما في قلبها فهذا عند الجميع (أي : تقرأ القرآن في قلبها دون أن تتلفظ به ، فهذا جائز عند الجميع) ، إنما الخلاف هل تتلفظ به أم لا ؟ بعض أهل العلم حرَّم ذلك ، وجعل من أحكام الحيض والنفاس تحريم قراءة القرآن ومس المصحف ، عن ظهر قلب أو من المصحف ، حتى تغتسل الحائض والنفساء كالجنب ، والصواب : جواز قراءتهما (أي الحائض والنفساء) القرآن من دون مس المصحف ؛ لأن مدتهما تطول ، ولأنهما لم يرد فيهما نص يمنع ذلك ، بخلاف الجنب فإنه ممنوع حتى يغتسل أو يتيمم عند عدم القدرة على الغسل))[1] .

١١ - ٣ : هل ورد في السنة ما يدل على تعليم الأطفال على الأذكار وتدريبهم عليها ؟

نعم ، فقد قال عمر بن أبي سلمة ﵁ - كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : ((يا غلام ، سم الله ، وكُلْ بيمينك ، وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتي بعد))[2] .

١١ - ٤ : إذا فاتني وردي من صلاة نفل أو قراءة قرآن ونحوها فماذا أفعل ؟

قال الإمام النووي : ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار ، أو عقيب صلاة أو حالة من الأحوال ففاتته ، أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها ، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت ، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها .

وقد ثبت في ((صحيح مسلم)) عن عمر بن الخطاب ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل**)) .

خامسًا : بعض التطبيقات العملية لتأكيد معاني الدرس :

١ - حفظ أذكار الصباح والمساء ، وأذكار المناسبات : كذكر دخول البيت ، والخروج منه ، وركوب الدابة ، و .. إلخ (يمكن الاستفادة من كتاب المأثورات ، أو كتاب صحيح الكلم الطيب ، أو كتاب يحقق الغرض) .

٢ - حفظ مقدار محدد من كتاب الله ، مع عقد لقاء خاص للمراجعة (فترة ما بين المغرب والعشاء كل أسبوع مرة أو كل أسبوعين ، حسب الإمكان) .

٣ - حفظ أذكار أدبار الصلوات ، وحث الجميع على أهمية الإتيان بها بعد الصلوات ، وعدم إهمالها ، والتناصح في ذلك .

---

(1) فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة ، ابن باز ، واللجنة الدائمة للإفتاء ، ص ١٢ - ١٣ .

(2) رواه البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، والأكل باليمين ، برقم : ٥٣٧٦ ؛ وهو أيضًا عند مسلم برقم : ٢٠٢٢ .

٤ - التبكير في الحضور للمسجد في الصلوات الخمس عامة ، وفي صلاة الجمعة خاصة ، واستغلال الوقت بين الأذان والإقامة في ورد من الأذكار والقرآن الكريم ، وذلك كل يوم مع التوصية بختم القرآن مرة كل شهر إن تيسر .

٥ - الاعتكاف في المسجد ، واستثمار الوقت في الذكر ، والتفكر ، ومحاسبة النفس .

٦ - إعداد مسابقات إيمانية في حفظ كتاب الله والأذكار .

٧ - حضور المحاضرات ودروس الوعظ والرقائق ، والسؤال عن المتغيبين عنها .

٨ - القيام برحلة عمرة ، والحرص على كثرة الذكر والطواف .

سادسًا : بعض مراجع البحث :

١- الأذكار النووية ، النووي ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الورَّاق .

٢- ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله ، د . سيد حسين العفاني ، مكتبة معاذ بن جبل ، ط١ .

٣- الرقة والبكاء ، ابن أبي الدنيا ، مكتبة العبيكان ، ط١ .

٤- نضرة النعيم ، دار الوسيلة .

٥- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ، د . محمد الندوي ، مكتبة العبيكان ، ط١

٦- الفوائد ، ابن القيم ، دار النفائس ، ط٧ .

٧- خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة ، د . فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط٢ .

٨- المدهش ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ .

٩- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، السفاريني ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

١٠-الداء والدواء ، ابن القيم ، مكتبة دار التراث ، ط٣ .

١١-طريق الدعوة في ظلال القرآن ، جمع أحمد فايز ، ط٧ .

١٢-رياض الجنة ، حمد الحريقي ، دار الصميعي .

١٣-فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة ، مكتبة الضياء ، ط١ .

١٤-الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن القيم ، تحقيق : محمد علي أبو العباس ، مكتبة القرآن .

١٥-الأذكار وأثرها في حياة المؤمن ، د . عبد الرحمن بله علي ، دار ابن زيدون ، ط١ .

١٦-أدعية اليوم والليلة ومقاصدها ، سليمان سعيد ، دار الدعوة ، ط٦ .

١٧-كيف نتدبر القرآن ؟ فوَّاز أحمد زمرلي ، دار البشائر الإسلامية ، ط٢ .

١٨-المشوق لذكر الله تعالى ، محمد شومان الرملي ، دار ابن القيم ، ط١ .

١٩-كيف تتأثر بالقرآن ؟ أبو عبد الرحمن ، ط١ .
٢٠-رياض الصالحين ، النووي ، دار الفكر ، ط٢ .
٢١-موسوعة أخلاق القرآن ، د . أحمد الشرباصي ، دار الرائد العربي ، ط٣ .
٢٢-فضيلة الدعاء والذكر ، د . أحمد البيانوني ، دار السلام ، ط٢ .
٢٣-القرآن والحضارة المعاصرة ، د . محمد الراوي ، دار الوطن ، ط١ .
٢٤-طرق كسب الثواب (القرآن) ، أحمد القطان ومحمد الزين ، مكتبة السندس ، ط٢ .
٢٥-كيف تعيش مع القرآن ، عائض القرني ، دار الضياء .
٢٦-الدعاء نور وعبادة ، أحمد القطان ومحمد الزين ، مكتبة السندس ، ط١ .
٢٧-وظائف الذكر الموظفة في اليوم والليلة ، ابن رجب ، ط١ .
٢٨-وظائف الليل ، إبراهيم محمد ، مكتبة الصحابة ، ط١ .
٢٩-تدبر القرآن ، الشيخ صالح الفوزان ، مكتبة الصفدي ، ط١ .
٣٠-السر المكنون في رقة القلوب ودمع العيون ، عبد الكريم الديوان ، دار المسلم ، ط١ .
٣١- الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل ، رقية المحارب ، دار عالم الكتب .
٣٢-التضرع إلى الله ، نواف الرعوجي ، دار ابن خزيمة ، ط١ .
٣٣-شأن الدعاء ، الحافظ الخطابي ، دار الثقافة العربية ، ط٣ .
٣٤-فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ، محمد الغزالي ، دار القلم ، ط١ .
٣٥-جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، ابن القيم ، دار القلم ، ط٢ .
٣٦-صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ، سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي .
٣٧-العلم ، الأمين الحاج محمد ، دار المطبوعات الحديثة ، ط١ .
٣٨-قيام الليل تجديد للروح وزاد للعاملين ، محمد الخطيب ، دار المنار الحديثة ط٢ .
٣٩-تحفة الذاكرين ، دار الكتب العلمية ، ط١ .
٤٠-لطائف المعارف ، ابن رجب ، دار ابن كثير ، ط٥ .
٤١-تيسير الكريم المنان ، السعدي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ .
٤٢-حياة الصحابة ، الكاندهلوي ، بيت الأفكار الدولية .
٤٣-المأثورات ، حسن البنا ، دار الدعوة .
٤٤-صحيح الكلم الطيب ، محمد الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٧ .

بالإضـافة إلـى عشرات المراجـع فـي التفسير والحديث والتراجم والسير والزهد والرقائق .

خشوع

الخشوع

أولاً : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

- قال ابن فارس - رحمه الله - : ((الخاء والشين والعين أصل واحد ، يدل على التطامن))[1].
- وقال ابن منظور : ((خشع يخشع خُشُوعًا واختشع وتخشَّعَ : رمى ببصره نحو الأرض وغضَّه وخفض صوته ... وقيل : الخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، وهو الإقرار بالاستخذاء ، والخشوع في البدن والصوت والبصر ، كقوله تعالى : ﴿ **خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ** ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ **وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ** ﴾[3]، أي سكنت . وكل ساكن خاضعٍ خاشع .. والتخشع : تكلف الخشوع ..))[4].
- وقال الجرجاني : ((الخشوع والخضوع والتواضع بمعني واحد))[5].
- قال ابن القيم - يرحمه الله - : ((والخشوع في أصل اللغة : الانخفاض ، والذل ، والسكون . قال تعالى : ﴿ **وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ** ﴾ أي سكنت ، وذلت وخضعت))[6].
- وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - يرحمه الله - : ((الخشوع هو السكينة والتواضع جميعًا))[7].
- أما الدامغاني - يرحمه الله - فيرى أن الخشوع يأتي على معان ، منها : التواضع والخوف وسكون الجوارح والتذلل [8].

ب - اصطلاحًا :

- قال الجنيد - يرحمه الله - : ((الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب)) [9] .

---

(1) معجم مقاييس اللغة : ج٢ / ص ١٨٢ .
(2) سورة القلم [٤٣] .
(3) سورة طه [١٠٨] .
(4) لسان العرب : ج٢ / ص١١٦٥ .
(5) التعريفات ، ص١٣٢ .
(6) مدارج السالكين : ج١ / ص٥٧٤ .
(7) القواعد النورانية ، ص٤٣ - ٤٦ عن موسوعة فقه ابن تيمية ، قلعجي ، ص٧٤٢ .
(8) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، ص١٥٨ .
(9) مدارج السالكين : ج١ / ٥٧٤ .

- وقال ابن رجب – يرحمه الله - : ((وأصل الخشوع هو : لينُ القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته ، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء ؛ لأنها تابعة له ، كما قال ﷺ : ((**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**))[1] [2] .

- وقال - رحمه الله - عن خشوع القلب : (((سكون) خواطره وإراداته الرديئة التي تنشأ من اتباع الهوى ، وينكسر وينخضع لله ، فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبر))[3] .

- وقال الجرجاني : ((هو الخوف الدائم في القلب)) [4] .

- وقال القرطبي - يرحمه الله - : ((هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع))[5] .

- وقال الشيخ السعدي – يرحمه الله - : ((والخشوع هو خضوع القلب وطمأنينته ، وسكونه لله تعالى ، وانكساره بين يديه ، ذلاً وافتقارًا ، وإيمانًا به وبلقائه))[6] .

ثانيًا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور ، منها :

١- بيان حقيقة الخشوع عند السلف ، ليمكن مجاهدة النفس في الوصول إليه ، والتحقق به .

٢- الحث على الصلاة الخاشعة ؛ كي يتزود القلب بالأنوار الإيمانية ، وتلتزم الجوارح بالأخلاق الإسلامية : ﴿ **إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [7] ، وقال ﷺ :

---

[1] رواه البخاري ، الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، برقم : ٥٢ ، ورواه مسلم ، كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الحرام ، برقم : ١٥٩٩ .
[2] الخشوع في الصلاة ، ص١١ .
[3] المرجع السابق ، ص١٣ .
[4] التعريفات ، ص١٣٢ .
[5] الجامع لأحكام القرآن : ج١ / ٣٧٤ ، وانظر أيضًا الفتح : ٢ / ٢٢٥ .
[6] تيسير الكريم الرحمن ، ص٣٤ .
[7] العنكبوت [٤٥] .

((**الصلاة نور**))[١] .

٣- التأكيد على أن للخشوع آثارًا على الفؤاد والجوارح تظهر جلية في واقع حياة المسلم الخاشع ، وتبرز في أعماله وأقواله وأحواله .

٤- التحذير من الغفلة وقسوة القلب والاستهانة بالصلاة ؛ سواء كان ذلك في عدم إتمام هيئتها ، أو عدم الاكتراث بالخشوع فيها ، فضلاً عن التهاون في أدائها في أوقاتها أو التكاسل عن أدائها حيث يُنادَى بها .

٥- بيان الأسباب التي تجعل المرء خاشعًا في صلاته .

٦- الاقتداء بسلفنا الصالح في خشوعهم في صلواتهم من خلال عرض نماذج فذة عن حالهم في الصلاة .

٧- التنبيه على أهمية الصلاة الخاشعة في حياة الداعية ؛ إذ هي راحة باله ، وقرة عينه ، وإليها يفزع عند الكروب ، وفيها يناجي علام الغيوب .

ثالثًا : عناصر الموضوع

١- ماذا نعني بالخشوع ؟ .
٢- أهمية الخشوع .
٣- فضائل الخشوع .
٤- هل الخشوع واجب في الصلاة ؟
٥- الترهيب من عدم الخشوع وقسوة القلب .
٦- خشوع الجوهر وخشوع المظهر .
٧- خشوع الآخرة .
٨- آثار الخشوع .
٩- كيف نخشع في صلاتنا ؟
١٠-نماذج من الخاشعين ؟

رابعًا : العرض :

١- ماذا نعني بالخشوع ؟ (**انظر دلالة المصطلح**) .

٢- أهمية الخشوع :

تبدو أهمية الخشوع من خلال الأمور التالية :

٢ - ١ : أن الخشوع روح العبادة ولبها ، وبه يعظم عند الله أجرها ، ويظهر

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، برقم : ٢٢٣ .

على العبد أثرها .. ولهذا قال بعض أهل العلم : ((صلاة بلا خشوع جثة هامدة بلا روح)) [1] .

قال الإمام الغزالي - يرحمه الله - : ((حضور القلب هو روح الصلاة)) [2] .

٢ - ٢ : ((أنها صفة أهل العلم والدعوة الذين باشر العلم قلوبهم)) فأوجب لها السكينة والخشية ؛ وهل يمكن أن يخرج من صلاته ولا حظ له فيها ؟ ! نعم . وفي هذا

يقول رسول الله ﷺ : ((**رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**)) [3] ، ولأحمد : ((**رب قائم حظه من صلاته السهر**)) ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ((**ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها**))[4].

((والإخبات لله هو التواضع والانكسار)) [5] ، كما قال تعالى في وصفهم : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** ﴾ [6] ، قال الإمام القرطبي - يرحمه الله - : قوله تعالى : ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ** ﴾ هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم ، وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئًا أن يجري على هذه المرتبة ، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل . وفي مسند الدارمي عن التيمي قال : ((من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ألا يكون أوتي علمًا ؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ، ثم تلا هذه الآية ، ذكره الطبري أيضًا)) [7]

٢ - ٣ : أن الخشوع من صفات الأنبياء المخلصين ، وعباد الله المؤمنين ، قال الله - تعالى - مادحًا أنبياءه : ﴿ **وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾[8] ، وقال عز وجل مادحًا أولياءه : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾[9] فجعل من أجلِّ صفاتهم بعد الإيمان خشوعهم في صلاتهم ، فما أحرانا أن نأتسى بأنبيائه المكرمين وأوليائه الصالحين .

٢ - ٤ : أن حظَّ المرء من صلاته - بل من عباداته كلها - بقدر خشوعه فيها -

---

(١) توجيهات وذكرى ، ابن حميد : ج٢ / ٣٤ .
(٢) الإحياء : ج١ / ١٦١ .
(٣) رواه النسائي وأحمد ، قال العراقي في تخريج ما في الإحياء والأخبار (١ / ١٥٩) : إسناده حسن .
(٤) المدارج : ج١ / ٥٧٩ .
(٥) الخشوع في الصلاة ، ابن رجب ، ص١٦ .
(٦) سورة الإسراء [١٠٧ - ١٠٨] .
(٧) الجامع لأحكام القرآن : ج١٠ / ٣٤١ .
(٨) سورة الأنبياء [٩٠] .
(٩) سورة المؤمنون [١ - ٢] .

كما قال ﷺ : ((**إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها**)) [١]. قال سلمان رضي الله عنه : ((الصلاة مكيال ؛ فمن أوفى ، أوفي له ؛ ومن طفف ، فقد علمتم ما قال الله للمطففين)) .

٢ - ٥ : أن الخشوع يُشعِر المرء بلذة العبادة ؛ حتى تصبح قرة عينه ، وسعادة فؤاده ، وانشراح صدره ، وراحة باله ، كما قال ﷺ : ((**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)) [٢] ، وقال صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله : ((**أرحنا بها يا بلال**)) [٣] . كما أن التذاذ العبد بالعبادة من أكبر أسباب استدامته وثباته عليها ؛ فكلما كان خشوعه أكثر كانت لذته أكبر ، وكلما كانت لذته كبيرة كان على العبادة أشد حرصًا وأطول استدامة .

٢ - ٦ : أن العبادات تتفاضل عند الله بتفاضل ما في القلوب من خشوع وخضوع ومحبة وإنابة ، وإخلاص وخشية ، قال حسان بن عطية - يرحمه الله - : ((إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض)) ، أي : لتفاوتهما في الإيمان والخشوع ، بل ربما رجحت عبادة يسيرة مع خشوع على كثيرة مع غفلة . قال حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : ((ركعتان مقتصدتان في تفكُّرٍ خيرٌ من قيام ليلة والقلب ساهٍ)) [٤] .

٣ - فضائل الخاشعين :

لقد امتدح الله - عز وجل - الخاشعين ، وأسبغ عليهم من فضله العظيم ، ووعدهم بالثواب الجسيم ، وإليك طرفًا من تلك الفضائل ، وشيئًا من تلك النوائل :

٣ - ١ : الخشوع سبب للفلاح والنجاة :

قال الله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [٥] ، فجعل الحق - عز وجل - من أول صفات المؤمنين المفلحين خشوعهم في صلاتهم ، وبشرهم بالفردوس ، وجعلهم فيها مكرمين خالدين ، وقد أكد هذا الميراث العظيم للخاشعين ، سيد المرسلين ﷺ حين بشرهم فقال : ((**ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي**

---

(١) رواه أبو داود والنسائي ، وابن حبان ، وأحمد (٤ : ٣٢١) ؛ وصححه الألباني في صفة الصلاة ، ص١٢ ، وفي صحيح أبى داود برقم : ٧٦١ .
(٢) رواه أحمد والنسائي بسند صحيح ؛ انظر جامع الأصول : ٤ / ٧٦٦ ، برقم : ٢٩١٣ .
(٣) رواه أبو داود بسند صحيح ؛ انظر جامع الأصول (٦ / ٢٦٣) ، برقم : ٤٣٧٥
(٤) الإحياء ، للغزالي : ج١ / ١٥١ ، راجع للتوسع ، في فضيلة الخشوع : الإحياء (ج ١ / ١٥٠ - ١٥١) .
(٥) سورة المؤمنون [١ - ٢] .

ركعتين ، مقبل عليهما بقلبه ووجهه ، إلا وجبت له الجنة)) (1) .

٣ ـ ٢ : المغفرة والأجر العظيم :

جعل الله - عز وجل - الخاشعين والخاشعات من الفائزين بمغفرته وأجره فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ إلى قوله - عز وجل- : ﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ ، ثم قال في آخر الآيـة : ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . قال ﷺ : ((**ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله**)) .

٣ ـ ٣ : الخشوع سبب في تيسير موقف العبد بين يدي مولاه :

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : ((للعبد بين يدي الله موقفان : موقف بين يديه في الصلاة ، وموقف بين يديه يوم لقائه ؛ فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف . قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴾ .

٤ ـ هل الخشوع واجب في الصلاة ؟

اختلف أهل العلم في حكم الخشوع في الصلاة ، هل هو من واجباتها وشرائطها أم من مستحباتها وفضائلها ؟ !

وقد استدل الذين يرون وجوبه بأدلة كثيرة ، منها ما ذكره الإمام الغزالي في إحيائه تحت عنوان ((بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)) ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾(2) ، وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيمًا للصلاة لذكره ؟ وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾(3) نهي وظاهره التحريم ، وقوله - عز وجل - : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾(4) تعليل لنهي السكران ، وهو مطرد في الغافل المستغرق الهمّ بالوسواس وأفكار الدنيا ، .. قال : وقال رسول

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء ، برقم : ٣٤ .
(2) سورة طه [١٤] .
(3) سورة الأعراف [٢٠٥] .
(4) سورة النساء [٤٣] .

الله ﷺ : ((**كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب**)) [1]. وما أراد به إلا الغافل ، ثم ذكر أن المصلي مناجٍ ربه - عز وجل - كما ورد به الخبر[2]. والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة [3].

وقد ذهب إلى هذا القول الإمام القرطبي - رحمه الله - [4]، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية [5]، وقال - رحمه الله - : ((وأيضًا : فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾[6] . وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ** ﴾[7] ، وقوله تعالى : ﴿ **كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** ﴾[8] . فقد دل كتاب الله - عز وجل - على من كبر عليه ما يحبه الله ، وأنه مذموم بذلك في الدين ، مسخوط منه ذلك . والذم أو السخط لا يكون إلا لترك واجب ، أو فعل محرم ، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين ، دل ذلك على وجوب الخشوع)) أ . هـ .

وقد بسط الإمام ابن القيم حجج هذا الفريق ثم قال : ((فهذا ما احتجت به هذه الطائفة ، وهي حجج - كما تراها - قوة وظهورًا))[9].

وذهب جمهور العلماء إلى عدم وجوبه في الصلاة . قال ابن حجر - رحمه الله - : ((وقد حكى النووي الإجماع على أن الخشوع ليس بواجب))[10]، لكن في دعوى الإجماع نظر ، فالخلاف واقع بمن ذكرنا وغيرهم ممن سبقهم .

قال أصحاب القول الآخر : قد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال : ((**إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان ، وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى التأذين أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة أدبر . فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وبين نفسه ، فيذكره ما لم يكن يذكر . ويقول : اذكر كذا ، اذكر كذا لما لم يكن يذكر ، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى . فإذا وجد**

---

(1) سبق تخريجه .
(2) قال العراقي في الإحياء ١ / ١٥٩ : (حديث ((المصلي يناجي ربه)) متفق عليه من حديث أنس) .
(3) الإحياء ، ١ / ١٥٩ - ١٦١ . وقد أفاض في إثبات صحة هذا القول .
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج١٢ / ١٠٤ .
(5) الفتاوى ، ج٢٢ / ٥٥٣ .
(6) سورة البقرة [٤٥] .
(7) سورة البقرة [١٤٣] .
(8) سورة الشورى [١٣] .
(9) مدارج السالكين ، ج١ / ٥٨٢ .
(10) الفتح : ٢ / ٢٢٦ .

ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس)) [١] .

قالوا : فأمره النبي ﷺ في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها ، حتى لم يدرك كمْ صلى بأن يسجد سجدتي السهو ، ولم يأمره بإعادتها ، ولو كانت باطلة - كما زعمتم - لأمره بإعادتها .

قالوا : وهذا هو السر في سجدتي السهو ؛ ترغيمًا للشيطان في وسوسته للعبد ، وكونه حال بينه وبين الحضور في الصلاة ؛ ولهذا سماها النبي ﷺ ((**المرغمتين**)) ، وأمر من سها بهما ، ولم يفصل في سهوه الذي صدر عنه موجب السجود بين القليل والكثير ، والغالب والمغلوب .

إلى آخر ما ذكره من حجج هذا الفريق ، ثم قال بعد هذا العرض : وهذا القول الثاني أرجح القولين ، والله أعلم [٢] .

٥ - الترهيب من عدم الخشوع وقسوة القلب :

٥ - ١ : الترهيب من عدم الخشوع وقسوة القلب في الصلاة وفي غيرها :

توعد الله - عز وجل - من فرط في الخشوع وقصر في شأنه حتى قسا قلبه فلا يتأثر بالقرآن . قال الله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ** ﴾ [٣] .

قال ابن رجب - رحمه الله - : ولين القلوب : هو زوال قساوتها لحدوث الخشوع فيها والرقة [٤] . قال مالك بن دينار : ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب ، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم ؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيذ من قلب لا يخشع فيقول : ((**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها**))[٥] .

كما عاتب الحق - عز وجل - فئة من المؤمنين على عدم الخشوع فقال تعالى :

---

(١) رواه الإمام البخاري ، كتاب السهو ، باب : إذا لم يدر كم صلى - ثلاثاً أو أربعاً - سجد سجدتين وهو جالس ، برقم : ١٢٣١ ، ورواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ، برقم : ٣٨٩ ، دون الجملة الأخيرة منه ((فإذا وجد ذلك أحدكم ..)) .

(٢) مدارج السالكين ؛ ج١٢ / ٥٧٩ - ٥٨٤ .

(٣) سورة الزمر [٢٢ - ٢٣] .

(٤) الخشوع في الصلاة ، ص١٨ ، وانظر أيضًا الجامع لأحكام القرآن : ج١٥ / ٢٥٠ .

(٥) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ، برقم : ٢٧٢٢ .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين))[2].

٥ ـ ٢ : الترهيب من عدم الخشوع في الصلاة خاصة :

لما كانت الصلاة هي عمود الدين وركنه الأعظم ، بعد الشهادتين ، فإن الإخلال بها أو الانتقاص منها يعد استهانة وانتقاصًا لركن عظيم من أركان الإسلام . وقد روي أن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ قال : ((كل مستخف بالصلاة مستهين بها هو مستخف بالإسلام مستهين به . وإنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة . فاعرف نفسك يا عبد الله ، واعلم أن حظك في الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظك من الصلاة وقدرها عندك ، واحذر أن تلقى الله ـ عز وجل ـ ولا قدر للإسلام عندك ، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك)) [3] .

وقد جاءت نصوص كثيرة في الوعيد على من أخل بها ، أو انتقص منها ولم يبالِ بالخشوع فيها ، شنعت صورًا تتناقض مع الخشوع : كالإسراع في أدائها ، والالتفات خلالها ، وعدم إتمام ركوعها وسجودها . وإليكم بعض هذه النصوص :

٥ ـ ٢ ـ ١ : عن عبد الرحمن بن شبل قال : ((**نهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب**))[4]، ومعنى نقرة الغراب : أي تخفيف السجود والإسراع فيه ؛ حتى لا يمكث إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله .

٥ – ٢ – ٢ : عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : ((**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته**)) . قالوا : يا رسول الله كيف يسرق من صلاته ؟ قال : ((**لا يتم ركوعها ولا سجودها**)) . أو قال : ((**لا يقيم صلبه في الركوع والسجود**)) [4] .

---

(1) سورة الحديد [١٦] .
(2) رواه مسلم ، كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾ [الحديد : ١٦] ، برقم : ٣٠٢٧ .
(3) رسالة في الصلاة ، للإمام أحمد ، وقد شكك بعض أهل العلم في نسبتها للإمام أحمد ، مثل قول الذهبي فيها : ((أخشى أن تكون موضوعة)) ؛ ولهذا فقد صدرنا قوله بصيغة التمريض فليتنبه !
(4) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم ؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم : ٥٢٤ .
(٣) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة والحاكم وقال : ((صحيح الإسناد)) ؛ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، برقم : ٥٢٥ .

٥ – ٢ – ٣ : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تقبل له صلاة ! لعله يتم الركوع ، ولا يتم السجود ، ويتم السجود ولا يتم الركوع** » (١) .

٥ – ٢ – ٤ : عن أبي عبد الله الأشعري ﷺ أن رسول ﷺ رأى رجلاً لا يتم ركوعه ، وينقر في سجوده ، وهو يصلي ، فقال رسول الله ﷺ : « **لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ** »(٢) .

٦ - خشوع الجوهر والمظهر :

خشوع الجوهر (القلب) هو الأصل ، وخشوع المظهر (الجوارح) تابعًا له . قال الإمام ابن القيم : وأجمع العارفون على أن « الخشوع » محله القلب ، وصورته على الجوارح وهي تظهره . قال النبي ﷺ : « **التقوى هاهنا** – وأشار إلى صدره - **ثلاث مرات** » (٣) .

وقال بعض العارفين : حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن . ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن ، فقال : يا فلان ، الخشوع هاهنا ، وأشار إلى صدره ؛ لا هاهنا ، وأشار إلى منكبيه (٤) .

قلت : وكلاهما مطلوب شرعًا ، وإن اختلفت مرتبتا الطلب . فإن فقد الأصل وبقي الفرع سمي بخشوع النفاق . قال حذيفة : « إياكم وخشوع النفاق » ، فقيل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : « أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع » . ورأى عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة فقال : « يا صاحب الرقبة ، ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب ، إنما الخشوع في القلوب » (٥) .

٧ - خشوع الآخرة :

أما الذين خشعوا لله - عز وجل – وخضعوا له وأشفقوا منه في الدنيا ، فسيبدل الله خوفهم أمنًا وسكينة ، وخشيتهم وبكاءهم ضحكًا وسرورًا وطمأنينة . وقد أخبرنا الله - عز وجل - عن قولهم وهم ينعمون في الجنة : ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**

---

(١) رواه أبو القاسم الأصبهاني ؛ وقد حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم : ٥٣٠ ، وفي الصحيحة برقم : ٢٥٣٥ .
(٢) رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى بإسناد حسن ، وابن خزيمة في (صحيحه) ، وهو في صحيح الترغيب والترهيب ، بتحقيق الألباني برقم : ٥٢٩ .
(٣) رواه مسلم في البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، برقم : ٢٥٦٤ .
(٤) المدارج : ج١ / ٥٧٥ .
(٥) المرجع السابق ، ولابن القيم كلام نفيس في خشوع النفاق ، انظره (للتوسع) : الروح ، ص٢٣٤ ؛ زاد المعاد : ١ / ٦٧ –٦٨ ؛ وكذلك ذكره القرطبي في جامعه : ج١ / ٣٧٥ .

* قَــــــــالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (١) ، (أي : خائفين وجلين) ، ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

أما الذين أعرضوا عن الله - عز وجل - ولم يخضعوا له ، ولا خافوا منه ، بل أعرضوا واستكبروا ، وضحكوا كثيرًا وتجبروا ، فسيبدل الله - عز وجل - في الآخرة استكبارهم ذلاً وصغارًا ، وضحكهم بكاءً وحسرة وشقاءً . وستخشع وجوههم وأبصارهم وقلوبهم في ذلك اليوم طويلاً .. ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣) .

وإليك بعض صور خشوعهم ؛ إشعارًا بذلهم وصغارهم وهوانهم على الله - عز وجل - :

● قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾(٤) .

قال الإمام ابن كثير : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول ﷺ يقـــــــول : ((**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، فيبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا**)) ، ورواه غيره من طرق ، وقوله تعالى : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ ، أي : في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه . ولما دعوا إلى السجود في الدنيا ، فامتنعوا منه مع صحتهم وســـــــلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب - عز وجل - فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، كما كانوا في الدنيا بخـــــــلاف ما عليه المؤمنون (٥) .

---

(١) الصافات [٢٧ – ٢٨] .
(٢) سورة الطور [٢٧ – ٢٨] .
(٣) سورة التوبة [٨٢] .
(٤) سورة القلم [٤٢ - ٤٣] .
(٥) مختصر تفسير ابن كثير ، للرفاعي : ج٤ / ٤١١ - ٤١٢ .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ * لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ (١).

٨ - آثار الخشوع :

الخشوع ليس عبرة يرسلها المرء من مقلته لحظة ثم تتلاشى دون أن يكون لها أثر في حياته ومسلكه ، وفي سمته وشخصيته .. إن الخشوع وهو الخضوع الذي يتملك القلب لابد أن يؤثر في التفكير فينوره ، وفي المسلك فيقومه ، بل في الشخصية كلها فيهذبها ويزكيها ، ويميزها ويسمو بها .. ألم تر أن الله - عز وجل - جعل للصلاة الخاشعة سلطانًا على قلب المصلي ينهاه عن الدنايا ، فقال جل ذكره : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٢).

قال الشيخ السعدي - يرحمه الله - : ((ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، أن العبد المقيم لها ، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها ، يستنير قلبه ، ويتطهر فؤاده ، ويزداد إيمانه ، وتقوى رغبته في الخير ، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر . فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه ، تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها . وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر ، وهو : ما اشتملت عليه من ذكر الله بالقلب ، واللسان ، والبدن ؛ فإن الله تعالى إنما خلق العباد لعبادته ، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة . وفيها من عبوديات الجوارح كلها ما ليس في غيرها)) (٣) .

وإذا ثبت هذا ، فإليك بعض الآثار التي ينبغي أن تظهر جليًّا في قلوب الخاشعين وجوارحهم :

٨ - ١ : الامتثال لأوامر الله :

أي الانقياد لأوامر الله - عز وجل - وقبولها ومجاهدة النفس للانصياع لها مع الرضا والتسليم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي

---

(١) سورة الغاشية [١ - ٧] .
(٢) سورة العنكبوت [٤٥] .
(٣) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٥٨١ ؛ وقال : ((فالفحشاء : كل ما استعظم ، واستفحش من المعاصي ، التي تشتهيها النفوس ؛ والمنكر : كل معصية تنكرها العقول والفطر)) .
(٤) سورة الأحزاب [٣٦] .

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) .

٨ - ٢ : مراقبة الحق - عز وجل - :

أي استشعار العبد لنظر الحق - عز وجل - إليه ، واطلاعه عليه ، في سره وعلانيته ، وخلوته وجلوته ؛ فالخاشع الحق هو الذي يراقب الله في أعماله وأقواله .. ويؤمن أن الله - عز وجل - يعلم خلجات فؤاده ، ووساوس نفسه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٢) .

٨-٣ : الصبر على قضاء الله :

من آثار الخشوع على صاحبه استسلامه لقضاء الله وتلقيه بالرضا والصبر ، وعدم التسخط والاعتراض ؛ ذلك لعلمه أن الله - عز وجل - يبتلي عبده بالمصائب ليطهره من الذنوب والمعايب ، كما قال ﷺ : « **عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له** »(٣) .

وانظر إلى هذا الصبر والاحتساب والرضا والتسليم لأمر الله - عز وجل - الذي تميز به الخاشع عروة بن الزبير .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهًا إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة ، وكان مبدؤها هناك فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك ، فاجتمعوا على أن يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه ، وربما ترقت إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها ، وقالوا : ألا نسقيك مرقدًا حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحدًا يشرب شرابًا أو يأكل شيئًا يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لابد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فإني لا أحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحي ، احتياطًا أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلي ، فما تضور ولا اختلج ؛ فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدًا ، فلئن كنت قد

---

(١) سورة النساء [٦٥] .
(٢) سورة ق [١٦] .
(٣) رواه مسلم ، الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، برقم : ٢٩٩٩ .

أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه ، فدخل دار الدواب ، فرفسته فرس فمات ، فأتوه فعزوه فيه ، فقال : الحمد لله ، كانوا سبعة فأخذت منهم واحدًا ، وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت ؛ فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة » [1] .

٨ - ٤ : البعد عن المعاصي :

الخاشع يستحيي أن يعصي الله - عز وجل - وهو يوقن أن الله - عز وجل - يراه ويسمعه . ويتجدد هذا الحياء العاصم من الدنايا في قلب العبد كلما صف قدميه في الصلاة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[2] ، فبقدر خشوع العبد فيها وتفهمه لحركاتها وتدبره لأذكارها يكون بعده عن معصية خالقه ومولاه .

بلغ عروة بن الزبير الذي سقنا لك قصته قبل قليل أن بعض الناس قالوا : إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه ؛ فأنشد عروة في ذلك :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي ... ولست بماشٍ ما حييت لمنكر

وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي ... ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة

من الدهر إلا قد أصابت فتي مثلي[3] ... وأعلم أني لم تصبني مصيبة

وقال لما نُشرت رجله : « اللهم إنك تعلم أني لم أمشِ بها إلى سوء » .

٨ - ٥ : الإخلاص :

وهو أن يجتهد في إخفاء أعماله وأحواله عن الناس ؛ « لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها ، ورؤيتهم لها ، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله » [4] .

٩ - كيف نخشع في صلاتنا ؟

---

(1) البداية والنهاية ، لابن كثير : ٩ / ١٠٢ - ١٠٣ ، انظر موسوعة نضرة النعيم ، ص١٨٣٤ .
(2) سورة العنكبوت [٤٥] .
(3) البداية والنهاية : ج٩ / ١٠٣ .
(4) المدارج : ج١ / ٥٧٨ ، وقد وردت معاني تلك الآثار التي ذكرناها في كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - في شرحه لدرجات الخشوع (ج١ / ٥٧٦ - ٥٧٩) .

هناك أسباب ذكرها بعض أهل العلم ، تعين العبد على الخشوع في صلاته وفي سائر عباداته ، ألخص بعضها فيما يلي :

٩ - ١ : معرفة الله بأسمائه وصفاته :

قال ابن رجب - رحمه الله - : وأصل الخشوع الحاصل في القلب ، إنما هو من معرفة الله ، ومعرفة عظمته وجلاله وكماله ، فمن كان أعرف فهو له أخشع .

ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له ، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع ، فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب الله من عبده واطلاعه على سره وضميره المقتضي للاستحياء من الله - تعالى - ومراقبته في الحركات والسكنات ، ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضي للاستغراق في محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته ، ومن خاشع لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضي للخوف منه وهو - سبحانه وتعالى - جابر المنكسرة قلوبهم من أجله ، وهو - سبحانه وتعالى - يتقرب ممن يناجيه في الصلاة ويعفر وجهه في التراب بالسجود ، كما يتقرب من عباده الداعين له ، السائلين له ، المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار ، ويجيب دعاءهم ويعطيهم سؤالهم [1] .

وقد قيل :

على قدر علم المرء يعظم خوفه وما عالم إلا من الله خائف [2]

٩ - ٢ : استشعار اللقاء مع الله ومناجاته [3] :

فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه**))[4] .

قال الإمام النووي - يرحمه الله - : في قوله ((**فإنه يناجي ربه**)) إشارة إلى إخلاص القلب وحضوره ، وتفريغه لذكر الله - تعالى - وتمجيده ، وتلاوة كتابه وتدبره [5] .

وقال البخاري - رحمه الله - : ((باب المصلي يناجي ربه - عز وجل - فالصلاة مناجاة العبد للرب ، ومناجاة الرب - جل جلاله - أرفع درجات العبد)) [6] .

---

(1) الخشوع في الصلاة ، ابن رجب ، ص١٤ ، انظر الصلاة ، لابن القيم ، ص١٢٢ .
(2) انظر تكاليف القلب السليم ، محمد العلي ، ص١٠٩ .
(3) كيف تخشع في الصلاة ، فواز أحمد زمرلي ، ص٢٦ ؛ وانظر للتوسع : المرجع نفسه ، ص(٢٦ - ١١٤) .
(4) رواه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب المصلي يناجي ربه - عز وجل - برقم : ٥٣١ ؛ ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن البصاق في المسجد ، برقم : ٥٥١ .
(5) شرح النووى لصحيح مسلم : ٥ / ٤٠ - ٤١ ، والرواية واللفظ من رواية مسلم ، وفيها اختلاف يسير عن لفظ البخاري .
(6) الفتح : ٢ / ١٤ .

٩ - ٢ : عدم الالتفات :

عن عائشة - رضي الله عنها – قالت : سألت رسول الله عن الالتفات في الصلاة ، فقال : ((**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**))(١) .

قال ابن رجب - يرحمه الله - : ((عدم الالتفات بالنظر يمينًا وشمالاً ، وقصر البصر على موضع السجود ، وهو من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته))(٢) .

وقال الإمام ابن القيم - يرحمه الله - : ((الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان :

أحدهما : التفات القلب عن الله - عز وجل - إلى غير الله .

وثانيهما : التفات البصر .

وكلاهما منهي عنه)) (٣) .

٩ - ٤ : التفهم لهيئات الصلاة وأذكارها :

من الأمور المهمة في دفع الخواطر الشاغلة وقطع الوساوس الصارفة ، التدبر لمعاني الآيات والأدعية التي يقرؤها العبد في صلاته ، وللحركات التي يؤديها .

((فتكبيرة الإحرام - على سبيل المثال - :

- فيها إشارة إلى أن الإقبال على الله أهم من الدنيا وما فيها .
- وفيها إقرار بالكبرياء لله ، وتبرئة للمصلي منه .
- وفيها تعويد المسلم على العزة والكرامة ، وألا يذل لمخلوق ؛ لأن الله أكبر .
- وتكرار التكبير بين كل حركة وأخرى فيه تذكير للمؤمن في كل حركة أن يكبر الله - سبحانه - لدخوله في الصلاة ، ولتعظيمه ربه سبحانه .
- وهي حصن من الشيطان الذي يقبل على المصلي - وهو يحشد جميع قوته - لجعله يلتفت ، فيقول المصلي : الله أكبر منك ومن كل شيء .
- الشيطان يغرره بالدنيا ، والشهوات ، فيقول المؤمن : الله أكبر من ذلك الشيطان .
- الشيطان يذكره بالمال والولد والجاه ، فيقول المصلي : الله أكبر من كل شيء ، وهو سيساعدني عليك وعلى وساوسك ، سيساعدني الكبير المتعالي في الإقبال عليه ، والحضور بين يديه ؛ فيخنس الشيطان)) (٤) .

---

(١) رواه البخاري ، الأذان ، باب الالتفات في الصلاة ، برقم : ٥٧١ .
(٢) الخشوع في الصلاة ، ص ٢٤ .
(٣) صحيح الوابل الصيب ، ص ٤٥ .
(٤) اختيارات مختصرة من كتاب : كيف نخشع في الصلاة ؟ - فواز أحمد ، ص٥٥ – ٥٦ ؛ وانظر للتوسع ، الكتاب المذكور ، ص٥٣ - ٨٤.

٩ - ٥ : صلاة المودع :

إن من عوامل زيادة الخشوع أن يستحضر المصلي في قلبه أن هذه الصلاة قد تكون آخر صلاة يصليها في عمره ، فيحاول أن يقبل فيها على ربه ؛ خائفًا منه ، سائلاً إياه المغفرة والرحمة . قال رسول الله ﷺ : ((**إذا قمت في صلاتك ، فصل صلاة مودع ، ولا تكلم بكلام تعتذر منه ، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس**))[1] . وكذلك استحضار الموت وما فيه من كربات وعقبات مما يزيد من الخشوع . قال ﷺ : ((**اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته ، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها ، وإياك وكل أمر تعتذر منه**))[2] .

٩ - ٦ : تذكر أجر الخاشع في صلاته :

وقد قدمنا طائفة من النصوص التي عظمت أجر الخاشعين ، ورفعت منزلة القانتين ، ومنها ما رواه عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقوم في صلاته ، فيعلم ما يقول ، إلا انفتل وهو كيوم ولدته أمه**))[3] .

٩ - ٧ : تكرار قراءة بعض الآيات :

الوقوف على الآية وتكرار قراءتها ، لاسيما إذا كانت من آيات العذاب والحساب أو آيات النعيم والثواب ؛ وهو ما يزيد في الخشوع والتدبر لمعاني الآية ودلالاتها .

((وقد قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[4] . وكان السلف كثيرًا ما يفعلون ذلك في قيام ليلهم ونوافل نهارهم ، وربما قام أحدهم ليلة يردد آية ويبكي ما يتجاوزها . وكان سعيد بن جبير يردد : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ** ﴾[5] في الصلاة بضعًا وعشرين مرة ، وإذا أتى على آية : ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴾[6] رجع فيها ورددها مرتين أو ثلاثًا))[7] .

٩ - ٨ : السكون :

مما يبعث الخشوع في القلب قلة الحركة في الصلاة ، وقد امتدح الله - عز وجل

---

(1) رواه أحمد ، وابن ماجة ، وهو في صحيح الجامع ، برقم : ٧٤٢ .
(2) رواه الديلمي في مسند الفردوس ، وحسنه الحافظ ابن حجر ، وكذلك الألباني .
(3) رواه الحاكم ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .
(4) سورة المائدة [١١٨] .
(5) سورة البقرة [٢٨١] .
(6) سورة غافر [٧٠ - ٧١] .
(7) حلية الأولياء : ٤ / ٢٧٢ .

- المصلين بسكون جوارحهم في الصلاة مهابةً لله - عز وجل - فقال - عز وجل - : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾(١) . قيل : أي مواظبون عليها ، وقيل : أي ساكنون فيها ، فلا يلتفتون ولا يتحركون إلا في حاجة . قال عقبة بن عامر : ((هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينًا وشمالاً . والدائم الساكن ، ومنه نهى عن البول في الماء الدائم ، أي الساكن))(٢) ؛ ولهذا ذهب أهل العلم إلى بطلان صلاة من كثرت حركته من غير حاجة .

قيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها ؟ ! قال : لا أعود نفسي شيئًا يفسد عليَّ صلاتي . قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ ! قال : بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ، ويفتخر بذلك ، فأنا قائم بين يدي ربي ؛ أفأتحرك لذبابة ؟ ! .

٩ - ٩ : التنويع في السور :

لا تقتصر في قراءتك في الصلاة على السور القصار دون سواها ، يتحرك بها لسانك دون أن يعيها قلبك ، بل حاول أن تحفظ سورًا لم تكن تحفظها من قبل ، ثم اقرأها في صلاتك ، عندئذ ستشعر أنك لابد لك من إحضار قلبك وإعمال ذهنك لكي تستحضر ما حفظت ، وسيكون لهذا الحضور والاستحضار أثر في زيادة خشوعك(٣) .

٩ - ١٠ : حسن الترتيل :

مما يزيد من خشوع المصلي ترتيله لما يقرأ ، وقد أمر الله بذلك كل قارئ لكلامه - عز وجل - فقال : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾(٤) .. وقد كان ﷺ يرتل القرآن ، ولابد من الاجتهاد في تحسين الصوت بالقراءة ، كما قال ﷺ : ((**إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**))(٥) .

٩ - ١١ : البعد عن الشواغل :

الأماكن التي يكثر فيها الصخب وترتفع فيها الأصوات مشغلة للمصلي عما يقرأ ، وكذلك الثياب المزركشة والبسط المزخرفة ملهية عن صلاته . وقد صلى رسول الله ﷺ في خميصة ذات أعلام ، فنظر إلى علمها ، فلما قضى صلاته قال : ((**اذهبوا**

---

(١) سورة المعارج [٢٣] .
(٢) أحكام القرآن ، للقرطبي : ج١٨ / ٢٩ .
(٣) انظر : كيف تخشعين في صلاتك ، رقية المحارب ، ص ٤٤ .
(٤) سورة المزمل [٤] .
(٥) رواه ابن ماجة ، وهو في صحيح الجامع ، برقم : ٢١٩٨ ، انظر صفة صلاة النبي ﷺ ، ص ٩٢ - ٩٥ .

بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأْتوني بأنبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي)) [١] .

ومن الشواغل : مدافعة الأخبثين ، وتعلق النفس بالطعام عند حضوره ؛ ولهذا وردت النصوص في توجيه المسلم بالتخلص من هذه الشواغل ، فلا يدخل الصلاة إلا وقد قضى حاجته .

١٠ - نماذج من الخاشعين :

١٠ - ١ : سيد الخاشعين وإمام القانتين ﷺ :

- قال عبد الله بن الشخير رضي الله عنه : ((رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء))[٢] .
- وكان يقول في ركوعه ﷺ : ((**اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**))[٣] .
- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي ﷺ : ((**اقرأ عليَّ**)) ، قلت : آقْرأُ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : ((**فإني أحب أن أسمعه من غيري**)) فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا** ﴾ قال : ((**أمسك**)) ، فإذا عيناه تذرفان)) [٤] .

١٠ - ٢ : أبو بكر رضي الله عنه لا يسمع من في الصفوف الأخيرة قراءته من شدة بكائه ، ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعُهُ قيل له في الصلاة ، فقال : ((**مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس**)) ، قالت عائشة - رضي الله عنها - : إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء . قال : ((**مُروه فيصلي**)) ، فعاوَدَتْه . قال : ((**مروه فيصلي ، إنكن صواحب يوسف**)) [٥] .

١٠ - ٣ : وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكثر من قراءة سورة يوسف في صلاة

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها ، برقم : ٣٧٣ ؛ ورواه مسلم ، في المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام ، برقم : ٥٥٦ .

(٢) رواه الترمذي في الشمائل ، وأبو داود ، ص٩٠٤ ، والنسائي : ٣ / ١٣ ؛ وصححه النووي ، قال محقق جامع الأصول (٥ / ٤٣٥) : حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، برقم : ٧٧١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، برقم : ٤٥٨٢ ؛ ومسلم ، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل استماع القرآن ، برقم : ٨٠٠ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب أهل العلم والفضل أحق بالإقامة ، برقم : ٦٨٢ .

الفجر ، وإذا قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ ﴾[1] بكى حتى يُسمع نشيجه من في آخر الصفوف [2] ، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء .

١٠ - ٤ : وكان علي بن أبى طالب ﷺ إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه ، فقيل له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟ ! فيقول : « جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملتها » .

١٠ - ٥ : وصلى تميم الداري ﷺ ليلة ، حتى أصبح أو كاد ، يقرأ آية يرددها ويبكي :
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3] ، وتُروَى أيضًا عن الربيع بن خُثَيْم .

١٠ - ٦ : والربيع بن خثيم كان إذا سجد كأنه ثوب مطروح ، فتجيء العصافير فتقع عليه [4].

خامسًا : بعض التطبيقات العملية لتأكيد معاني الدرس :

١- القراءة الدورية في سير السلف الصالح ، وما كانوا عليه من عبادة وخشية وخشوع لله - عز وجل - فإن ذلك من أكبر أسباب الاقتداء بأحوالهم وأعمالهم .
٢- قراءة القرآن بحزن وبكاء ، فإن لم تستطع فتباك ، فإن لم تستطع فابك على موت قلبك وقسوته .
٣- الحرص على قيام الليل – ولو قليلاً - ؛ لأن القراءة فيه أقوم قيلاً وأشد تأثيرًا .
٤- التبكير بالذهاب إلى المسجد وتهيئة النفس للصلاة ، بالسنن القبلية وقراءة القرآن والدعاء الخاشع ، وقطع خواطر النفس وشواغل الدنيا .
٥- الالتزام بالهدي النبوي الشريف في صفة الصلاة ، وقراءة بعض الكتب التي شرحت المعاني الإيمانية والحكم الربانية في هيئات الصلاة في قيام وركوع وسجود ، واستحضار تلك المعاني في الصلاة .
٦- قراءة كتاب في الأسباب التي تبعث الخشوع في القلب .

سادسًا : بعض المراجع :

١- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الدامغاني ، دار

---

[1] سورة يوسف [٨٦] .
[2] انظر البخاري ، كتاب الأذان ، إذا بكى الإمام في الصلاة ، برقم : ٧١٦ ، وانظر : التبيان في آداب حملة القرآن للنووي .
[3] سورة الجاثية [٢١] .
[4] الحلية : ٢ / ١٠٦ - ١١٤ .

العلم للملايين ، ط٣ .
٢- موسوعة فقه ابن تيمية ، محمد رواس قلعجي ، ط١ .
٣- مدارج السالكين ، ابن القيم ، دار الجيل .
٤- الخشوع في الصلاة ، ابن رجب الحنبلي ، مطابع الجزيرة .
٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ .
٦- التعريفات ، الجرجاني ، دار الريان للتراث .
٧- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .
٨- توجيهات وذكرى ، صالح بن حميد ، مكتبة الضياء ، ط ١٤١٤هـ .
٩- إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار المعرفة .
١٠- الفوائد ، ابن القيم ، دار النفائس ، ط٧ .
١١-الخشوع ، عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، ط١ .
١٢-شرود الذهن أثناء الصلاة : المشكلة والحل ، إبراهيم رجب ، دار عالم الكتيب ، ط١ .
١٣-تكاليف القلب السليم ، محمد بن صفوت العلي ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، ط .
١٤-البكاؤون ، عبد المنعم الهاشمي ، دار ابن كثير ، ط١ .
١٥-طب القلوب ، عجيل النشمي ، دار الدعوة ، ط١ .
١٦-القلب : مكانته وأحواله ، أحمد البيانوني ، دار السلام ، ط١ .
١٧-تعال نبكي ، عبد الرحمن السنجري ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ .
١٨-كيف تخشعين في الصلاة ؟ رقية بنت محمد بن محارب ، ط٢ .
١٩-كيف تخشع في الصلاة ؟ فواز أحمد زمرلي ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ .
٢٠-الخشوع وأثره في بناء الأمة ، سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي ، ط١ .
٢١-صافي الينبوع في الأسباب المعينة على الخشوع ، إعداد بعض طلبة العلم .
٢٢-الشوق لذكر الله ، محمد الرملي ، دار ابن القيم ، ط١ .
٢٣-الصلاة وأثرها في زيادة الإيمان وتهذيب النفس ، حسين العوايشة ، دار ابن حزم ، ط١ .

٢٤-قيام الليل تجديد للروح وزاد للعاملين ، محمد الخطيب ، دار المنار الحديثة ، ط٢ .

٢٥-الرقة والبكاء ، ابن أبى الدنيا ، مكتبة العبيكان ، ط١ .

٢٦-صفة صلاة النبي ﷺ ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١٤ .

٢٧-موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي .

٢٨-مختصر منهاج القاصدين ، المقدسي ، المكتب الإسلامي ، ط٥ .

٢٩-الإحياء ، الغزالي ، دار المعرفة .

٣٠-صلاح الأمة في علو الهمة ، سيد العفاني ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .

٣١-الترغيب في المحافظة على الصلوات والخشوع فيها ، سعود السبيعي ، دار الصميعي ، ط١ .

٣٢-موسوعة نضرة النعيم ، إعداد مجموعة من المختصين ، دار الوسيلة ، ط١ .

٣٣-وقوموا لله قانتين ، عصام الحميدان ، دار الذخائر ، ط٣ .

٣٤-صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لابن القيم ، تحقيق سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي ، ط٢ .

٣٥-معالم غائبة عن حياة المسلمين ، ربيع السعودي ، دار معاذ ، ط١ .

بالإضافة إلى عشرات المراجع في اللغة والتفسير والحديث والفقه وأصوله .

فهرس
الجزء الثالث

فهرس الجزء الثالث

الموضـــــوع رقم الصفحة

الحـذر

الحكمة

الخوف

الدعــوة

الصبــر

الطاعة

الصدق

الربانية

الذكر

الخشوع

انتهى الجزء الثالث ويليه - إن شاء الله -
الجزء الرابع وأوله : ((مصطلح النصيحة))